جزآن فى مجلد واحد

رسالة الغفران

للشاعر الفيلسوف

أبى العلاء المعرى

الغفران

كوميديا إلهية مسرحها الجنة والنار

وبها مقدمة شائقة للاستاذ فريد وجدى بك

لو جاءنا من أهل البلى مخبر   سألت عن قوم وأرخت
هل فاز بالجنة عمالها ؟   وهل ثوى فى النار نوبخت ؟

أبو العلاء

إيجاز وشرح

كامل كيلانى

بالأوقاف

سنة ١٣٤٢ هـ — سنة ١٩٢٣

تطلب من المكتبة التجارية بأول شارع محمد على بالقاهرة

لصاحبها مصطفى محمد

مطبعة المكتبة التجارية

[illegible]

فهرست الجزء الاول

الغفران

الجزء الثاني

الرد على رسالة ابن القارح

جزآن في مجلد واحد

رسالة الغفران

للشاعر الفيلسوف

أبي العلاء المعري

الجزء الاول
الغفران

كوميديا الهية مسرحها الجنة والنار

لو جاء من أهل البلى مخبر سألت عن قوم وأرخت
هل فاز بالجنة عما لها ؟ وهل ثوى في النار نوبخت ؟

أبو العلاء

ايجاز وشرح

كامل كيلاني

بالأوقاف

سنة ١٣٤٢ هـ — سنة ١٩٢٣

تطلب من المكتبة التجارية بأول شارع محمد على

لصاحبها مصطفى محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء

الى الشباب المفكر ، الذي ادرك حقيقة الادب الحي ، وعرف قيمته واثره فى احياء النفوس ، وانهاض الشعوب .

* * *

الى الشباب المفكر ، الذى اطلع على الآداب الغربية ، فسحرته أنغامها الجديدة ، وهاله خضمها الزاخر ، الجياش بشتى احساسات الحياة وخوالجها ومثلها الرائعة ، وعطف على الآداب العربية ، فأحرج صدره ما فيها من الخلط وسوء الاختيار ، فعزف عنها ، مزدريا ناقدا ـ وله بعض العذر ـ واندفع متهافتا على الادب الغربي ، الذى وجد فيه لكل خالجة وترا تشجيه أنغامه وتملأ فراغ نفسه ، وتحلق بها فى اسمى ملكوت تطمح اليه

* * *

الى هذه الفئة من الشباب ، اقدم هذا الكتاب الذي ارى فيه فنا من الادب العالى ، أجرؤ فأزعم ـ لا متحمساً للغتنا ، ولا متعصباً لآدابنا ، ولا مجازفا فى زعمي ـ انه لا يقل عن أجل أثر أخرجه اكبر رأس غربى مفكر ، وهنا نمسك القول حذرا من الاسراف والشطط ....

كامل كيلانى .

ترجمة ابن القارح (١)

بقلمه

„ وكنت أدرس على أبي عبد الله بن خالويه ـ رحمه الله ـ وأختلف الى دار ابي الحسين المغربي ، ولما مات ابن خالويه ، سافرت الى بغداد ، ونزلت على أبي على الفارسي ، وكنت اختلف الى علماء بغداد ، الى أبى سعيد السيرافي ، وعلي بن عيسى الرمانى ، وأبي عبيدة المرزبانى ، وابى حفص الكتانى ، وكتبت حديث رسول الله (ص .) ، وبلغت نفسى اغراضها جهدى ، والجهد عاذر „

* * *

„ ثم سافرت منها الى مصر ، ولقيت أبا الحسن المغربى ، فألزمنى أن ألزمته لزوم الظل ، وكنت منه مكان المثل ، فى كثرة الانصاف والحنو فقال لى سراً „ أنا اخاف همة ابى القاسم أن تنزو به الى ان يوردنا ورداً لا صدر عنه „ وقال لى يوما : „ ما نرضى بالخمول الذى نحن فيه „

(١) هو علي بن منصور الحلبي ، لقبه دوخلة ، وكنيته أبو الحسن ، ويعرف بابن القارح ، وكان مولده بحلب سنة ٣٥١ ، ولم يتزوج ولا أعقب ، وهو الذى كتب رسالته المشهورة المنشورة بالجزء الثالث من هذا الكتاب وبعثها الى أبي العلاء ، الذى أجابه عليها بهذه الرساله الرائعة ووسمها برسالة الغفران ، وسنبين سبب هذه التسمية في الكلام على رسالة الغفران اثناء ترجمة أبى العلاء

فقلت : ‹‹ وأي خمول هنا ؟ تأخذون من مولانا ، في كل سنــة ستة آلاف دينار ، وابوك من شيوخ الدولة ، وهو معظم مكرم ›› فقال ‹‹ اريد أن تصار الي ابوابنا الـكتائب والمواكب والمقانب ؛ ولا ارضى بأن يجري علينا كالولدان والنسوان ›› فاعدت ذلك على ابيه ، فقال : ‹‹ ما اخوفني أن يخضب ابو القاسم هذه من هـذه ›› وقبض على لحيته وهامته

وعلم ابو القاسم بذلك فصارت ، بيني وبينه وقفة ،

***

وأنفذ الى القائد ابو عبد الله الحسين بن جوهر ، فشرفني بشريف خدمته ، فرأيت الحاكم كلما قتل رئيساً ، انفذ رأسه اليه ، وقال ‹‹ هذا عدوي وعدوك يا حسين ›› فقلت ‹‹ من ير يوما ، يرى به ، والدهر لا يغتربه ›› وعلمت انه كذا يفعل به

***

فاستأذنته في الحج ، فاذن ، فخرجت في سنــة سبع وتسعين ، وحججت خمسة اعوام

وعدت الي مصر ، وقدقتله ، فجاءني اولاده سراً ، يرومون الرجوع اليهم ، فقلت لهم ‹‹ خير ما لي ولـكم الهرب ، ولأ بيكم ببغداد خمسمائة الف دينار ، فاهربوا واهرب ›› ففعلوا وفعلت

وبلغني قتلهم بدمشق ؛ وأنا بطرابلس ، فدخلت الى أنطاكيــة ، وخرجت منها الى ملطية ، وبها المايسطرية خولة بنت سعد الدولة ، فاقمت عندها الى ان ورد علي كتاب أبي القاسم ، فسرت الى ميافارقين ، فـكان يسرحسوا في ارتفاء ؛ قال لي يوما من الايام ‹‹ ما رأيك ؟ ››

قلت : «أمرضت حاجة ؟» قال : «لا ، أردت أن ألعنك» قلت : «فالعنى غائباً» قال : «لا ، فى وجهك أشفى» قلت : «ولم ؟» قال : «لمخالفتك اياى فيما تعلم»

***

وقلت له ، ونحن على انس ، بيني وبينه : «لى حرمات ثلاث ، البلدية ، وتربية أبيه لى ، وتربيتى لاخوته» قال : «هذه حرم مهتكة ، البلدية نسب بين الجدران ، وتربية ابى لك ، منة لنا عليك ، وتربيتك لاخوتى ، بالخلع والدنانير» — أردت أن اقول له : «استرحت من حيث تعب الكرام» فخشيت جنون جنونه

***

وقال لى ليلة : «اريد ان أجمع اوصاف الشمعة السبعة ، فى بيت واحد ، وليس يسمح لى ما ارضاه» فقلت «أنا افعل من هذه الساعة» فأخذت القلم ، وكتبت بحضرته :

لقد اشبهتني شمعة في صبابتي وفى هول ما ألقى وما اتوقع
نحول وحرق فى فناء ووحدة وتسهيد عين واصفرار وادمع

فقال : «كنت عملت هذا قبل هذا الوقت ؟» فقلت «تمنعى سرعة الخاطر ، وتعطينى علم الغيب ؟» وكان ابو القاسم ملولا ، لا يمل أن يمل ، ويحقد حقد من لا تلين كبده ، كأنه من كبره قد ركب الفلك فلما رأيته سادرا جاريا في قلة انصافى ، على غلوائه ، محوت ذكره عن صفحة فؤادي :

ففى الناس ان رثت حبالك واصل وفى الارض من ذات القلى متحول

وأنشدت الرجل أبياتا ، أعتذر بها في قطعي له :

فلو كان منه الخير اذ كان شره عتيداً ، لقلنا ان خيراً مع الشر
ولو كان، اذ لا خير ، لا شر عنده، صبرنا،وقلنا ،،لا يريش ولا يبري،،
ولكنه شر ، ولا خير عنده وليس على شر ، اذا دام ، من صبر

وبغضي له — يشهد الله — حياً وميتا ، أوجبه اخذه محاريب الكعبة الذهب والفضة ، وضربها نقودا ودراهم ، وسماها الكعبية ، وانهب العرب الرملة ، وضرب بغداد ، وكم دم سفك ، وحريم انتهك ، وحرة ارمل ، وصبي ايتم . ،، من رسالة ابن القارح

ترجمة ابى العلاء

(١)

اسمه احمد وكنيته ابو العلاء واسم ابيه عبدالله بن سليمان المعرى وبلده معرة النعمان، وهى قرية صغيرة فى شمال سوريا بين حلب وحمص

(٢)

ولد قبل مغيب شمس يوم الجمعة وهو الثامن والعشرين من ربيع الاول سنة ثلاث وستين وثلثمائة هجرية وهى توافق سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة للمسيح

(٣)

وفى السنة الرابعة من حياته (٣٦٧ هـ) اصيب بالجدرى، فكاد يودي بحيـاته، ولم يغادره حتي ذهب بعينه اليسرى وغشى اليمنى بالبياض، ثم بالعمى وبهذه الحادثة تمت اول نـكبة اعدها له الزمن، فكان لها فى حياته اكبر الاثر

(٤)

ذهب الى الدراسة في حلب بعد أن أتم الدراسة على ابيه - وكانت حلب في زمنه مكتظة بافاضل العلماء ورجال الادب، ممن دعاهم سيف الدولة فى زمنه واغدق عليهم النعم، فملؤا حلب علما، فى زمنه وبعد موته، فانتفع بعلمهم ابو العلاء

(٥)

ثم سافر الى انطاكية ووعى ما شاء من نفائس الـكتب التي وجدها

في مكتبتها الشهيرة ، وكان بها كثير من الروم ، الذين شاهد ابو العلاء صولتهم واعتزازهم بها

(٦)

ثم سافر الى طرابلس الشام ، ومر باللاذقية في طريقه ، فنزل بدير فيها ، وأخذ — عن راهب فيه — كان دارساً لعلوم الفلسفة وغيرها كثيرا من الآراء . واشتدت الصلة بين ابي العلاء وبين النصارى واليهود ، حتى تمكن من درس دينهم ومناقشتهم فيه ، ثم عاد الى معرة النعمان

(٧)

ومات ابوه وهو في الرابعة عشرة من عمره سنة ٣٧٧ فرثاه بنونيته المعروفة في سقط الزند ، وهي تمثل شعره فى صباه

* * *

(٨)

ثم رحل الى بغداد سنة ٣٩٨ ، وذاع بها صيته ، واطلع على مكاتبها الشهيرة ، واشترك في المجامع العلمية والادبية العامة والخاصة

(٩)

ثم دعاه الى مغادرة بغداد مرض امه وفقره مع انفته من التكسب بشعره وادبه ، فتركها فى رمضان سنة ٤٠٠ هـ ، واحتفل بتوديعه اهل بغداد وحزنوا على فراقه اشد الحزن

(١٠)

وانه لفي طريقه الى المعرة اذ وافاه نعي امه ، فتمت نقمته على الدنيا وكانت تلك النكبات الفادحة التي لقيها في حياته ، اكبر باعث له على الاخذ بقانونه الصارم الذي سنه لنفسه ، وهو اعتزال الناس

(١١)

وقد حاول تنفيذ هذا القانون ، فلم يوفق الى ذلك، لالتفاف الطلاب حوله ، واقبال الكثيرين من المعجبين به ، على زيارته ، ووفودهم اليه من بلاد نائية ليتلقوا عنه العلم

* * *

(١٢)

وكان له وقف يحصل منه كل عام على ثلاثين ديناراً يعطى خادمه نصفها وينفق على نفسه النصف الآخر ، وكان فقيراً متقشفا زاهداً لا يمدح احداً طمعاً في مال أو جاه ، يأكل الشعير ويلبس الصوف الغليظ

(١٣)

وهو اول من خط للشعر العربي طريقا جديدة فلسفية ، خاصة به وملأ شعره بأسمى المبادىء الاجتماعية والأدبية والعالمية ، التي انفرد بها – دون سواه من بين شعراء العربية جميعاً

* * *

(١٤)

أما كتبه فعديدة قيمة ، ولكن اكثرها – قد فقد لسوء الحظ ولم يبق لنا منها الا سقط الزند ويحتوى شعره في عهد الشباب ، وليس فيه الا بضع قصائد بلغت الذروة في الاجادة ، أما الباقي فا كثره متكلف سخيف افسدته المبالغات والتقليد ، وقد اعترف بذلك في مقدمته ، وكتاب اللزوميات ، ويعد في نظرنا انفس ديوان عربي ، ويشمل جمهور الفلسفة العلائية الرائعة رغم ذلك القيد الثقيل الذي اخذ به نفسه ، وهو مضاعفة القافيـة ، وديوان الدرعيات وهو خاص

بوصف الدروع ، ورسالة الملائكة ، ورسائله التي طبعها مرجليوث .

رسالة الغفران

ومن أمتع ما كتبه رسالة الغفران التي تعد ـ بحق ـ أنفس أثر له بعد كتاب اللزوميات ، والتي خصصنا لدراستها مقدمة الجزء الثالث من هذا الكتاب

وانما أطلق عليها هذا الاسم (الغفران) لأن الفكرة الرئيسية التي دفعته الى انشائهـا ـ وقت اجابته على رسالة ابن القارح ـ هي مناقشة من فازوا بالمغفرة ومن حرموها في الدار الآخرة ، ومـا يسترعي انتباهتك فيها ، أنه كان يكثر من سؤال من يصادفه في الجنة « بم غفر لك ؟ » كما كان يكثر من سؤال من يجـده في النار : « لم يغفر لك قولك ... الخ »

ونحسب أن أبا العلاء بعـد أن لازمته فكرة البعث تلك المدة الطويلة ، وبعد أن أنضجها في لزومياته ، وأتى بها في صور شتى ردد في كثير منها ميله الشديد الى استفسار من ماتوا عما لقوه من أصناف النعيم أو العذاب ، وود لو اتيح له الظفر بسؤال واحد منهم ، ليأخذ عنه اليقين ، ويضع حداً لشكوكه وحيرته ، كما تراه في قوله :

لو جاء من أهل البلى مخبر سألت عن قوم وأرخت
هل فاز بالجنـة عمالهـا ؟ وهل ثوي في النار نوبخت

نقول ان أبا العلاء بعـد أن يئس من مثل تلك الأماني الباطلة ، لجأ الى الخيال ـ وما أوسـع عالمه ، اذا ضاق بالانسان عالم الحقائق ـ وأودع هذه الرسالة خلاصة أفكاره ، وهي في اعتقادنا أوضح وأدق

وأبرع صورة شعرية ، قرأناها عن البعث وأحوال الناس فيه

وقد كتب هذه الرسالة في سنة ٤٢٤ (هـ) وهو في الثالثة والستين من عمره (انظر ص ٣٩ جزء ٢)

* * *

ومن اهم كتبه المفقودة كتاب الايك والغصون ، الذي نيفت اجزاؤه على المائة ، ولا يعلم الا الله وحده ، مقدار الخسارة العظيمة ، بل النكبة الفادحة التي ألمت بالأدب العربي من جراء فقدهذا الكتاب الذي اخرجه ذلك الرأس المفكر العظيم ، ولسنا نرتاب فيما قالوه عن محتويات ذلك السفر الجليل ، فان الذي يجيب صاحباً له برسالة كرسالة الغفران ، ويقول في مقدمة لزومياته «كان من سوالف الاقضية أني أنشأت ابنية أوراق توخيت فيها صدق الكلمة الخ »

ان رجلا يفعل ذلك ، لا نستبعد عليه ، اذا قصد الى التأليف أن يخرج للعالم مثل ذلك الكتاب الجليل الشأن

(١٥)

نيف ابو العلاء على الثمانين سنة ، ثم اودت به علة لازمته أياما ثلاثة ، وكان موته في اليوم العاشر من ربيع الاول سنة تسع واربعين واربعمائة

أبو العلاء المعري

فضله ـ ورعه ـ عبقريته ـ رسالة الغفران

السبب فى اختصارها .

لحضرة العالم الباحث الجليل محمد فريد وجدي بك :

الفكر الانسانى بصيص من النور الالهي الفائض على الوجود ، والمفكرون مصابيحه ينعكس منهم على من دونهم فيهتدون به فى سلوك دياجير هذه الحياة ، فلولاهم لخبط السارون في متاهاتها ، لايهتدون الى غاية ، ولا ينتهون من وجودهم الى نهاية ، لذلك القي فى روع الناس ، حتى وهم في أحط درجات التعقل اكبار المفكرين وتعظيمهم ، وتلقف أقوالهم وآرائهم ، ورب أمة رزقت واحدا منهم فنقلها من الظلمات الى النور ، بعد أن عاشت قبله أجيالا تتقلب في كسف من دونها كسف ، ولا تعرف الوجود ولا يعرفها الوجود

* * *

أبو العلاء المعري واحد من أولئك المفكرين ، عرفه صاغة الكلام شاعرا من المبرزين ، وعده نقدة الافهام حكيما من المقدمين ، فوجد هؤلاء وهؤلاء منه مايبلغ أقصى ماتتطلع اليه

نفس من تصوير وابداع ، وخيال واختراع ، وسريان فى سرائر الكائنات ، واستجلاء لحقائق الموجودات

إلا أن فضل أبي العلاء لم يظهر فى عصر من العصور أجلى وأكمل مما ظهر فى عهدنا هذا ، عهد الأبحاث والشكوك ، عهد المذاهب والمقالات [1] حيث اشتجرت العقول ، وتناحرت الآراء وثارت اعاصير الريب ، فاكتسحت امامها أصولا راسخة من عقائد صحبت الانسان منذ عهده الأقدم ، فكان لظهور فضل ابي العلاء فى هذا المضطرب الهائل للمذاهب ، والمزدحم الرائع للفلسفات بعد ما كابدت من حرارة الكفاح ما كابدت، أثر عميق في نفوس المعاصرين ارتفع الرجل به الى المكانة التي يجب أن تكون له بين السابقين الأولين

نعم ، لقى ابو العلاء من الذين يصدم ظواهر الألفاظ دون بواطنها ، مايلقاه كل مفكر خلص من اغلال التقليد ، فاتهمه من لا يفهمه بالالحاد والزندقة ، وقولوه مالم يقله من الشعر المزرى بالأديان ، الحاط من كرامة مؤسسيها ، وتصدي كثير من أئمة المتأدبين لتبرئته مما نسب اليه ، فكان من اثر ذلك ان تكون حول اسمه جو غريب حمل الكثيرين من أهل الورع على كراهية

---

(١) المذاهب

شعره ، حتى ان مصحح المطبعة الأميرية تحرج منذ أربعين سنة من تصحيح لزوميات أبي العلاء ، وكان ناشرها يطبعها هناك ، فجاءت كثيرة الأخطاء من جراء ذلك ، أين هـذا من تزاحم الأدباء والمفكرين في أوربا على ورود مناهل رجالاتهم الأعلام وعنايتهم بجمع كل شاردة وآبدة من أقوالهم وآرائهم .

لم يعن الغربيون بنبغائهم من أهل العبقرية هذه العناية باعتبار أنهم لايخطئون ولا يخلطون ، أو انهم ملهمون ومحدثون ، بل باعتبار أنهم مفكرون احرار ، لايتقيدون بالمذاهب ، ولم يخضعوا عقولهم لغاصب ، خلقوا من عالم المعاني فى جو خلص من شوائب الحيوانية ، فقطفوا من حقائقه أزاهر أودعوها نظمهم ونثرهم مختلطة بهنات مما يلازم الطبيعة الارضية .

فالمكبون على رشحات أقلامهم انما يتنسمون من خلال اسطرها نسمات تلك الأزاهر فتفعمهم برياها الشذي ، وتحيي انفسهم بروحها العلوى .

فلو أراد ناقد معاصر أن يجمع سخافات امثال شيكسبير ودانتي وفولتير وفيكتور هوجو لملأ منها اسفارا . ولكن ليس هذا من العدل فى شيء ، اذ يكون هـذا الناقد قد قصر نظره على ظاهر الكلام . ولم يتنور الروح المودعة فيـه ، فحرم نفسه

أحوج مايكون اليه .

* * *

بهذه العين يجب أن ينظر للنابغين والعبقريين، وبهذه الهمة يجب أن يعنى بما دونوه في الطروس من منثورهم ومنظومهم ، وأبو العلاء واحد من هؤلاء ، بل من أبعدهم غورا ، وأملئهم سجلا وأعذبهم موردا ، وأعجبهم حالا

لسنا بسبيل ايراد تاريخ صاحب رسالة الغفران ، غير أننا نقول . انه كان كفيف البصر ككثيرين قبله وبعده من النوابغ وكان مع عراقته في الشعر ، وتصرفه في فنونه ، لم يقله متكسبا ، فلم يقبل جائزة عليه قط ، وكان مكتفيا بغلة وقف له تبلغ ثلاثين دينارا ، كان يعطي خادمه منها نصفها ، ويقنع بنصفها الآخر طول سنته

أعجب من هذا كله وأدل على فضله ونزوعه عن قذر هذا العالم ومظالمه، تقزز نفسه عن أكل اللحم ، وتأثمه من قتل الحيوان بعد الأربعين من عمره ، فعاش بعدها نيفا وأربعين سنة لم تمس شفتاه جثة كائن حي . حتى انه لما مرض المرضة التي مات فيها نصحه طبيبه بأكل فروج للتقوي به في زعمه . فأبى أبو العلاء أن يستبقي حياته بازهاق روح ، فعمد اهله الى فروج فذبحوه

دون أن يعلم هو ذلك ، ثم قدموه اليه ، فلما تناوله ادركه نفوره منه والقاه من يده ، فأخبروه بأنهم انما فعلوا ذلك طلبا لشفائه . فمد يده ثانية وأمسك الفروج وقال كأنه يخاطبه ، مسكين ايها الفروج ، أمنوا شرك فذبحوك ، ولو كانوا خافوا بأسك لهابوك ثم رمى به ولم يتناول منه شيئا

مثل هـذه النفس لا تحرم نوراً علوياً ، ولا تمنع عروجاً سماوياً ، فلا عجب ان عثرنا فى شعر أبى العلاء ونثره على لطائف وجدانية لا تتنزل على سواه من عبيد بطونهم ، وأسرى مشاعرهم ، ولا غرو بعد هذا ان حصل له من الشهرة والاقبال فى العصر الاخير عصر النقد والتحليل اكثر مما كان له وهو بين ظهرانى معاصريه ، والمحيطين به لالتقاط الدرر من فيه

* * *

وأن أجمل ماكتبه ، وأجمعه لآرائه فى الدين والعلم والاخلاق وفى أساليب الشعر وفنونه ، ورجاله وعيونه ، آيته الموسومة برسالة الغفران فقد صورت من روحه ما لم يصوره شعره للدهماء ففى الشعر حوائل من الأوزان والقوافى ولزوم مالا يلزم تجعل معانيه بعيدة المنال وتنوّر الروح المودعة

فيه من أشق المحاولات ، ولكن النثر لخلوه من هذه الحوائل ، تتجلى فيه روح صاحبه بأجلى مظاهرها ، وتتبين أغراضه بأقل كلفة ، وإن كان دون الشعر من حيث التأثير في النفس ، والسيطرة بالعواطف — فرسالة الغفران من هذه الوجهة طلبة كل محب لاستشراق روح أبي العلاء . ولكن يحول دون هذه الفائدة العظمى أنه اكثر من غريب اللغة وأطال في سرد عبارات غامضة أو ضرب أمثال شاردة أو ذكر مالا يعني الا العربي القح في ذلك العهد . ونحن نعطي قارئنا مثلا من ذلك . قال :

« قد علم الحبر الذي نسب اليه جبريل ، وهو في كل الخيرات سبيل ، أن في مسكني حماطة ما كانت قط أفانية ، ولا الناكزة بها غانية »

وقال

« وأن في طمري لحضباً وكل بأذاتي ، لو نطق لذكر شذاتي ، ماهو بساكن في الشقاب ، ولا بمتشرف على النقاب ، ما ظهر في شتاء ولا صيف ، ولا مر بجبل ولا خيف الخ الخ »

* * *

فالرسالة في مثل هذا المعرض يصعب على الاكثرين قراءتها

ومزاولتها ، والاستفادة مما حوته من آراء مسددة ، وأحكام عادلة ، ونظرات ثاقبة ، ولو أحصينا عدد من قرأ هذه الرسالة من جملة المتأدبين لما ألفيناهم يجاوزون العشرة في المئة ، وهذا حرمان يألم منه طلاب الأدب العالي .

* * *

فبتوفيق من الله ألهم الفاضل الألمعي كامل افندي كيلاني ان يلخص هذه الرسالة على أسلوب تبرز به أغراض أبي العلاء كاملة دون ان تحول بينها وبين القارىء ما أحيطت به من المترادفات الغامضة والشؤون المحلية الخاصة مما جعل الرسالة عبئاً ثقيلاً على المعاصرين يكد أذهانهم ويكل عزائمهم ويقف بهم عند حد منها لا يتعدونه ، ومن محاسن هذا العمل المشكور الذي نسجله لأديبنا الشاب بالاعجاب ، أنه جاء من حسن الاتساق ، وتناسب الاجزاء ، وتوافر الاغراض ، بحيث يخيل للقارىء انه يقرأ رسالة أبي العلاء قبل ان تتناولها يد التلخيص ، وأعجب من هذا انه لم يزد فيها حرفاً ، ولا من أغراضها غرضاً ، فهي من هذه الوجهة أحسن ما رأينا في هذا الباب .

* * *

أما فوائد هذا العمل فلا نخالها تخفى على أحد ، فمنها سهولة

تداول هذه الرسالة ، وعموم الانتفاع بها ، وتيسر تكرارها . وهي فوائد لا أستطيع أن أحد مداها من النفع العام ، ولا أن أوفي مسببها الشكر على جليل خدمته ، فالله يتولى مثوبته ، ويجزل مكافأته وينفع بعمله هذا طلاب العربية ، وعشاق الفنون الأدبية ، انه أكرم مسؤول

محمد فريد وجدي

رسالة الغفران

وصلت الرسالة التي بحرها بالحكم مسجور(١) ومن قرأها لاشك مأجور(٢) وغرقت في أمواج بدعها الزاخرة، وعجبت من اتساق عقودها الفاخرة، وفي قدرة ربنا ـ جلت عظمته ـ أن يجعل كل حرف منها شبح نور لايمتزج بمقال الزور، ولعله ـ سبحانه ـ قد نصب لسطورها المنجية من اللهب، معاريج(٣) من الفضة أو الذهب، تعرج بها الملائكة من الارض الى السماء، بدليل الآية : اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه

وهذه الكلمة الطيبة كأنها المعنية بقوله : ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتى أكلها كل حين باذن ربها

وفي تلك السطور كلم كثير، كله عند البارئ ـ تقدس ـ

---

(١) مملوء (٢) مثاب (٣) جمع معراج وهو السلم أو المصعد بكسر الميم وفتحها

أثير (١) ، وقد غرس لمولاي الشيخ الجليل إن شاء الله بذلك الثناء شجر في الجنة لذيذ اجتناء ، كل شجرة منه تأخذ ما بين المشرق الى المغرب بظل غاط (٢) ، والولدان المخلدون في ظلال تلك الشجر قيام وقعود ، يقولون والله القادر على كل شيء عزيز . نحن وهذه الشجر صلة من الله لعلي بن منصور ، نخبأ له الى نفخ الصور ، وتجرى في أصول ذلك الشجر انهار تختلج (٣) من ماء الحيوان ، والكوثر يمدها في كل أوان ، من شرب منها النغبة (٤) فلا موت ، قد أمن هنالك الفوت (٥) وسعد من اللبن مختلفات لا تغير بأن تطول الاوقات ، وجعافر (٦) من الرحيق (٧) المختوم ، كما قال علقمة :

تشفى الصداع ولا يؤذيه صالبها
ولا يخالط منها الرأس تدويم (٨)

ويعمد اليها المغترف بكؤوس من العسجد (٩) واباريق خلقت من الزبرجد ، لو رآها أبو زيد لعلم انه ماتشبب بخير وهزئ بقوله :

---

(١) مأثور — مختار — مصطفى — محبوب (٢) ظليل
(٣) تنتزع — تحرك — تطير (٤) الجرعة (٥) الخيبة ، الفشل ، ضياع الفرصة
(٦) جمع جعفر وهو النهر الكبير (٧) الرحيق هو اطيب وافضل أنواع الخمر (٨) اكثار (٩) الذهب

وأباريق مثل اعناق طير الـ ـماء قد جيب فوقهن خنيف (١)

ولو نظر اليها علقمة ابرق (٢) وفرق (٣) وعلم انه قد طرق ، (٤) ماابن عبدة (٥) وماقريقه؟ قد خسر وكسرا بريقه (٦) نظرة الى تلك الاباريق خير من بنت الكرمة العاجلية ومن كل ريق ضمنته هذه الدار الخادعة، ولو بصر بها عَدِيّ بن زيد ، لشغل عن المدام والصيد واعترف بأن اباريق مدامه أمر هين لا يعدل بنابت من حمصيص (٧) أو ماحقر من خر بصيص (٨) فأما الأقيشر السعدي فانه قال واعله سيندم :

افنى تلادى (٩) وما جمعت من نشب (١٠)

قرع القوازيز (١١) أفواه الاباريق (١٢)

ماهو وماشرابه؟ تقضت فى الخائنة آرابه (١٣)

---

(١) ثوب ابيض غليظ من الكتان (٢) تحير — دهش (٣) اشتد فزعه (٤) ضعف عقله (٥) كنية علقمة الفحل (٦) يشير بذلك الى قوله :

كأن ابريقهم ظبي برابية مجال بسبا الكتان مفدوم

(٧) بقلة رملية حامضة (٨) هنة في الرمل لها بصيص كأنها عين الجراد أو نبات له حب يتخذ منه طعام والغرض هنا التحقير (٩) قديمي (١٠) مال (١١) جمع قازوزة وهي قدح الشرب (١٢) أذهب ثروتي قديمها وحديثها ادماني معاقرة الخمر (١٣) جمع أرب

لو عاين تلك الأباريق لأيقن انه فتن بالغرور وسر بغير موجب للسرور ، وكم على تلك الانهار من آنية زبرجد وياقوت بين أصفر وأحمر وأزرق ، يخال ان لمس احرق ، كما قال الصنوبري :

تخيله ساطعاً وهجه فتأبى الدنو الى وهجه

وفي تلك الانهار أوان على هيئة الطير السابحة (١) والغانية عن الماء (٢) فنها ماهو على صور الكراكي وأخر تشاكل المكاكي ، وعلى خلق طواويس وبط ، فبعض في الجارية وبعض في الشط ، ينبع من أفواهها شراب لو جرع منه جرعة الحكمي (٣) لحكم بأنه الفوز ، وشهد له كل وصاف للخمر من محدث وعتيق أن أصناف الاشربة المنسوبة الى الدار الفانية كخمر عانة واذرعات وغزة وبيت راس ، وما جلب من بصرى وما اعتصر بصرخد أو أرض شام ، وما ورد ذكره من كميت بابل وصريفين ، وما عمل من أجناس المسكرات وماولد من النخيل ، اذا كانت تلك النطفة (٤) ملكة لا تصلح ان تكون برعاياها مشتبكة ، (٥) ويعارض تلك المدامة انهار من عسل مصفى ما كسبته النحل ولكن قال له العزيز القادر كن فكان

---

(١) المائية (٢) البرية (٣) هو أبو نواس (٤) الماء القليل وقيل هى الماء الصافي قل أو كثر والمقصود هنا المعنى الاول

(٥) متصلة بها أو منسوبة اليها

واها لذلك عسلا لو جعله الشارب المحرور غـذاءه طول الابد ماقدر له عارض موم (١) ولا لبس ثوب المحموم وذلك كله بدليل الآية : مثل الجنة التي وعد المتقون، فيها انهار من ماء غير آسن (٢) وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين ، وانهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات فليت شعري عن النمر بن تولب العكلي هل يقدر له ان يذوق ذلك الأري (٣) فيعلم ان شهد الفانية اذا قيس اليه وجد يشاكه (٤) الشري ، (٥) وهو لما وصف أم حصن ذكر حواري (٦) بسمن وعسل مصفى ، قال :

ألم بصحبتي وهم هجوع   خيال طارق من أم حصن
لها ما تشتهي عسلا مصفي   اذا شاءت وحواري بسمن

ولو خالط منّ (٧) من عسل الجنان ما خلقه الله سبحانه في هذه الدار الخادعة كالصاب والمقر (٨) لعد من اللذائذ

* * *

---

(١) مرض شديد الوطأة والخطر (٢) آجن أي متغير الطعم واللون (٣) العسل (٤) يشابه (٥) الحنظل (٦) خبزاً (٧) المن هو كل طل ينزل من السماء على شجر أو حجر ويحلو وينعقد عسلا ويجف جفاف الصمغ (٨) المر ـ الصبر ـ الحامض

واذا من الله ـ تبارك اسمه ـ بورود تلك الأنهار ، صادفيها الوارد سمك حلاوة لم ير مثله ، لو بصر به أحمد بن الحسين (١) لاحتقر الهدية التي اهديت اليه فقال فيها :

اقل ما في اقلها سمك   يلعب في بركة من العسل (٢)

فأما الانهار الخمرية فتلعب فيها اسماك هي على صور السمك بحرية ونهرية ، فاذا مد المؤمن يده الى واحدة من ذلك السمك شرب من فيها عذبا لو وقعت الجرعة منه في البحر الذي لا يستطيع ماءه الشارب لحلت منه اسافل وغوارب (٣)

***

وكأني به ـ وقد استحق تلك الرتبة ـ وقد اصطفي له ندامي

---

(١) هو احمد بن الحسين المتنبي الشاعر المعروف (٢) هذا البيت من قصيدة للمتنبي ارتجلها في صباه حين اهدى اليه عبيد الله بن خاقان هدية فيها سمك من سكر ولوز في عسل وأولها :

قد شغل الناس كثرة الأمل   وأنت بالمكرمات في شغل

ومنها :

هدية ما رأيت مهديها   الا رأيت العباد في رجل

أقل ما في أقلها سمك   يسبح في بركة من العسل

(٣) الغارب هو الكاهل أو ما بين السنام الى العنق والمقصود به هنا سطح البحر

من أدباء الفردوس كأخي ثمالة (١) وأخي دوس (٢) ويونس بن حبيب الضبي وابن مسعدة المجاشعي فهم كما جاء في الكتاب العزيز : ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين، لا يمسهم فيها نصب ، وماهم منها بمخرجين فصدر احمد بن يحيى (٣) هنالك قد غسل من الحقد على محمد بن يزيد فصارا يتصافيان ويتوافيان وابو بشر عمرو بن عثمان سيبويه قد رحضت (٤) سويداء قلبه من الضغن على عليّ بن حمزة الكسائي واصحابه لما فعلوا به في مجلس البرامكة ، وابو عبيدة صافي الطوية لعبد الملك بن قريب (٥) ، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار ، وهو منهم كما قال البكري :

---

(١) أخو ثمالة هو أبو العباس محمد بن يزيد المبرد صاحب كتاب الكامل وهو الذي يقول فيه الشاعر :

سألنا عن ثمالة كل حي فقال القائلون : ومن ثمالة ؟
فقلت: محمد بن يزيد منهم فقالوا: الآن زدتهم جهالة !

(٢) أخو دوس هو أبو بكر محمد بن دريد

(٣) أحمد بن يحيى هو المشهور بثعلب النحوي اللغوي وكان بينه وبين المبرد مناقاة

(٤) غسلت

(٥) هو الاصمعي

نازعتهم قضب الريحان مرتفقا [١]
وقهوة [٢] مزة [٣] راووقها [٤] خضل [٥]
لايستفيقون منها وهى راهنة
الا بهات وان علوا وان نهلوا
يسعي بها ذو زجاجات له نطف [٦]
مقلص اسفل السربال معتمل [٧]
ومستجيب [٨] لصوت الصنج [٩] تسمعه
اذا ترجع [١٠] فيه القينة الفضل [١١]

وأبو عبيدة يذا كرهم بوقائع العرب ،ومقاتل الفرسان

---

(١) متلطفا ـ مترفقا وقيل المرتفق هو المتكيء على المرفق (٢) خمرا (٣) لذيذة الطعم ـ فيها مزازة (٤) اناؤها وقيل الراووق هو مايخرج من ثقب الدن (٥) مبتل ـ ند يترشف نداه ـ دائم الندى (٦) جمع نطفة وهي الماء الصافي قل أو كثر ـ وهي ماء الرجل ، ومعناها هنا أنه مشرق الوجه جيل الطلعة لكثرة ماء وجهه (٧) مدرب (٨) قيل هو العود شبه صوته بصوت الصنج دعاه فاجابه (٩) نوع معروف من آلات الطرب (١٠) صرف من شدة الى لين

(١١) هي المتفضلة فى ثوب واحد أى المتوشحة به مخالفة بين أطراف ثوبيه على عاتقها ـ وقيل هى التي عليها ثوب بلادرع أو التي تحت درعها ازار

والأصمعي ينشدهم ما أحسن قائله ، وتهش نفوسهم للعب ، فيقذفون تلك الآنية في انهار الرحيق ، ويصفقها [١] الماذي [٢] أي تصفيق ، وتقترع [٣] تلك الآنية فيسمع لها اصوات تبعث [٤] بمثلها الاموات فيقول الشيخ . آه لمصرع الاعشى ميمون ! وددت انه ماصدته قريش لما توجه الى النبي — صلى الله عليه وسلم ، ولو انه أسلم لجاز أن يكون بيننا في هذا المجلس فينشدنا غريب الاوزان مما نظم في دار الاحزان ، ويحدثنا حديثه مع هوذة بن على وعامر بن الطفيل ويزيد بن مسهر وغيرهم ممن مدحه أو هجاه ، وخافه أو رجاه

(١) صفق الشراب نقله من اناء الى اناء (٢) العسل الأبيض
(٣) يصك بعضها بعضاً (٤) تحيا بعد الموت

نزهة ابن القارح

ثم انه ـ ادام الله تمكينه ـ يخطر له حديث شيء كان يسمي النزهة في الدار الفانية فيركب نجيبا (١) من نجب الجنة خلق من ياقوت ودر ، في سجسج (٢) بعد عن الحر والقر ، فيسير في الجنة على غير منهج ومعه شيء من طعام الخلود ، فاذا رأى نجيبه يمْلِع (٣) بين كثبان العنبر رفع صوته متمثلا بقول البكري : (٤)

ليت شعري متى تخب (٥) بنا النا
قة بين العذيب فالصيبون (٦)
محقبا (٧) زكرة (٨) وخبز رقاق
وحباقا (٩) وقطعة من نون (١٠)

حديث الاعشى

فيهتف هاتف « أتشعر أيها العبد المغفور له لمن هذا الشعر ؟ »

---

(١) جملا كريما (٢) معتدل لا حر فيه ولا برد (٣) يسير سيرا سريعا وخفيفا (٤) هو الأعشى (٥) نوع من سير الابل (٦) العذيب والصيبون مكانان ببلاد العرب (٧) واضعا في حقيبتي (٨) زقا صغيرا للخمر (٩) جرزة البقل (١٠) النون السمك ومعنى الابيات انه يبدي شوقه الشديد الى ركوب ناقته مسرعة به في رحلتها نحو العذيب والصيبون وقد وضع في حقيبته زق خمر صغيرا وخبز رقاق وحزمة من القت وقطعة من السمك ، وهذا هو كل زاده الشهي في تلك الرحلة الجميلة التي يتوق اليها

فيقول الشيخ : ،، نعم ، حدثنا أهل ثقتنا عن أهل ثقتهم ، أن هذا الشعر لميمون بن قيس بن جندل ،، فيقول الهاتف ،، أنا ذلك الرجل ، منّ الله عليّ بعد ما صرت من جهنم على شفير ، ويئست من المغفرة ،، فيلتفت اليه الشيخ هشا بشا مرتاحا ، فاذا هو بشاب غُرانق (١) وقد صار عشاه حورا وانحناء ظهره قواما ، فيقول « سحبتني الزبانية الى سقر ، فرأيت رجلا فى عرصات القيامة يتلألؤ وجهه تلألؤ القمر ، والناس يهتفون به من كل أوب (٢) ،، يا محمد يا محمد الشفاعة ! الشفاعة ! نمت بكذا ونمت بكذا ،، فصرخت فى أيدى الزبانية : يا محمد أغثني ، فان لى بك حرمة » فقال : « يا على بادره فانظر ما حرمته » فجاء على بن أبي طالب — صلوات الله عليه — وأنا أُعتَل (٣) كي ألقي في الدرك الاسفل من النار ، فزجرهم عني وقال ما حرمتك ؛ فقلت أنا القائل :

ألا أيهذا السائلي أين يممت
فان لها فى أهل يثرب موعدا

---

(١) جميل (٢) الأوب الطريق ومن كل أوب أي من كل طريق أو من كل جهة (٣) أجر بعنف

فآليت لا ارثي لها من كلالة
ولا من حفى حتى تلاقي محمدا
متى ما تناخي عند باب بن هاشم
تُريحي وتلقى من فواضله ندى
أجدك[١] لم تسمع وصاة محمد
نبي الاله حين اوصى وأشهدا :
اذا أنت لم ترحل بزاد من التقي
وأبصرت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله
وانك لم ترْصد[١] لما كان أرصدا[٢]

---

(١) أجدك ـ بفتح الجيم وكسرها أي أبجد منك هـذا وهو منصوب على نزع الخافض (٢) أرصد الرقيب أي نصبه على الطريق (٣) معنى الأبيات : ايهـا السائلي اين تذهب بي ناقتي ، انها ذاهبة الى يثرب ، الى محمد بن عبد الله ، وقد اقسمت لا أريحها ولا أشفق عليها مهما عانت من الانضاء والتعب حتى تبلغ أعتاب هذا النبي الـكريم ، فاذا انتهت الى بابه رأت من كرمه وفواضـله ماينسيها كل مالقيته من الجهد والنصب ، الم يبلغك بربك ما أوصي به هذا النبي لتدرك السبب الذي حفزني الى لقائه ، لقد حث على التزود من التقي والعمل بما أتى به

وقد كنت أومن بالله وبالحساب ، واصدق بالبعث وأنا فى الجاهلية الجهلاء ، فذهب عليّ إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال «يارسول الله ، هذا أعشى قيس ، قد روى مدحه فيك ، وشهد انك نبي مرسل » فقال هلا جاء فى الدار السابقة ؛ فقال على قد جاء ولكن صدته قريش وحبه للخمر ، فشفع لى فادخلت الجنة على أن لا أشرب فيها خمراً ، فقرت عيناى بذلك ، وان لى منادح[1] فى العسل وماء الحيوان ، وكذلك من لم يتب من الخمر فى الدنيا لم يسقها في الآخرة

حديث زهير ابن ابى سلمى

وينظر الشيخ فى رياض الجنة فيرى قصرين مُنيفَين[2] فيقول فى نفسه : لا بلغن هذين القصرين فاسأل لمن هما ، فاذا قرب منهما رأى على احدهما مكتوبا (هذا القصر لزهير بن أبي سلمى المزني) وعلى الآخر (هذا القصر لعَبيد بن الابرص

من التشريع السامي ، وبين مآل المتهاونين فى تنفيذ تلك الوصايا الحكيمة ومقدار مايلحق المفرطين من الندم الشديد حين يرون مازف من الخير فى الدار الآخرة الى من أطاعه وعمل بنصائحه في الدار الأولى

(١) جمع مندوحة أى سعة أوغنية (٢) عاليين

الأسدى) فيعجب من ذلك ويقول « هذان ماتا فى الجاهلية ، ولكن رحمة ربنا وسعت كل شيء ، وسوف ألتمس لقاء هذين الرجلين فأسألهما بم غفر لهما » فيبتدىء بزهير فيجده شابا كالزهرة الجنيه ، كأنه ما لبس جلباب هَرَم ، ولا تأفف من البرم [١] وكأنه لم يقل فى الميمية :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولا ـ لا أبالك ـ يسأم

ولم يقل في الاخرى

ألم ترنى عمرت تسعين حجّة
وعشرا تباعا عشتها وثمانيا

فيقول جير جير [٢] ، أنت ابو كعب وبجير ! . فيقول نعم ، فيقول بم غفر لك وقد كنت فى زمان الفترة والناس همل لا يحسن منهم العمل ؟ فيقول : كانت نفسى من الباطل نفورا فصادفت ملكا غفورا وكنت مؤمنا بالله العظيم ، ورأيت فيما يرى النائم حبلا نزل من السماء فمن تعلق به من سكان الارض سلم ، فعلمت أنه أمر من أمر الله ، فأوصيت بني وقلت لهم عند الموت ان قام قائم

---

(١) البرم من لا يلعب الميسر لبخله وكان ذلك من المثالب عند العرب (٢) نعم نعم

يدعوكم إلى عبادة الله فأطيعوه ، ولو ادركت محمدا لكنت أول المؤمنين ، وقلت فى الميمية والسفه ضارب بالجران (١)

فلا تكتمن الله فى نفوسكم
ليخفي ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر
ليوم حساب أو يقدم فينقم (٢)

فيقول ألست القائل :

وقد اغدو على ثبة (٣) كرام
نشاوى (٤) واجدين لما نشاء
يجرون البرود وقد تمشت
حميا (٥) الكأس فيها والغناء (٦)

---

(١) الجران مقدم عنق الناقة والضرب بالجران كناية عن الاقامة (٢) اتركو الرياء فلا فائدة منه ، ولا تخفوا ماتضمرون فان الله عليم بذات الصدور ومجاز كل انسان بما يضمره عاجلا أو آجلا (٣) جماعة (٤) سكارى (٥) حميا الكأس سورتها وشدتها أو اسكارها وأخذها بالرأس (٦) معنى البيتين : ويارب مجلس أنس غدوت اليه فنعمت فيه بمنادمة اخوان كرام صفابهم وقتنا ، واكتمل بجمعهم انسنا ولم ينقصنا شيء من مجلبات السرور وقد تمكنت سورة الخمر من رءوس هؤلاء الندامى فمشوا مترنحين يختالون في أبرادهم

أفاطلقت لك الخمر كغيرك من إصحاب الخلود أم حرمت عليك مثلما حرمت على أعشى قيس ؟ فيقول زهير ,, إن أخا قيس ادرك محمدا فوجبت عليه الحجة لانه بعث بتحريم الخمر وحظر مافبح ، وهلكت انا والخمر كغيرها من الاشياء يشربها أتباع الانبياء ، فلاحجة على ،، فيدعوه الشيخ إلى المنادمة فيجده من ظراف الندماء، فيسأله عن أخبار القدماء

حديث عبيد

ثم ينصرف إلى عَبيد فاذا هو قد اعطى بقاء التأبيد ، (١) فيقول ,, السلام عليك يا أخا بنى أسد ،، فيقول «وعليك السلام» وأهل الجنة أذكياء ـ « لعلك تريد أن تسألني بم غفر لى ؟» فيقول « اجل. وأن في ذلك لعجباً ! » فيقول عبيد ,, إني دخلت الهاوية وكنت قلت في أيام الحياة ،،

من يسأل الناس يحرموه

وسائل الله لا يخيب

وسار هذا البيت فى آفاق البلاد فلم يزل ينشد ويخف عنى

---

(١) الخلود

العذاب حتى أطلقت من القيود والاصفاد ، ثم كرر الى أن شملتني الرحمة ببركة هذا البيت ، وان ربنا لغفور رحيم

فاذا سمع الشيخ ماقال ذانك الرجلان طمع في سلامة كثير من أصناف الشعراء.

حديث عدي بن زيد

فيقول لعبيد ألك علم بعَدِيّ بن زيد العِبادىّ ؟ فيقول ,, هذا منزله قريباً منك . ،، فيقف عليه فيقول : ,, كيف كانت سلامتك على الصراط ؟ ،، فيقول : ,,إني كنت على دين المسيح ، ومن كان من اتباع الانبياء قبل أن يبعث محمد فلا بأس عليه ، وانما التبعة على من سجد للاصنام،، فيقول الشيخ : ,,لقد هممت أن اسألك عن بيتك الذي استشهد به سيبويه وهو قولك

أرواح مودّع أم بكور أنت فانظر لأي حال تصير

فانه يزعم أن (أنت) يجوز أن ترفع بفعل مضمر يفسره قولك فانظر ، وأنا استبعد هذا المذهب ولا اظنك أردته ؟ فيقول عدىّ بن زيد ,, دعني من هذه الاباطيل !

,, ولكني كنت في الدار الفانية صاحب قنص فهل لك أن

نركب فرسين من خيل الجنة فنبعثهما على صيرانها[1] وخيطان[2] نعامها وأسراب ظبائها وعانات[3] حمرها ، فان للقنيص لذة؛ ،، فيقول الشيخ : ،، انما أنا صاحب قلم ولم أكن صاحب خيل! وما يؤمنني اذا ركبت طرفاً ـ وأنا كما قال القائل :

لم يركبوا الخيل إلا بعدما كبروا فهم ثقال على اكتافها عُنُف

ـ أن يلحقني ما لحق صاحب المتجردة لما حمل على اليحموم ! ، ويجوز أن يقذفني السابح[4] على صخور زمرد فيكسر لي عضداً أو ساقاً ، فأصير ضحكة في أهل الجنان ! ،، فيبتسم عدي ويقول ،، ويحك! أما علمت أن الجنة لا يرهب لديها السقم ولا تنزل بسكانها النقم ؟ ،، فيركبان سابحين في خيل الجنة مركب كل واحد منهما لو عدل بممالك العاجلة من أولها إلى آخرها لرجح بها وزاد في القيمة عليها ، فاذا نظرا إلى صوار[5] ترتع في رياض الفردوس ، صوب الشيخ الرمح لاخنس[6] ذيال[7] ، فاذا لم يبق بين السنان وبينه إلا قيد ظفر قال ،، أمسك رحمك الله ، فاني لست من وحش الجنة

---

(١) الصيران جمع صيار وهي لغة في صوار والصوار بالضم (ويكسر) القطيع من بقر الوحش (٢) جماعات النعام (٣) العانة القطيع من حمر الوحش (٤) الحصان الذي اذا جري صار كأنه يسبح (٥) جماعة بقر الوحش (٦) الحمار الوحشي (٧) طويل الذيل

التي انشأها الله سبحانه ولم تكن في الدار الزائلة ، ولكني كنت أروض في بعض القفار فمر بي ركب مؤمنون قد كرى [١] زادهم فصرعوني واستعانوا بي على السفر ، فعوضني الله بأن اسكنني في الخلود ،، فيكف عنه الشيخ ، ويعمد لعاج وحشي ما التلف عنده بخشي ، فاذا صار الخرص [٢] منه بقدر انملة قال ،، أمسك يا عبد الله ، فان الله أنعم علي ورفع عني البؤس ، وذلك اني صادني صائد بخلب وكان اهابي [٣] له كالسلب [٤] فباعه في بعض الامصار ، فاتخذ منه غرب [٥] شفي بمائه الكرب وتطهر بنزيعه [٦] الصالحون ، فشملتني بركة من اولئك فدخلت الجنة أرزق فيها بغير حساب ،، فيقول الشيخ ،، فينبغي أن تتميزن ، فما كان منكن دخل الفانية فما يجب أن يختلط بوحوش الجنة ، فيقول ذلك الوحشي ،، لقد نصحتنا نصح الشفيق ، وسوف نمتثل ما أمرت ،،

حديث الهذلي

وينصرف مولاي الشيخ وصاحبه عدي ، فاذا هما برجل يحتلب ناقة في اناء من ذهب ، فيقولان من الرجل ؟ فيقول

(١) نقص (٢) السنان أو الرمح القصير (٣) جلدي (٤) مايسلبه الرجل من قرنه (٥) الغرب الدلو العظيمة (٦) ما ينتزع من الماء

أبو ذؤيب الهذلي ، فيقولان ،، حييت وسعدت ، أتحتلب مع انها من لبن؛ ،، فيقول لا بأس . انما خطرلى ذلك مثلما خطرلكما القنص ، واني ذكرت قولي في الدهر الأول :

وان حديثا منك لو تعلمينه
جنى النحل في البان عوذ[1] مطافل
مطافيل ابكار حديث نتاجها
تشاب بماء مثل ماء المفاصل[2]

فقيض الله بقدرته لى هذه الناقة مطفلا ، فقمت احتلب على العادة وأريد أن أشوب ذلك بضرب[3] نحل، فاذا امتلأ اناؤه من الرسل[4] كون البارىء — جلت عظمته — خلية من الجوهر رتع ثَـوْلُها[5] في الزهر ، فاجتني ذلك أبو ذؤيب ومزج حليبه ، فيقول ألا تشربان ؟ فيجرعان من ذلك المحلب جرعا لو فرقت على

---

(١) جمع عائذ وهي القريبة العهد بالنتاج (٢) ماء المفاصل هو المـاء بين جبلين من رمل ورضراض وهو من اصفى انواع المياه وأعذبهـا ومعنى البيتين ان لاحاديثك الجميلة لذة عظيمة اجدها في نفسي وعذوبة لا يماثلهـا الاعذوبة الشهد امتزج بأشهى الباين الابل (٣) الضرب هو العسل الأبيض (٤) اللبن

(٥) الثول جماعة النحل

أهل سقر لفازوا بالخلد ، فيقول عدي : «الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق ، ونودوا أن تلكم الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون».

حديث النابغتين

ويمضي في نزهته تلك بشابين يتحادثان كل واحد منهما على باب قصر من در ، قد أعفي من البؤس والضر ، فيسلم عليهما ويقول «من انتما — رحمكما الله — وقد فعل» فيقولان نحن النابغتان نابغة بني جعدة ونابغة بني ذبيان ، فيقول — ثبت الله وطأته — «أما نابغة بني جعدة فقد استوجب ماهو فيه بالحنيفية [1] ، وأما أنت يا أبا أمامة فما أدري ماجهتك !» فيقول الذبياني : اني كنت مقرا بالله وحججت البيت في الجاهلية ، ألم تسمع قولي:

فلا لعمر الذي قد زرته حججا [2]
وما هريق [3] على الانصاب [4] من جسد [5]

(١) بالاسلام (٢) سنين (٣) أريق أوصب (٤) هي الحجارة التي كانوا يذبحون عليها القرابين حول الكعبة ومفردها نصب وهو ماينصب للعبادة (٥) دم

والمؤمن العائذات (١) الطير تمسحها (٢)
ركبان مكة بين الغيل (٣) والسند (٤)

وقولي :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة
وهل يأثمن ذو أمة (٥) وهو طائع
بمصطحبات من لصاف (٦) وثبرة (٧)
يردن إلالا (٨) سيرهن تدافع (٩)

ولم أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فتقوم الحجة عليّ بخلافه وان الله تقدست اسماؤه يغفر ما عظم وقل »

فيقول « يا أبا سوادة ويا أبا أمامه ويا أبا ليلى اجعلوها ساعة

---

(١) الحديثات النتاج (٢) تتبعها وتمر ايديها عليها بلطف (٣) الشجر الكثير الملتف (٤) ماقابلك من الجبل وعلا من السفح ، والغيل السند هنا موضعان ، وخلاصة معنى البيتين انه يقسم بالله الذى حج الي بيته مرارا ويقسم بما أريق على حجارة الكعبة المقدسة من دماء القرابين وبمن أمن طيور تلك الناحية التي يلاطفها ركبان مكة بين الغيل والسند ، ليثبت للنعمان انه صادق فيما يقول . (٥) دين (٦) لصاف موضع من منازل بني تميم (٧) الارض السهلة (٨) هزالا (٩) المعنى انه يقسم للنعمان ليزيل ماعلق بنفسه من الريبة ويمحو منها الأثر السيء الذي خلفته وشايات اعدائه، ويؤكد له انه بار في قسمه وانه غير حانث في يمينه

منادمة ، فان من قول شيخنا العبادى

أيها القلب تعلل بدَدَن (١)

ان همي في سماع واذن

وشراب خسرواني اذا

ذاقه الشيخ تغنى وارجحن (٢)

فكيف لنا بأبي بصير ؟ فلا تتم الكلمة الا وابو بصير قد خمسهم (٣) فيسبحون الله ويقدسونه ويحمدونه على أن جمع بينهم ، ويتلو هذه الآية : وهو على جمعهم اذا يشاء قدير ، فاذا اكلوا من طيبات الجنة وشربوا من شرابها الذى خزنه الله لعباده المتقين قال الشيخ : «يا أبا امامة انك لحصيف (٤) الرأى لبيب ، فكيف حسن بك لبك أن تقول للنعمان بن المنذر :

زعم الهمام بأن فاها بارد

عذب اذا ما ذقته قلت ازدد

---

(١) الددن أو الدد اللهو أو اللعب (٢) اهتز وتمايل والمعنى : الله أيها القلب وانس همومك فانك مولع بسماع الغناء ومعاقرة ذلك الشراب الخسرواني الذى ينسى الشيخ ـ حين يشربه ـ وقار شيخوخته فيتمايل من النشوة راقصا مغنيا (٣) صار خامسهم (٤) سديد او محكم

زعم الهمام — ولم اذقه — بأنه
يشفى ببرد لثاتها العطش الصدى (١)

ثم استمر بك القول حتى انكره عليك خاصة وعامة ،، فيقول النابغة بذكاء وفهم : ،، لقد ظلمنى من عاب عليّ ، ولو انصفنى لعلم أنى احترزت أشد احتراز ، وذلك أن النعمان كان مستهترا (٢) بتلك المرأة ، فأمرني أن اذكرها فى شعرى ، فأدرت ذلك فى خلدى فقلت ،، ان وصفتها وصفا مطلقا جاز أن يكون بغيرها معلقا ،، وخشيت أن اذكر اسمها فى النظم فلا يكون ذلك موافقا للملك ، لأن الملوك يأنفون من تسمية نسائهم ، فرأيت أن اسند الصفة اليه فاقول (زعم الهمام) اذ كنت لو تركت ذكره لظن السامع أن صفتى على المشاهدة ، والابيات التى جاءت بعدُ داخلة فى وصف الهمام ، فمن تأمل المعنى وجده غير مختل . وكيف ينشدون : واذا نظرت رأيت أقمر مشرقا وما بعده ؟ ،، فيقول الشيخ: ،، ينشد واذا نظرت واذا لمست واذا طعنت واذا نزعت

(١) الشديد الظمأ والمعنى ان الملك النعمان حكى لنا ان رضاب زوجه المتجردة لذيذ المجتني حلو الطعم ، كلما ارتشفته ازددت هياما به واندفاعا الي رشفه ، فاذا تذوقته وقد اجهدك العطش زال ظمؤك وثلج صدرك ، ذلك هو مايحكيه لنا المليك أرويه عنه وان كنت لم اذقه

(٢) متفانيا فى حبها

على الخطاب ،، فيقول النابغة ،، قد يسوغ هذا ولكن الأجود ان تجعلوه اخبارا عن المتكلم ، لأن قولي زعم الهمام يؤدي معنى قولنا : قال الهمام ، فهذا أسلم ، اذ كان الملك انما يحكي عن نفسه ، واذا جعلتموه على الخطاب قبح ، إن نسبتموه الىّ فهو منديه وان نسبتموه الى النعمان فهو ازراء وتنقص ،، .

فيقول : ،، لله درك يا كوكب بني مرة ! ولقد صحف عليك أهل العلم من الرواة ، وكيف لي بأبوي عمرو المازني والشيباني وابي عبيدة وعبدالملك وغيرهم من النقلة ، لأسألهم كيف يروون ، وأنت شاهد ، لتعلم أني غير المتخرص[1] ولا الولاغ[2] ،، فلا يقر هذا القول في حذنة[3] ابي أمامة الا والرواة اجمعون قد احضرهم الله القادر من غير مشقة نالتهم ، ولا كلفة في ذلك أصابتهم ، فيسلمون بلطف ورفق فيقول : «من هذه الشخوص الفردوسية ؟» فيقولون : « نحن الرواة الذين شئت احضارهم آنفا » فيقول « لا إله إلا الله ! كيف تروون قول النابغة في الدالية ، واذا نظرت واذا لمست واذا طعنت واذا نزعت ، أبفتح التاء ام بضمها ؟ »

---

(١) الكاذب (٢) الكثير الولوغ من ولغ الكلب في الاناء وهي هنا بمعنى الرجل الذي لا حياء فيه (٣) أذن

فيقولون بفتحها ،فيقول « هذا شيخنا ابو أمامة يختار الضم ويخبر انه حكاه عن النعمان ، فيقولون : هو كما جاء في الكتاب الكريم . « والامر اليك فانظري ما ذا تأمرين ؟ »

فيقول الشيخ : « مضي الكلام في هذا يا أبا أمامة،فأنشدنا كلمتك التي أولها :

ألما على المطورة [١] المتأبدة [٢]
أقامت بها في المربع [٣] المتجردة [٤]
مضمخة بالمسك مخضوبة الشوى [٥]
بدر وياقوت لها متقلدة
كأن ثناياها ـ وما ذقت ـ طعمها
مجاجة [٦] نحل في كميت [٧] مبردة
ليقرر بها النعمان عينا ، فانها
له نعمة في كل يوم مجددة [٨]

---

(١) الارض التي أصابها مطر (٢) التي سكنها الوحوش (٣) محل الاقامة في الربيع (٤) اسم امرأة (٥) الاطراف ومخضوبة الشوى أي ملونة اطرافها بالحناء (٦) ريق (٧) خمر (٨) عرجا على تلك الارض التي جادها الغيث بسقياه ، حيث تقيم المتجردة زوج النعمان التي ينعم بحسنها الدائم التجدد كل يوم والتي تضمخت بالمسك ، وخضبت اطرافها

فيقول أبو امامة . ما أذكر انى سلكت هذا القريّ قط

فيقول مولاي الشيخ: « ان ذلك لعجب؛ فمن الذي تطوع فنسبها اليك ! » فيقول: « انها لم تنسب الى على سبيل التطوع ولكن على معني الغلط والتوهم، ولعلها لرجل من بنى ثعلبة بن سعد »، فيقول نابغة بني جعدة . « صحبنى شاب فى الجاهلية ونحن نريد الحيرة ، فأنشدني هذه القصيدة لنفسه ، وذكر انه ابن ثعلبة ، وصادف قدومه شكاة [1] من النعمان ، فلم يصل بها اليه ، فيقول نابغة بنى ذبيان ؛ « ما أجدر ذلك ان يكون »

مجلس غناء

ويعرف[2] من إوز الجنة فلا يلبث أن ينزل على تلك الروضة ويقف وقوف منتظر لامر ، ومن شأن طير الجنة أن يتكلم ،

بالحناء ، وتقلدت الدر ، وماثل طعم ريقها — وان كنت لم اذقه — شهدا ممزوجاً بخمر بارد

وهذه أبيات تبدو عليها مسحة التكلف والبعد عن الاسلوب الجاهلى لمن ينظر اليها بأدنى تأمل، ونرجح أنها من مختلقات الرواة — وما اكثرها — وهي عندنا تقليد غير متقن لدالية النابغة التى وصف فيها المتجردة زوج النعمان وقد وردت في ص٣٢ من هذا الكتاب(١) توعكا

(٢) سرب

فيقول: ،،ماشاء نكن !،، فيقلن: ،،ألهمنا أن نسقط فى هذه الروضة فنغنى لمن فيها من شرب،، فيقول: ،،على بركة الله القدير، فينتفضن فيصرن جوارى كواعب، يرفلن[١] في وشي[٢] الجنة، وبأيديهن المزاهر[٣] وانواع مايلتمس به الملاهي، فيعجب وحق له العجب، وليس ذلك ببديع من قدرة الله جلت عظمته: فيقول لاحداهن على سبيل الامتحان. « اعملى قول ابى أمامة وهو هذا القاعد:

أمن آل مية رائح[٤] أو مغتدي[٥]

عجلانَ ذا زاد وغير مزوَّد

ثقيلا أول. ،، فتصنعه فتجيء به مطربا، وفى اعضاء السامع متسربا، ولو نحت صنم من أحجار ثم سمع ذلك الصوت لرقص، فيقول. ،، هلم خفيف الثقيل الأول،، فتنبعث فيه بنغم لو سمعه الغريض[٦] لأقرأن ماترنم به مريض، فاذا أجادته، قال عليك بالثقيل الثاني. فتأتى به، فاذا رأى ذلك قال « سبحان الله، كلما

---

(١) يتخايلن أو يتبخترن (٢) حرير (٣) جمع مزهر وهو نوع من آلات الطرب (٤) عائد وقت المساء (٥) ذاهب وقت الغداة أى الضحى (٦) المغني الحاذق وهو هنا اسم مغن معروف

كُشفت القدرة بدت لها عجائب ، فصيري الى خفيف الثقيل الثاني فانك لجيدة محسنة ، ثم يقترح عليها الرمل وخفيفه وأخاه الهزج ، فاذا تيقن لها حذاقة ، وعرف منها بالعود لبانة ، هلل وكبر وأطال حمد ربه واعتبر وقال « ويحك . الم تكوني الساعة إوزة طائرة فمن أين لك هذا العلم ؟ ، لو نشأت بين معبد وابن سريج ، لماهجت السامع بهذا الهيج ! ! فكيف نفضت بله الاوز ؟ فتقول « وما الذى رأيت من قدرة بارئك ! انك على سِيف (١) بحر لا يدرك له عبر (٢) ، سبحان من يحي العظام وهى رميم ، »

حديث لبيد

فبينما هم كذلك اذمر شاب فى يده محجن (٣) ياقوت فيسلم عليهم فيقولون « من انت » ، فيقول « انا لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب » فيقول « أكرمت أكرمت ، لو قلت لبيد وسكت ، اشهرت باسمك ، فما بالك في مغفرة ربك ! » فيقول « انا بحمد الله فى عيش قصر أن يصفه الواصفون ، لا هرام ولا برم »

---

(١) السيف بكسر السين الشاطىء (٢) العبر الساحل الاخر

(٣) العصى المنعطفة الرأس كالصولجان

فيقول الشيخ « تبارك الملك القدوس ، ومن لا تدرك يقينه الحدوس (١) ، كأنك لم تقل فى الدار الفانية .

ولقد سئمت من الحياة وطولها
وسؤال هذا الناس كيف لبيد

ولم تفه بقولك

فتى أهلك فلا أحفله (٢)
بجلى (٣) الآن من العيش بجل
من حياة قد مللنا طولها
وجدير طول عيش أن يمل (٤)

فأنشدنا ميميتك المعلقة » ، فيقول « هيهات ! انى تركت الشعر في الدار الخادعة ، ولن أعود اليه فى الدار الآخرة وقد عوضت ماهو خير وأبر »

فيقول : أخبرنى عن قولك :

---

(١) الظنون (٢) احفل به

(٣) بجلى من العيش أي حسبي ما عشته (٤) خلاصة معنى البيتين هو : متى وافانى اجلى لم اكترث له فقد انقضت لباناتى من الدنيا وحسبي هذا الزمن الطويل الذى عشته متبرماً بهذه الحياة المملة المسئمة .

ترّاكُ أمكنة اذا لم أرضها
أو يرتبط بعض النفوس حمامُها

هل أردت ببعض معنى كل ؟ فيقول لبيد « كلا. انما اردت نفسي، وهذا كما تقول للرجل ـ اذا ذهب مالك اعطاك بعض الناس مالا ـ وأنت تعني نفسك في الحقيقة ، وظاهر الكلام واقع على كل انسان، وعلى كل فرقة تكون بعضا للناس ».

فيقول « أخبرني عن قولك: أو يرتبط . هل مقصدك أذا لم أرضها أو لم يرتبط ، أم غرضك . أترك المنازل أو يرتبط فيكون يرتبط كالمحمول على قولك تراك امكنة ؟ » فيقول لبيد « الوجه الاول أردت »

* * *

ويخطر له غناء القيان بالفسطاط ومدينة السلام ، ويذاكر ترجيعهن بميمية المخبَّل السعدى ، فتندفع تلك الجوارى التى نقلتهن القدرة من خلق الطير الى خلق الحور، تلحن قول المخبل السعدي .

ذكر الرباب وذكرها سقم
وصبا ، وليس لمن صبا عزم

وإذا ألم خيالها طرفت
عيني فماء شؤونها (١) سجم (٢)
كاللؤلؤ المسجور (٣) توبع في
سلك النظام فخانه النظم (٤)

فلا يمر حرف ولا حركة الا ويوقع مسرة لو عدلت بمسرات أهل العاجلة منذ خلق الله آدم الي ان طوى ذريته، لكانت الزائدة على ذلك زيادة اللج المتموج على دمعة الطفل، والهضب (٥) الشامخ على الهباءة (٦) ، ويقول لندمائه « الا تسمعون قول السعدي:

وتقول عاذلتي وليس لها
بغد ولا ما بعده علم:

---

(١) الشؤون مجارى الدموع (٢) مسكوب ـ سائل (٣) المنظوم

(٤) تذكر الرباب فاشجاه ذكرها ، وحن اليها فخارت قواه ووهن عزمه ، والم به خيالها فسحت عيناه بالدموع كما انفرط عقد من اللؤلؤ المنظوم فتساقط متتابعا

(٥) الهضب المرتفع من الارض أو الجبل المنبسط أو كل جبل خلق من صخرة واحدة

(٦) الهباءة القطعة من الهباء وهو الغبار يشبه الدخان ويرى منبثا في ضوء الشمس

„ إن الثراء هو الخلود وان
المرء يكرُب [١] يومه العدم „
ولئن بنيت لي المشقّر [٢] في
عنقاء [٣] تقصر دونها العصم [٤]
لتنقبن عني المنية ان
الله ليس كحكمه حكم [٥]

فيقول « انه المسكين قال هذه الابيات وبنو آدم فى دار المحن والبلاء والوالدة تخاف المنية على الولد، والفقر يرهب ويتقى

---

(١) من باب نصر، يشق عليه أو يحزنه ومعناها هنا يكدر أو ينغص عليه يومه (٢) مكان ببلاد العرب (٣) سامقة شديدة العلو وهي صفة لموصوف محذوف هو كلمة قنة (٤) جمع أعصم وهو الوعل (٥) معنى الابيات : تلحانى عاذلتي على كرمي لانها ترى فى الغنى كل معاني الراحة والخلود وتري أن الانسان اذا صفرت يده من المال اسود عيشه وارتبك امره ، وهذا لعمرى رأي مأفون دفعها اليه قصر نظرها وجهلها بالغد ، ولو أنها رشدت لعلمت أن كل ما في الدنيا من زخرف وزينة عبث وضلال، وان الموت سيختم هذه الحياة الخادعة فلا تصده عنا قنة سامقة نلوذ بها في كنف جبل شاهق ولا تفلتنا من قضاء الله حيلة ، واذن فما قيمة المال ندخره ونبخل به ؟؟ ومن اعا ذلتى ان تدرك هذه الحقيقة فتعذرنى وتكف عن لومى

والمال يطلب ويستبقى ، فالحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، ان ربنا لغفور شكور . الذى احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لُغوب [١] ، فتبارك الله القدوس ، نقل هؤلاء المسمعات [٢] من زى ربات الاجنحة [٣] إلى زى ربات الا كفال المترجحة [٤] ثم الهمهن بالحكمة حفظ اشعار لم تمرر قبل بمسامعهن فجئن بها متقنة محمولة على الطرائق ملحنة !! — ولقد كانت الجارية فى الدار العاجلة اذا تُفرست فيها النجابة واُحضرت لها الملحنة لتلقي اليها ما تعرف من ثقيل وخفيف تقيم معها الشهر والشهرين قبل أن تلقن بيتا من الغزل أو بيتين ، ثم تعطي المائة أو المائتين ، فسبحان القادر !

مشاجرة الجعدي والاعشى

ويقول نابغة بنى جعدة وهو جالس يستمع ”يا أبا بصير أهذه الرباب التى ذكرها السعدى“ هي ربابك التى ذكرتها فى قولك

بعاصي العواذل طلق اليدين

يعطي الجزيل ويرخي الازارا

(١) شدة التعب والاعياء

(٢) المغنيات (٣) الطيور (٤) النساء

فما نطق الديك حتى ملأ
تُ كوب الرباب له فاستدارا
اذا انكبّ أزهرُ (١) بين السقا
ة تراموا به غَرَبا أو نضارا (٢)

فيقول ابو بصير (٣) « قد طال عمرك يا أبا ليلى وأحسبك أصابك الفند (٤) فبقيت على فندك (٥) الى اليوم ! . أما علمت أن اللواتي يسمّين بالرباب أكثر من أن يحصين ؛ أفتظن أن الرباب هذه هي التي ذكرها القائل :

---

(١) الازهر ابريق الخمر قال عنترة :

ولقد شربت من المدامة بعدما ركد الهواجر بالمشوف المعلم
بزجاجة صفراء ذات أسرة قرنت بأزهر في الشمال مفدم

أى شربت الخمر بعد أن سكن قيظ الهواجر الشديد، بالقدح المجلو المنقوش بزجاجة صفراء مخططة قرنتها بأبريق مسدود الرأس بالفدام

(٢) الغرب الفضة أو القدح أو الجام الفضى والنضار الذهب ، ومعنى الابيات أنه حل بساحة كريم ينفق المال غير مصيخ لعذل اللائمات ويمشي متبختراً ، وانه نادمه وقت السحر فما اذن ديك الصباح حتى دارت الكؤوس وكان الندامى لفرط سرورهم بالخمر لا يكاد يوضع ابريق مدامة حتى يترامو به متهافتين على الشراب (٣) كنية الاعشى (٤) الخرف افن الرأى (٥) ضلالك

ما بال قومك يا ربابُ
خُزْرا (١) كأنهم غضابُ
غاروا عليك وكيف ذا
كـ ودونك الخرْق (٢) اليباب (٣)

أو التي ذكرها امرؤ القيس في قوله :

وجارتها ام الرباب بمأسل

فيقول نابغة بني جَعْدة « أتكلمني بمثل هذا الكلام ياخليع بني ضبيعة ،وقد متَّ كافراً وأقررت على نفسك بالفاحشة، وأنا لقيت النبي صلى الله عليه وسلم فأنشدته كلمتي التي أقول فيها :

بلغنا السماء مجدُنا وسناؤنا (٤) وانا لنبغي فوق ذلك مظهرا (٥)

فقال لي « الى اين يا ابا ليلى » فقلت « الى الجنة بك يا رسول الله » فقال : « لا يفضض الله فاك »

---

(١) الخزر ضيق العين

(٢) الارض الواسعة تنخرق فيها الرياح (٣) اليباب الخراب حيث لا يقيم أحد ومعنى البيتين : « ما الذي أسخط قومك فضاقت اعينهم من الغضب ، والنظر الشزر ، أيغارون عليك من الاعداء والمغيرين وبينك وبين الناس تلك الصحراء الواسعة التي لا يسكنها انسان وهي وحدها كفيلة بحمايتك منهم (٤) رفعتنا (٥) مكانا نصعد اليه

أغرك ان عدك بعض الجهال رابع الشعراء الاربعة ، وكذب مفضلك ، وانى لاطول منك نفسا ، وا كثر تصرفا ،ولقد بلغت بعدد البيوت ما لم يبلغه احد من العرب قبلى ،وانت لاه بعفارتك [١] تفترى على كرائم قومك ، وإن صدقت تخزيا لك ولمقارك [٢] ،،

فيغضب ابو بصير فيقول : ،، اتقول هذا وإن بيتا مما بنيت ليعدل بمائةمن بنائك ؟ وإن اسهبت فى منطقك فان المسهب كحاطب الليل ، وإنى لفى الجرثومة [٣] من ربيعة الفرس ، وهل جعدة الا رائدة ظليم [٤] نفور ؟ أتعيرنى مدح الملوك يا جاهل ، ولو قدرت على ذلك لهجرت اليه أهلك وولدك ؟ ولكنك خلقت جبانا ، لا تدلج [٥] فى الظلماء الداجية ولا تهجّر [٦] فى الوديقة [٧] الصاخدة [٨] ،،

فيقول الجعدىّ : ،، اسكت يا ضُل بن ضُل ، فأقسم ان

---

(١) العفارة الخبث والنكر ، وهي أيضا تلقيح النخل واصلاحه ، والمقصود هنا المعنى الاول أى انك كنت لاهيا بأضاليلك وأعمالك الشيطانية الخبيثة (٢) مواطنك (٣) الصميم (٤) ذكر النعام (٥) لا تسير ليلا (٦) لا تسير في الهاجرة (٧) شدة الحر فى الهاجرة (٨) الشديدة القيظ

دخولك الجنة من المنكرات ، ولكن الاقضية جرت كما شاء الله، لحَقّك أن تكون فى الدَّرْك الأسفل من النار ، ولقد صَلِى بها من هو خير منك ، ولو جاز الغلط على رب العزة لقلت انك غلط بك ! ألست القائل :

فدخلت اذ نام الرقيب فبت دون ثيابها
حتى اذا ما استرسلت للنوم بعد لعابها (١)
قسمتها نصفين كل مسوَّد (٢) يرمي بها (٣)
فثنيت جيد غريرة (٤) ولمست بطن حقابها (٥)
كالحقة (٦) الصفراء صا ك (٧) عبيرها (٨) بملابها
واذا لها تامورة (١٠) مرفوعة لشرابها (١١)

---

(١) لعبها (٢) سيد (٣) يحرزها أو يظن به الظنون من اجلها
(٤) جميلة (٥) وسطها (٦) الحقة وعاء من حشب أو عاج
(٧) امتزج ـ اختلط ـ لصق (٨) العبير أخلاط من الطيب
(٩) الملاب نوع من العطر أو الطيب قيل هو الزعفران
(١٠) التامورة الوعاء فيه الخمر أو الابريق أو الدن
(١١) معنى الابيات : تحينت غفلة الرقيب فدخلت عليها وما زلت بها حتى استسلمت للنوم بعد أن اخذت حظها من اللعب ، فطويتها تحتي كما يفعل كل سيد جليل القدر بخليلته التى حامت حوله الظنون من أجلها ، ونعمت بضمها وعناقها ، ومتعت نفسى بلمس بطنها وخاصرتها

واستقللت بني جعدة وليوم من أيامهم يرجح بمساعى قومك ، وزعمتني جبانا وكذبت ، لانا أشجع منك ومن أبيك ، وأصبر على إدلاج المظلمة ذات الاريز [١] ، وأشد إدلاجا في الهاجرة أم الصخدان [٢] ، ويثب نابغة بني جعدة على ابي بصير فيضربه بكوز من ذهب

فيقول الشيخ ـ اصلح الله به ـ لا عربدة [٣] في الجنان ، إنما يعرف ذلك بين السفله والهجاج [٤] ، وإنك يا أبا ليلى لمتترع [٥] ولولا أن في الكتاب الكريم « لا يصدعون عنها ولا ينزفون لظننانك اصابك نزف في عقلك . ويريد أن يصالح بين الندماء فيقول . « يجب أن يحذر من ملك يعبر فيرى هذا المجلس فيرفع حديثه الي الجبار الاعظم فلايجر ذلك الا الى ماتكرهان ، واستغنى ربنا أن ترفع الأخبار اليه ، ولكن جرى ذلك مجرى الحفظة في الدار العاجلة ، أما علمتما أن آدم خرج من الجنة بذنب

فكأنما لمست حقا من العاج امتزج بطيبه زعفرانه ، ثم حضر ابريق الخمر ورفع متهيئا للشراب

(١) الصقيع أو البرد الشديد (٢) الصخدان اليوم الشديد الحر
(٣) العربدة الايذاء وسوء الخلق (٤) الحمقي (٥) نزوع الى الشر أو مسرع الى ما لا ينبغي أو شرير

حقير ! فغير آمن من ولد أن يقدر له مثل ذلك ، فسألتك بالله يا أبا بصير هل يهجس لك تمنى المدام ! فيقول كلا والله ، انها عندي كمثل المقر لايخطر ذكرها بالخلد ، فالحمد لله الذى سقانى عنها [1] السُلوانه [2] »

فيقول «يا أبا ليلى » ان الله جات قدرته ـ من علينا بهؤلاء الحور العين اللواتى ـ وهن عن خانق [3] إلاوز ، فاختر لنفسك واحدة منهن ، فلتذهب معك الى منزلك تلاحنك أرق اللحان وتسمعك ضروب الالحان ،، فيقول لبيد بن ربيعة ‹‹ ان اخذ ابو ليلى قينة واخذ غيره مثلها أليس ينتشر خبرها فى الجنة ، فلا يؤمن ان يسمى فاعلو ذلك ازواج إلاوز ،، فتضرب الجماعة عن اقتسام أولئك القيان

ويفترق اهل ذلك المجلس بعد أن أقاموا فيه كعمر الدنيا اضعافا كثيرة . .

عُوران قيس

فبينما هو يطوف فى رياض الجنة لقيه خمسة نفر على خمسة أينق فيقول ‹‹ مارأيت احسن من عيونكم فى اهل الجنان ، فمن

(١) بدلنى منها (٢) العسل (٣) فطرة

أنتم خلد الله عليكم النعيم ؟ »» فيقولون «نحن عوران[1] قيس ، تميم بن مقبل العجلاني ، وعمرو بن أحمد الباهلي ، والشماخ معقل ابن ضرار ، وراعي الابل عبيد بن الحصين النميري ، وحميد بن ثور الهلالي . »»

فيقول للشماخ بن ضرار «» لقد كان في نفسي أشياء من قصيدتك التي على الزاي وكلمتك التي على الجيم فأنشدنيهما لازلت مخلدا كريما »» . فيقول «» لقد شغلني عنهما النعيم الدائم فما أذكر منهما بيتا واحداً »» فيقول لفرط حبه الأدب «» لقد غفلت أيها المؤمن وأضعت ! . أما علمت أن كلمتيك أنفع لك من ابنتيك ؟ ذكرت بهما في المواطن وشهرت عند راكب السفر والقاطن ! وإن القصيدة من قصائد النابغة لأنفع له من ابنته عقرب ، ولعل تلك شانته وما زانته ، وأصابها في الجاهلية سباء[2] وما وفر لأجلها الحِبَاء[3] ، وان شئت أن أنشدك قصيدتيك فان ذلك ليس بتمذر علي »» فيقول «» أنشدني ـ صفت عليك نعمة الله ـ فينشده :

عفا من سليمى بطن قو فعالز فذات الغضا فالمشرفات النواشز[4]

---

(١) جمع أعور (٢) أسر (٣) العطاء (٤) بطن قو وعالز وذات الغضا أسماء أماكن ببلاد العرب والمشرفات النواشز الجبال الشديدة

فيجده بها غير عليم ، ويسأله عن أشياء منها فيصادفه بهـا غير بصير فيقول ‹‹ شغلتني لذائذ الخلود عن تعهد هـذه المنكرات ، ان المتقين في ظلال وعيون ، وفواكه مما يشتهون ، كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ، — انما كنت أسِق(١) هذه الامور وأنا آمل أن أُفقَـر(٢) بها ناقة أو أعطى كيل عيالي سنة ، وأنا الآن في تفضل الله أغترف في مرافد المسجد من انهار اللبن، فتارة البان الابل، وتارة البان البقر، وان شئت لبن الضأن فانه كثير جم ، وكذلك لبن المعز ، ولقد أراني في دار الشقوة أجهد أخلاف شياه لجبات(٣) لا يمتلىء منهن القعب (٤) فيقول الشيخ : ‹‹ فأين عمرو بن أحمر فيقول عمرو ها أناذا، فيقول: ‹‹ أنشدني قولك:

بان الشباب وأخلف العَمر وتغير الاخوان والدهر

فقد اختلف الناس في تفسير العَمر بالفتح فقيل أنك اردت البقاء ، وقيل انك اردت الواحد من عمور الاسنان وهو اللحم الذى بينها ›› فيقول عمرو متمثلا :

الارتفاع ومعني البيت أن كل تلك الاماكن التي ذكرها قد اقفرت من سليمى بعد بينها (١) أجمع (٢) أعطي أو أمنح
(٣) قليلة اللبن (٤) القدح الغليظ الضخم

„خذا وجه هرشى(1) أو قفاها فانه كلا جانبي هرشى لهن طريق
ولم تترك فيّ اهوال القيامة غبرا للانشاد ، اما سمعت الآية :
يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل
حملها، وترى الناس سكارى، وماهم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد.

وقد شهدت الموقف ، فالعجب لك اذا بقى معك شيء من
من روايتك„ فيقول له الشيخ„ اني كنت اخلص الدعاء في اعقاب
الصلوات قبل ان انتقل من تلك الدار، أن يمتعني الله بأدبي في الدنيا
والآخرة ، فأجابني الى ماسألت وهو الحميد المجيد „ ثم يذكر له
اشياء من شعره ، فيجده عن الجواب مستعجما

حكاية تميم بن أبي

فيقول أيكم تميم بن أُبَي؟ فيقول رجل منهم ها أنا ذا ، فيقول
أخبرني عن قولك

يادار سلمي خلاء لا أكلفها الا المرانة حتى تسأم الدينا

ما اردت بالمرانة ؟ فقد قيل انك اردت اسم امرأة ، وقيل
هي اسم امة وقيل العادة „ فيقول تميم „ والله مادخلت من باب

---

(1) هرشى ثنية في طريق مكة قريبة منها ومعنى البيت خذا وجه الصواب فان كلا التأويلين صحيح

الفردوس ومعي كلمة من الشعر ولا الرجز ،وذلك اني حوسبت حسابا شديداً . وقيل لى كنت فيمن قاتل على بن ابي طالب ، وانبرى الى النجاشى الحارثي ، فما افلت من اللهب حتى سفعني[١] سفعات ، وإن حفظك لمبقي عليك كأنك لم تشهد أهوال الحساب ، ومنادى الحشر يقول " أين فلان ابن فلان " ، والشوس[٢] الجبابرة من الملوك تجذبهم الزبانية الى الجحيم ، والنسوة ذوات التيجان يصرن بالسنة من الوقود فتأخذ فى فروعهن واجسادهن ، فيصحن هل من فداء ، هل من عذر يقام ، والشباب من اولاد الأكاسرة يتضاغون[٣] فى سلال النار ويقولون " نحن أصحاب الكنوز ، نحن أرباب الفانية ، ولقد كانت لنا الى الناس صنائع وأياد ، فلا فادى ولا معين ، فهتف داع من قبل العرش " اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ، وجاءكم النذير ، فذوقوا فما للظالمين من نصير لقد جاءتكم الرسل فى زمان ، بعد زمان وبذلت لكم ما وكد من الايمان وقيل لكم فى الكتاب " واتقوا يوما ترجعون

---

(١) لطمنى

(٢) الشجعان الجريئون على القتال

(٣) يتضورون أو يصيحون صياح الضعفاء المستخذين

فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ،، فكنتم في لذات الساخرة [١] واغلين [٢] ، وعن أعمال الآخرة متشاغلين . فالآن ظهر النبأ لا ظلم اليوم إن الله قد حكم بين العباد ،،

---

(١) الدنيا

(٢) ممعنين ومسرعين أى منغمسين في لذائذها

حكاية ابن القارح

فيقول (الشيخ) أنا اقص عليك قصتي :

لما نهضت أنتفض من الرَّيم (١)، وحضرت عرصات (٢) القيامة ذكرت الآية: ,, تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ، فاصبر صبراً جميلا ،، فطال على الامد واشتد الظمأ والحر ، وأنا رجل مهياف (٣) فافتكرت ، فرأيت أمرا لاقوام لمثلى به ، ولقيني الملك الحفيظ بما زَبِرَ (٤) لي من فعل الخير ، فوجدت حسناتي قليلة كالرياض في العام الأرمل (٥) الا أن التوبة في آخرها كأنها المصباح رفع لسالك سبيل .

حديثه مع رضوان

فلما أقمت في الموقف زهاء شهر أو شهرين ، وخفت من الغرق في العرق ، زينت لى النفس الكاذبة أن انظم ابياتا في رضوان خازن الجنان ، عملتها في وزن ,, قفانبك من ذكرى حبيب وعرفان ،، ووسمتها برضوان ، ثم ضانكت (٦) الناس حتى

---

(١) القبر (٢) ساحات (٣) سريع العطش (٤) كتب (٥) قليل المطر
(٦) ضايقت . زاحمت

وقفت منه بحيث يسمع ويرى ، فما حفل بي ، ولا اظنه أبه لما أقول ، فغبرت [1] برهة نحو عشرة أيام من أيام الفانية ، ثم عملت أبياتا في وزن :

بان الخليط ولو طووعت ما بانا

وقطعوا من حبال الوصل اقرانا [2]

ووسمتها برضوان ، ثم دنوت منه ففعلت كفعلى الاول ، فكأني احرك ثبيرا [3] فلم أزل أتتبع الاوزان التي يمكن أن يوسم بها رضوان حتى أفنيتها ، وأنا لا أجد عنده مغوثة ، ولا ظننته فهم ما أقول ، فلما استقصيت الغرض فما أنجحت ، دعوت باعلى صوتي „ يا رضوان ! يا امين الملك الجبار الاعظم على الفراديس ! ألم تسمع ندائي بك واستغاثتي اليك ؟ فقال „ لقد سمعتك تذكر رضوان وما علمت مقصدك ، فما الذى تطلبه أيها المسكين ؟ “ فاقول : „ انا رجل لا صبر لى على العطش ، وقد استطلت مدة الحساب ، ومعي صك [4] بالتوبة ، وهى للذنوب كلها ماحية ، وقد مدحتك باشعار كثيرة ووسمتها باسمك “ فقال : „ وما الاشعار ؟ “ فقلت : „ الاشعار جمع شعر ، والشعر كلام

(١) مكثت (٢) معنى البيت : غادرك الركب ولو كانت الأمور تسير وفق ما تشتهى لما نأى عنك خلصاؤك (٣) اسم جبل (٤) أذن

موزون تقبله الغريزة على شرائط إن زاد أو نقص أبانه الحس ،
وكان أهل العاجلة يتقربون به الى الملوك والسادات ، فجئت بشيء
منه اليك لعلك تأذن لي بالدخول ، فقد استطلت ما الناس فيه ،
وأنا ضعيف منين (١) ولا ريب اني ممن يرجو المغفرة وتصح له
بمشيئة الله تعالى ،، فقال : ،، انك لغبين الرأى ، أتأمل أن آذن لك
بغير إذن من رب العزة ؟ هيهات هيهات ! واني لهم التناوش (٢)
من مكان بعيد ! »

حديثه مع زفر

فتركته وانصرفت بأملي إلى خازن آخر يقال له زفر ، فعملت
كلمة وسمتها باسمه ، في وزن قول لبيد

تمنى ابنتاي أن يعيش ابوهما
وهل أنا الا من ربيعة أو مضر

وقربت منه فأنشدتها ، فكأني انما اخاطب ركودا (٣) صماء
لأستنزل أبودا (٤) عصماء : ولم اترك وزنا مقيدا ولا مطلقا يجوز
أن يوسم بزفر الا وسمته به ، فما نجع ، فقلت : ،، رحمك الله ! كنا

(١) واهن القوى (٢) التناول أو الاختلاط (٣) الركود الناقة يدوم
لبنها ولا ينقطع (٤) الأبود الوحش

فى الدار الذاهبة نتقرب الى الرئيس والملك بالبيتين أو الثلاثة فنجد عنده ما نحب ، وقد نظمت فيك ما لو جمع لكان ديوانا ، وكأنك ما سمعت لى كلمة ! ،، فقال ,, لا اشعر بالذى قصدت ، وأحسب هذا الذى تجيئنى به قرآن ابليس المارد ، ولا ينفق (١) على الملائكة، انما هو للجان وعامو ه ولد آدم ، فما بغيتك؟،، فذكرت له ما اريد ، فقال : ,, والله ما أقدر لك على نفع ، فمن اين أنت؟ ،، فقلت ,, من امة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ،، فقال ,, صدقت . ذلك نبي العرب ، ومن تلك الجهة اتيتني بالقريض ، لان ابليس اللعين نفثه فى اقليم العرب ، فتعلمه نساء ورجال ، وقد وجب على نصحك ، فمليك بصاحبك ، لعله يتوصل إلى ما ابتغيت ،، فيئست مما عنده

حديثه مع حمزة بن عبد المطلب

فجعلت اتخلل العالم ، فاذا انا برجل عليه نور يتلألؤ ، فقلت ,, من هذا الرجل ؟ ،، فقيل ,, هذا حمزة بن عبد المطلب صريع وحشي ، وهؤلاء الذين حوله من استشهدوا من المسلمين فى أحد ،، فقلت لنفسي الكذوب ,, الشعر عند هذا انفق (٢)

(١) يروج (٢) أروج ــ أجدي

منه عند خازن الجنان ، لأنه شاعر واخوته شعراء ، وكذلك أبوه وجده ، ولعله ليس بينه وبين مَعَدّ بن عدنان الا من نظم شيئا من موزون ، فعملت ابياتا على منهج أبيات كعب بن مالك التي رثى بها حمزة وأولها :

صفية قومي ولا تعجزى　　　وبكي النساء على حمزة

وجئت حتى وليت [١] منه ، فناديت « يا سيد الشهداء ! يا عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ! يا ابن عبدالمطلب ! » فلما اقبل عليّ بوجهه ، أنشدته الابيات ، فقال « ويحك ! أفي مثل هذا الموطن تجيئني بالمديح ؟ ، أما سمعت الآية : لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ؟ »

فقلت « بلى ، قد سمعتها وسمعت ما بعدها : وجوه يومئذ مسفرة ، ضاحكة مستبشرة ، ووجوه يومئذ عليها غبرة ، ترهقها قترة [٢] ، اولئك الكفرة الفجرة » فقال « انى لا اقدر على ما تطلب ، ولكن انفذ معك رسولا إلى ابن أخى على بن أبي طالب ، ليخاطب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى امرك » فبعث معي رجلا ، فلما قص قصتى على امير المؤمنين ، قال . « اين بينتك ؟ [٣] »

---

(١) دنوت ـ قربت (٢) غبرة (٣) صحيفة حسناتك

مقابلة أبي على الفارسى

وكنت قد رأيت فى المحشر شيخا لنا كان يدرس النحو فى الدار العاجلة يعرف بأبي على الفارسي ، وقد امترس [(١)] به قوم يطالبونه ويقولون . „ تأولت علينا وظلمتنا ،، فلما رآني أشار إلىّ بيده ، فجئته ، فاذا عنده طبقة منها يزيد بن الحكم الكلابي وهو يقول : „ ويحك ، أنشدت عني هذا البيت برفع الماء ، يعنى قوله

فليت كفافا كان شرك كله
وخيرك عني ما ارتوى الماء مرتوى [(٢)]

ولم اقل الا الماءَ ، وكذلك زعمت اني فتحت الميم فى قولى

تبدل خليلاً بى كشكلك شكله
فاني خليلا صالحا بك مقتوى [(٣)]

وانما قلت مقتوى بضم الميم !

واذا جماعة من هذا الجنس كلهم يلومونه على تأويله ، فقلت:

---

(١) احتك به ـ تعرض له ـ تلاج (٢) ما ارتوى الماء مرتوى أي دائما أبداً ، ومعنى البيت ليت خيرك يعادل شرك فيكف هذا عنى ذاك واصبح آمنا منك أبداً (٣) مقتو أي متبدل به ومعنى البيت : اختر لنفسك صديقاً آخر يشبهك وتشبهه فانى متبدل بك خليلا صالحا

„ يا قوم ان هذه امور هينة ، فلا تعنتوا (١) هذا الشيخ ، فانه ماسفك لكم دما ، ولا احتجن (٢) عنكم مالا فتفرقوا عنه . „ وشغلت بخطابهم والنظر في حوبرهم (٣) فسقط مني الكتاب الذي فيه التوبة ، فرجعت اطلبه فما وجدته

حديثه مع علي ابن ابي طالب

فأظهرت الوله والجزع ، فقال امير المؤمنين „ لا عليك (٤) ألك شاهد بالتوبة ؟ „ فقلت . „ نعم قاضي حلب وعدولها (٥) „ فقال „ بمن يعرف ذلك الرجل ؟ „ فاقول . „ بعبد المنعم بن عبد الكريم قاضي حلب ـ حرسها الله ـ في ايام شبل الدولة „ فأقام هناك هاتفا يهتف في الموقف „ يا عبد المنعم بن عبد الكريم قاضي حلب في زمان شبل الدولة ! هل معك علم من توبة على ابن منصور بن طالب الحلبي ؟ „ فلم يجبه احد ، فاخذني الهلع (٦) والرعدة ، ثم هتف الثانية فلم يجبه مجيب ! فطرحت الى الارض ثم نادى الثالثة ، فاجابه قائل يقول . „ نعم قد شهدت توبة على بن منصور ، وذلك باخرة من الوقت ، وحضرت متابه عندى

---

(١) لا ترهقوه وترفقوا به (٢) ضم الى نفسه (٣) محاورتهم (٤) لاضير عليك (٥) جمع عدل وهو العادل الذى ترضى شهادته (٦) شدة الجزع

جماعة من العدول وانا يومئذ قاضي حلب وأعمالها ،،

فعند ذلك نهضت وقد أخذت الرمق[1] فذكرت لامير المؤمنين ـ عليه السلام ـ ما ألتمس ، فأعرض عني وقال . ،، انك لتروم ممتنعاً ، ولك أسوة بولد ابيك آدم ،،

ورودة الحوض

وهمت بالحوض فكدت لا اصل اليه ، ثم نغبت منه نغبات[2] لا ظمأ بعدها ، واذا الكفرة يحملون انفسهم على الورود فتذودهم[3] الزبانية بعصي تضطرم نارا ، فيرجع احدهم وقد احترق وجهه أو يده ، وهو يدعو بويل وثبور[4]

حديثه مع فاطمة

فطفت على العترة المنتخبين ، فقلت ،، اني كنت في الدار الذاهبة اذا كتبت كتابا وفرغت منه قلت في آخره « وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى عترته الاخيار الطيبين » وهذه حرمة لي ووسيلة ،،

فقالوا ،، وما نصنع بك ؟ ،، فقلت « ان مولاتنا فاطمة

(١) بقية الحياة (٢) جرعا (٣) تطردهم وتدفعهم (٤) هلاك

عليها السلام ـ قد دخلت الجنة منذ دهر . وانها تخرج فى كل حين مقداره اربع وعشرون ساعة من ساعات الدنيا الفانية . فتسلم على أبيها وهو قائم لشهادة القضاء . ثم تعود الى مستقرها في الجنان ، فاذا هي خرجت كالعادة فاسألوها في امرى بأجمكم فلعلها تسأل أباها فىّ » فلما حان خروجها ونادى الهاتف ان غضوا أبصاركم يا أهل الموقف حتى تعبر فاطمة بنت محمد صلى الله عليه . اجتمع من آل ابى طالب خلق كثير من ذكور واناث ، ممن لم يشرب خمراً ولا عرف قط منكراً . فلقوها فى بعض السبيل . فلما رأتهم قالت: « ما بال هذه الزرافة ؛ [1] ألكم حال تذكر ؟ » فقالوا : « نحن بخير . انا نلتذ بتحف أهل الجنة . غير أنا محبوسون للكلمة السابقة ، ولا نريد أن نتسرع الى الجنة قبل الميقات اذ كنا آمنين ناعمين ، بدليل قوله « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون . لا يسمعون حسيسها [2] وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون ، لا يحزنهم الفزع الاكبر ، وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون »

وكان فيهم على بن الحسين وابناه محمد وزيد وغيرهم من الابرار الصالحين . ومع فاطمة عليها السلام امرأة اخرى تجري مجراها في

---

(١) الجماعة (٢) صوتها الخفي

الشرف والجلالة . فقيل « من هذه ؟ » فقيل « خديجة بنت خويلد ابن أسد بن عبد العزّى » ومعها شباب على افراس من نور ، فقيل « من هؤلاء ؟ » فقيل «عبدالله والقاسم والطيب والطاهر وابراهيم ، بنو محمد صلى الله عليه وسلم »

فقالت تلك الجماعة التى سألت « هذا ولى من أوليائنا قد صحت توبته . ولا ريب انه من اهل الجنة . وقد توسل بنا اليك صلى الله عليك ــ فى أن يراح من أهوال الموقف ويصير الى الجنة فيتعجل الفوز »

فقالت لأخيها ابراهيم ــ صلى الله عليه ــ « دونك الرجل » فقال لى « تعلق بركابى » ــ وجعلت تلك الخيل تخلّل الناس ، وتنكشف لها الامم والأجيال . فلما عظم الزحام . طارت فى الهواء ، وأنا متعلق بالركاب

حديثه مع النبى

فوقفت عند محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال « من هذا الأتاوي ؟ (١) » فقالت . « هذا رجل سأل فيه فلان وفلان » وسمت جماعة من الأئمة الطاهرين ، فقال « حتي ينظر في عمله »

---

(١) الغريب

فسأل في عملي فوجده في الديوان الاعظم . وقد ختم بالتوبة . فشفع لي . فاذن لي في الدخول

عبور الصراط

فلما خلصت من تلك الطموش [١] قيل لي «« هذا الصراط فاعبر عليه »» فوجدته خاليا لا عريب [٢] عنده ، فبلوت نفسي في العبور ، فوجدتني لا أستمسك ، فقالت الزهراء ـ صلى الله عليها ـ لجارية من جواريها : «« يا فلانة أجيزيه [٣] »» فجعلت تمارسني [٤] وأنا أتساقط عن يمين وشمال

فقلت لها : « يا هذه ! إن أردت سلامتي ، فاستعملي معي قول القائل في الدار العاجلة :

ستّ ان اعياك امري　　فاحمليني زقفونه

فقالت . « وما زقفونه ؟ » قلت « ان يطرح الانسان يديه على كتفي الآخر . ويمسك بيديه . ويحمله وبطنه الى ظهره . أما سمعت قول الجلجول من اهل كفرطاب :

---

(١) جمع طمش وهو الناس (٢) لا أحد (٣) اجعليه يجوز اى يعبر (٤) تعالجنى

صلحت حالتي الى الخلف حتى . صرت إمشي الى الوري زففونه[1]

فقالت . ,, ما سمعت بزففونه ولا الجلجول ولا كفرطاب إلا الساعة ! ،،

فتحملني وتجوز كالبرق الخاطف ، فلما جزت ، قالت الزهراء ـ عليها السلام ـ . ,, قد وهبنا لك هذه الجارية ، فخذها كي تخدمك في الجنان ،،

حواره مع رضوان

فلما صرت الى باب الجنة ، قال لي رضوان . ,, هل معك من جواز ؟ ،، فقلت . ,, لا ،، فقال . ,, لا سبيل الى الدخول الا به ،،

فبعلت[2] بالامر ، وعلى باب الجنة من داخل شجرة صفصاف ، فقلت ,, اعطني ورقة من هذه الصفصافة ، حتى ارجع الى الموقف ، فآخذ عليها جوازاً ،، فقال ,, لا اخرج شيئاً من

---

(١) كفرطاب قرية من قرى الشام وفيها يقول أبو العلاء في لزومياته :

أرى كفر طاب أعجز الماء حفره وبالس اغناها الفرات عن الحفر
كذلك مجرى الرزق ، وادبلا ندى ووادبه فيض ، وآخر ذو جفر

وبالس قرية أخرى بالشام

(٢) وصلت حيرتي وخوفي وسأمي الى حد نسيت معه ما أصنع

الجنة الا باذن من العلى الاعلى ـ تقدس وتبارك

فلما دجرت (١) بالنازلة قلت ,, انا لله وانا اليه راجعون !
لو أن للامير ابى المرجّى خازنا مثلك ، لما وصلت أنا ولا غيرى
إلى درهم من خزائنه ! ،،

دخوله الجنة

والتفت ابراهيم ـ صلى الله عليه ـ فرآني وقد تخلفت عنه ، فرجع اليّ ، فجذبنى جذبة حصلنى بها في الجنة ، وكان مقامى (٢) في الموقف مدة ستة أشهر من شهور العاجلة ، فلذلك بقي على حفظى ما نزفته (٣) الاهوال ، ولا نهكه تدقيق الحساب

حديثه مع حميد بن ثور

فايكم حميد بن ثور ؟ فيقولون ,, هذا ،، فيسلم عليه الشيخ ويقول : ,, ايه يا حميد ! لقد احسنت في قولك

أرى بصرى قد رابنى بعد صحة
وحسبك داء أن تصح وتسلما

---

(١) حرت (٢) اقامتي (٣) ما أذهبته

ولن يلبث العصران (١) يوم وليلة
اذا طلبا أن يدركا ما تيمما (٢)

فكيف بصرك اليوم؟،، فيقول ,, انى لأكون فى مغارب الجنة فألمح الصديق من اصدقائى وهو بمشارقها ، وبينى و بينه مسيرة الوف أعوام للشمس التى عرفت سرعة سيرها فى العاجلة فتعالى الله القادر على كل بديع (٣) ،،

فيقول الشيخ . لقد احسنت في الدالية التي فيها

تتابع اعوام علينا هزلنها وأقبل عام ينعش الناس واحد

فيقول حميد ,, لقد شغلت عن هذا بما وهب لى ربى الكريم ولا خوف على ولا حزن ، ولقد كان الرجل يعمل فكرة السنة والاشهر في الرجل قد آتاه الله الشرف والمال ، فربما رجع بالخيبة وإن اعطى فعطاء زهيد ، ولكن النظم فضيلة العرب ،،

---

(١) الليل والنهار

(٢) ماقصداه أو ماتوخياه ماتعمداه ، ومعني البيتين: ضعف بصرى بعد أن كان صحيحاً ، وكفى بالصحة منذرا بالمرض ، فقد آلى الزمن ليسقمن كل صحيح ، وليس يعجز الزمن أن يدرك غايته وشيكا .

(٣) ما اخترع على خير مثال سابق

حديثه مع لبيد

ويعرض لهم لبيد بن ربيعة فيدعوهم إلى منزله، ويقسم عليهم ليذهبن معهم، فيمشون قليلا، فاذا هم بأبيات ثلاثة ليس في الجنة نظيرها بهاء وحسنا، فيقول لبيد: «أتعرف أيها الاديب الحلبي هذه الابيات؟ انها قولي:

ان تقوى[1] ربنا خير نفل[2] — وباذن الله ريثى وعجل
أحمد الله فلا ند له — بيديه الخير ما شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى — ناعم البال ومن شاء أضل[3]

صيرها ربي ابياتا في الجنة أسكنها اخرى الابد». فيعجب هو وأولئك القوم، ويقولون «ان الله قدير على ما أراد!»

مأدبة في الجنة

ويبدو له ان يصنع مأدبة في الجنان، يجتمع فيها من أمكن من شعراء الخضرمة والاسلام، والذين اصلوا كلام العرب،

---

(١) خشية (٢) غنيمة

(٣) معني الابيات: أربح غنم يصيبه الانسان هو خشية الله مصرف الأمور، فله الحمد، لا كفوله، بيده الخير، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وهو على مايشاء قدير

وجعلوه محفوظا فى الكتب ، وغيرهم ممن يستأنس بالادب ، ويخطر له ان تكون كأدب الدار العاجلة ، اذ كان البارىء لا يعجزه جلت عظمته أن يأتيهم بجميع الاغراض من غير كلفة ولا ابطاء، فتنشأ ارحاء على الكوثر تجعجع لطحن بر (١) الجنة ، وانه لأفضل من بر الهذلى الذى قال فيه :

لا در درى (٢) ان اطعمت رائدكم
قرف (٣) الحتى (٤) وعندى البر مكنوز (٥)

بمقدار تفضل به السموات الارضين

* * *

ويجس (٦) فى صدره ارحاء تدور فيها البهائم ، فيمثل بين يديه ما شاء الله من البيوت فيها احجار من جواهر الجنة ، تدير بعضها جمال تسوم فى عضاه (٧) الفردوس ، واينق، وصنوف من البغال والبقر

فاذا اجتمع من الطحن ما يظن انه كاف للمأدبة ، تفرق

---

(١) قمح (٢) لا دردرى أى لا كثر خيرى أو لا زكا عملى

(٣) قشر (٤) الردىء من ثمار شجرة الدوم (٥) معنى البيت : لابارك الله فى مالى اذا أطعمت نازلكم قشر الدوم مع وفرة مالدى من القمح الزائد عن حاجتى (٦) يضمر (٧) شجر ذو شوك

خدمه من الولدان المخلدين ، فجاءوا بالجداء وضروب الطير التي جرت العادة بأكلها ، وسيقت البقر والغنم والابل لتعتبط ، فارتفع يُعار المعز وثؤاج الضأن وصياح الديكة لعيان المدية ، وذلك كله بحمد الله لا ألم فيـه ، وانما هو جد مثل اللعب ، فلا اله الا الله الذي ابتدع خلقه من غير روية (١) وصوره بلا مثال

فاذا حصلت النحوض (٢) فوق الاوفاض (٣) قال «« احضروا من الجنة الطهاة السا كنين بحلب على ممر الازمان »» فتحضر جماعة كثيرة ، فيأمرهم باتخاذ الاطعمة ، وتلك لذة يهبها الله ــ عز سلطانه ــ بدليل قوله . «« وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون ، وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون ، لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون »»

فاذا اتت الاطعمة افترق غلمانه الذين كأنها اللؤلؤ المكنون لاحضار المدعوين ، فلا يتركون في الجنة شاعراً اسلاميـا ولا مخضرما ، ولا عالما بشيء من أصناف العلوم ولا متأدبا الا حضروه ، فيجتمع خلق كثير ، فتوضع الخون (٤) من الذهب ،

---

(١) نظر أو تفكير (٢) المكتنز من اللحم كلحم الفخذ مثلا

(٣) خشب الجزارين يقطعون عليه اللحم (٤) جمع خوان (بكسر الخاء أو ضمها) وهو ما يوضع عليه الطعـام ليؤكل

والفواثير (١) من اللجين (٢) ويجلس عليها الآكلون ، وتنقل اليهم الصحاف (٣)

مجلس انس واغناء

فاذا قضوا الأرب من الطعـام ، جاءت السقاة بأصناف الاشربة ، والمسمعات بالأصوات المطربة ، ويقول : « على بمن فى الجنة من المغنين والمغنيات ، ممن كانوا فى الدار العاجلة فقضيت له التوبة » فتحضر جماعة كثيرة من رجال ونساء ، فيهم الغريض ومعبد وابن سريج ، وابراهيم الموصلى وابنه اسحق

حديث الجرادتين (٤)

فيقول قائل من الجماعة وقد رأي اسراب (٥) قيان قد حضرن „ من العجب أن الجرادتين في أقاصي الجنة ! „

---

(١) جمع فاثورة وهو الخوان أو الباطية (٢) الفضة
(٣) جمع صحفة وهى القصعة الكبيرة

(٤) الجرادتان — فيما زعموه — مغنيتان غنتا لوفد عاد الجرهمى بمكة فشغلوا عن الطواف بالبيت ، وسؤال الله فيما قصدوا له ، فهلكت عاد وهم لاهون (٥) جمع سرب أى قطيع من النساء

فاذا سمع ذلك قال : « لا بد من حضورهما »، فيركب بعض الخدم ناقة من نوق الجنة ويذهب اليهما على بعد مكانهما ، فتقبلان على نجيبين أسرع من البرق

فاذا حصلتا على المجلس ، حياهما وبش بهما ، وقال : « كيف خلصتما الى دار الرحمة بعدما خبطتما في الضلال ! » فتقولان : « قدرت لنا التوبة ، ومتنا على دين الأنبياء والمرسلين »

فيقول « أحسن الله اليكما ، أسمعانا شيئا من القصيدة الحائية التي تروى لعبيد مرة ، ولأوس أخرى ، وماسمعتنا قط بعبيد ولا أوس فتلهيان أن تغنيا بالمطلوب ، فتلحنان :

هبت تلوم وليست ساعة اللاحي (١)

هلا انتظرت بهذا اللوم اصباحي !

قاتلها الله ! تلحاني وقد علمت

أني لنفسي افسادي واصلاحي !

ان اشرب الخمر أو أرزأ لها ثمنا

فلا محالة يوما أنني صاح

---

(١) اللائم

ولا محالة من قبر بمحنية (١)

اوفي مليم (٢) كظهر الترس وضاح

فتطرب أن من سمع ، وتستفزان الأفئدة بالسرور ، ويكثر حمد الله ـ سبحانه ـ كما انعم على المؤمنين والتائبين ، وخلصهم من دار الشقوة الي محل النعيم

حديث جران العود النميري

ويلتفت فاذا هو بجران العود (٣) النميري ، فيحييه ويرحب به ، ويقول لبعض القيان : إسمعانا قول هذا المحسن .

---

(١) محنية أو محنوة أو محناة جمعها محان وهي معاطف الاودية

(٢) المليع طريق ضيقة ذاهبة في الأرض الى مسافة قريبة، قاعها أقل من قامة أو هو أيضا الأرض المستوية أو الارض التي لا نبات فيها

(٣) الجران مقدم عنق البعير من مذبحه الى منحره ، والعود البعير المسن ، وجران العود لقب هذا الشاعر ، وانما لقب بذلك لقوله مخاطبا امرأتيه وقد اغضبتاه .

خذا حذرا ياجارتي فانني رأيت جران العود قد كان يصلح

يعني بذلك انه كان قد اتخذ سوطا من جران العود يضرب به نساءه فهو يخيفهما به

وكان قد لقي منهما مكروها فقال في ذلك ابياتا جميلة منها :

حمان جران العَوْد (١) حتى وضعنه
بعلياء (٢) في أرجائها الجن تعزف (٣)
وقلن „ تمتع ليلة النأى هذه
فانك مرجوم (٤) غدا أو مسيّف (٥)“

ألا لا تغرن امرأ نوفلية على الرأس بعدى أو ترائب وضح
الى أن قال
خذ انصف مالى واترك الى نصفه وبينا بذم ؛ فالتغرب أروح

وأوجز مايوصف به هذا الشاعر هو كلمة « محسن » التى وصفه بها أبو العلاء ، فان أول ميزة لشعره — وهو مجموع فى ديوان صغير مخطوط بدار الكتب — هى الاحسان

(١) اسم الشاعر وقد تقدم شرحه

(٢) العلياء رأس الجبل أو المكان العالى والمعنى انهن وضعننى موضعا لا يوصل اليه

(٣) تصوت

(٤) مرمي بالحجارة

(٥) مقتول بالسيف ومعنى البيت : انهن قلن لى « انتهز فرصة هذه الليلة وتمتع بنا فربما كانت آخر لياليك من الدنيا » لانك قد ترجم غدا بالحجارة أو تقتل بالسيف فى الحرب

وأحرزن مني (١) كل حجزة (٢) مئزر

لهن وطاح (٣) النوفلي (٤) المزخرف

فتصيب القينة وتجيد

* * *

(١) منعن عني (٢) الحجزة معقد الازار أو موضع التكة من السراويل

(٣) سقط أو ذهب (٤) شيء من صوف تختمر عليه نساء العرب وقيل هو شيء يدرنه على رؤسهن تحت الخمار وهو ضرب من الحلي ، والنوفلي أيضا ضرب من الامتشاط وهو مانذهب اليه هنا ، فيكون المعنى أن شعورهن المنسقة المزخرفة تهدلت

ويروى هذا البيت قبل سابقه في النسختين الخطيه والمطبوعة من رسالة الغفران ولكننا آثرنا رواية الابيات كما رويت في ديوان الشاعر المخطوط بدار الكتب لان المعنى ينتظم على هذه الصورة ، فالغواني يبحن له معابثتهن ، ويشتد المزح والمغازلة ، حتى تهدل شعورهن ، فاذا أراد المزيد منعنه ، فأحرزن منه حجز مآزرهن بالدقة ، أما تفسير الابيات على الرواية الأخري فيحتاج الى تكلف

* * *

وهذه الابيات الثلاثة من قصيدة مطولة لهذا الشاعر بلغت في الاجادة شأوا بعيدا ، واذا استشهد بعض الأدباء ببضع أبيات قلائل لعمر ابن أبي ربيعة وجميل وغيرهما ، على وجود شيء من محاولة العرب للشعر

القصصي ، فان في هذه القصيدة وحدها مثلا واضحا على تلك المحاولة قد لانذكر له شبيها آخر في كل ماقرأناه من شعر العرب، وتنيف ابيات هـذه القصيدة علي السبعين بيتا ، ونحب أن نحيل القارىء الى ديوان ذلك الشاعر المحسن ، ونكتفي هنا بإيراد بضع ابيات متفرقة منها ، تعطى فكرة موجزة عن أغراض القصيدة وهي:

ذكرت الصبـا فانهلت العين تذرف
وراجعك الشوق الذي كنت تعرف

وكان فؤادى قد صحا ، ثم هاجنى
حمائم ورق ، بالمدينة هتف

. . . .

وقالت لنـا والعيس صعر من البرى
وأحجافها بالجندل الصم تقذف

. . . .

فموعدك الشط الذى بين أهلنـا
وأهلك ، حتي نسمع الديك يهتف

. . . .

فلما علانا الليل اقبلت خفية
لموعدها ، اعلو الأكام وأظلف

. . . .

فاقبلن يمشين الهوينـا تهاديا
قصار الخطا ، منهن راب ومزحف

فلما هبطن السهل واحتلن حيلة
ومن حيلة الانسان مايتخوف
حملن جران العود حتي وضعنه الخ
. . . .
ولما رأين الصبح ، بادرن ضوءه
دبيب قطا البطحاء ،أوهن أقطف
وأدركن أعجازا من الليل بعدما
اقام الصلاة العابد المتحنف
وما أبن حتى قلن ياليت أننا
تراب ، وليت الأرض بالناس تخسف
فان ننج من هذى ولم يشعروا بنا
فقد كان بعض الخير يدنو فيصرفه
فأصبحن صرعى فى الحجال وبيننا
رماح العدا والجانب المتخوف
يبلغهن الحاج كل مكاتب
طويل العصا أو متعد يترحف
ومكمونة رمداء لايحذرونها
مكاتبة ترمى الـكلاب وتحذف
ويقول فى ختامها
فأصبحت غريد الضحي قد ومقنى
بشوق ، وملات المحبين تشعف
أي أصبحت فرحا طروبا قد شغفن بي واللقاء يهتاج الشغف

فاذا اعجبت الجماعة من احسانها وأصابتها ، قالت : « أتدرون من أنا ؟ » فيقولون « لا والله » فتقول « أنا ام عمرو التي يقول فيها القائل :

تصب الكأس عنا أم عمرو
وكان الكأس مجراها اليمينا
وما شر الثلاثة أم عمرو
بصاحبك الذي لا تصبحينا[1] »

فيزدادون بها عجبا ولها إكراما ، ويقولون : « لمن هذا الشعر ؟ ألعمرو بن عدي اللخمي ، أم لعمرو بن كلثوم التغلبي ؟ »

فتقول : « أنا شهدت نَدْمانَيْ جذيمة مالكا وعقيلا ، وصبحتهما الخمر المشعشعة[2] لما وجدا عمرو بن عدي ، فكنت أصرف الكأس عنه ، فقال هذين البيتين ، فلعل عمرو بن كلثوم حسن بهما كلامه واستزادهما في أبياته »

---

(١) تصرف الكأس عنا أم عمرو وتحولها الى جهة اليسار وكان من الطبيعي أن تدور الكأس الى جهة اليمين ، ولكنها لم تفعل ذلك ، ولست شر هؤلاء الثلاثة يا أم عمرو فتتغاضى عني وتحرميني من صبوحك التي تديرينها على الندامى (٢) الممزوجة بالماء

رقص الحور

ويذكر الابيات التى تنسب الى الخليل بن احمد ، والخليل يومئذ فى الجماعة ، وأنها تصلح لان يرقص عليها ، فينشئ الله القادر بلطف حكمته ، شجرة من الجَوْز فتونع لوقتها ، ثم تنفض عدداً لايحصيه إلا الله — سبحانه — وتنشق كل واحدة منه عن اربع جوار يرقن الرائين ، يرقصن على الابيات المنسوبة الى الخليل واولها :

ان الخليط تصدع (١) فطر بدائك اوقع
لولا جوار حسان مثل الجآذر (٢) اربع
لقلت للظاعن اظعن (٣) إذا بدا لك أودع

فتهتز ارجاء الجنة .

ويقول «لمن هذه الابيات يا ابا عبـد الرحمن ؟». فيقول الخليل : «لا اذكر شيئاً من ذلك ، ويجوز أن يكون ما قيل

---

(١) تفرق (٢) جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية تشبه به الحسان لجمال عينيه (٣) ارحل أوسر أوسافر والمعنى قـد تفرق الجمع فاذا انا صانع بعد نأى من أحب ، ولو خلا الركب من هؤلاء الحسان الاربع لتساوى عندى اقامته ورحيله

حقا ،، فيقول : ،، أنسيت يا أبا عبد الرحمن وأنت اذكي العرب في عصرك ؟ ،، فيقول الخليل : « ان عبور الصراط يَنْفض الخلد (١) مما استودع ! ».

* * *

ويعبر طاوس من طواويس الجنة يروق من رآه حسنا ، فيشتهيه ابو عبيدة مصوصا (٢) فيتكون كذلك في صحفة من الذهب ، فاذا قضى منه الوطر ، انضمت عظامه بعضها الى بعض ثم تصير طاوساً كما بدا ، فتقول الجماعة ، سبحان من يحي العظام وهي رميم . واذ قال ابراهيم . رب ارني كيف تحي الموتي . قال اولم تؤمن ؟ . قال بلى . ولكن ليطمئن قلبي . قال فخذ اربعة من الطير فصُرهن (٣) اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا . ثم ادعهن يأتينك سعيا . واعلم ان الله عزيز حكيم »

ويفترق اهل ذلك المجلس وهم ناعمون

---

(١) القلب أو البال أو النفس

(١) المصوص طعام من لحم الطير يطبخ وينقع في الخل (٢) أحضرهن وقطعهن

حديثه مع الحور

ويخلو بحوريتين من الحور العين ، فاذا بهره ما يراه من الجمال ، قال : « أعزز على بهلاك الكندى اني لاذكر بكما قوله :

كدأبك (١) من ام الحويرث قبلها
وجارتها أم الرباب بمأسل (٢)
اذا قامتا تضوع (٣) المسك منهما
نسيم الصبا جاءت بريا (٤) القرنفل (٥)

وأين صاحبتاه منكما لا كرامة لهما ولا نعمة ؟ لجلسة معكما بمقدار دقيقة من دقائق الدنيا خير من ملك بنى آكل المرار وبنى النضر بالحيرة . وآل جفنة ملوك الشام ! ! »

---

(١) كعادتك (٢) اسم جبل

(٣) انتشرت رائحته (٤) الرياهي الرائحة الطيبة (٥) المعنى. «عادتك في حب هذه ، كعادتك من قبل فى حب أم الحويرث وأم الرباب وقد كانتا ، يعبق منهما المسك أنى ذهبتا كما انتشر عطر القرنفل الذكي ، حملته ريح الصبا » ، ويوضح هذين البيتين قوله في البيت الذى قبلهما من معلقته

وان شفائى عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول

ويقبل على كل واحدة منها يترشف رضابها ويقول : « ان امرأ القيس لمسكين مسكين ، تحترق عظامه فى السعير وانا اتمثل بقوله :

كأنَّ المدام وصوب الغمام وريح الخزامي ونشر القُطُر
يُعَل به بَرْد أنيابها اذا غرد الطائر المُستحِر (١)

فتستغرب احداهما ضحكا، فيقول « مم تضحكين ؟ » فتقول « فرحا بتفضل الله ! أتدرى من أنا يا على بن منصور ؟ » فيقول « أنت من حورِ الجنان اللواتي خلقكن الله جزاء للمتقين ، وقال فيكن : كأنهن الياقوت والمَرْجان » فتقول « أنا كذلك بانعام الله العظيم ! على أنى كنت فى الدار العاجلة اعرف بحمدونة ، واسكن فى باب العراق بحلب ، وأبي صاحب رَحى ، وتزوجني رجل يبيع السقط ، فطلقني لرائحة كرهها من فىّ ، وكنت من أقبح نساء حلب فلما عرفت ذلك زهدت فى الدنيا ، وتوفرت على العبادة وأكلت من مغزلي ومرْدنى ، فصيرني ذلك الى ما ترى ! »

وتقول الاخرى « أتدرى من انا يا على بن منصور ؟ أنا توفيق السوداء التى كانت تخْدُم فى دار العلم ببغداد ، على زمان ابى منصور محمد بن على الخازن ، وكنت اخرج الكتب الى النساخ »

---

(١) استحر أى صاح في السحر

فيقول : « لا إله الا الله ! لقد كنت سوداء ، فصرت انصع من الـكافور ! » فتقول : أتعجب من هذا والشاعر يقول لبعض المخلوقين :

لو أن من نوره مثقال خردلة

في السود كلهم ، لابيضت السود

حدائق الحور

ويمر ملك من الملائـكة فيقول : « يا عبدالله ! اخبرني عن الحور العين ، أليس في الـكتاب الـكريم : انا انشأناهن انشاء، فجعلناهن أبكاراً ، عربا أترابا ، لاصحاب اليمين »

فيقول الملك „ هن على ضربين ، ضرب خلقه الله في الجنة لم يعرف غيرها ، وضرب نقله الله من الدار العاجلة لما عمل الاعمال الصالحة „

فيقول — وقد عجب مما سمع « فأين اللواتي لم يكنّ في الدار الفانية ؟ وكيف يتميزن من غيرهن ؟ »

فيقول الملك : « أقف أثري » فيتبعه فيجيء به إلى حدائق لا يعرف كنهها الا الله ، فيقول الملك « خذ ثمرة من هـذا الثمر فاكسرها ، فان هذا الشجر يعرف بشجر الحور »

فيأخذ سفرجلة أو رمانة أو تفاحة ، أو ما شاء الله من الثمار فيكسرها، فتخرج منها جارية حوراء عيناء . تبرق لحسنها حوريات الجنان ، فتقول : « من أنت يا عبد الله ؟ » فيقول : « أنا فلان ابن فلان » فتقول : « إني امنى بلقائك . قبل أن يخلق الله الدنيا بأربعة آلاف سنة» فعند ذلك يسجد اعظاما لله القدير . ويقول : « هذا كما جاء فى الحديث : أعددت لعبادى المؤمنين ما لا عين رأت . بَلْهَ (١) ما اطلعتم عليه »

* * *

ويخطر فى نفسه . وهو ساجد . أن تلك الجارية ـ على حسنها ـ ضاوية (٢) فيرفع رأسه من السجود . وقد صار من ورائها ردف يضاهى كثبان (٣) عالج . فيُهال (٤) من قدرة الله ويقول « يا رازق المشرقة سناها . ومبلغ السائلة مناها . والذى فعل ما أعجز وهال ، ودعا الى الحلم الجهال ! أسألك أن تقصُر بَوْص (٥) هذه الحورية »

فيقال له : « أنت مخير فى تكوين هذه الجارية كما تشاء » فيقتصر من ذلك على الارادة

---

(١) بله بمعنى دع أو كيف (٢) نحيفة أو قليلة الجسم (٣) جمع كثيب ، وهو التل من الرمل (٤) يفزع ويعظم عليه الامر (٥) عجز

جنة العفاريت

ويبدو له أن يطلع الى اهل النـار ، فينظر الى ماهم فيه ، ليعظم شكره على النعم ، بدليل قوله ـ تعالى ـ : « قال قائل منهم : انى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقين ؟ أئذا متنا وكنا ترابا وعظاماأئنا لمدينون [١] ؟ قال هل أنتم مطلعون ! فاطلع فرآه في ســواء الجحيم ، قال تالله ان كدت لتردين ، ولولا نعمة ربك لكنتُ من المحضرين »

* * *

فيركب بعض دواب الجنة ويسير ! فاذا هو بمدائن ليست كمدائن الجنة ، ولا عليها النور الشعشعاني [٢] ، وهي ذات أوحال وغماميل [٣] فيقول لبعض الملائكة : « ما هـذه يا عبد الله ؟ » فيقول : «هذه جنة العفاريت الذين آمنوا بمحمد ـ صلى الله عليه ـ

---

(١) مجازون (٢) البهيج (٣) جمع غملول (بضم الغين) وهو الوادى الضيق الكثير الشجر والنبت الملتف ، أو الوادى ذو الشجر الطويل القليل العرض الملتف ، أو هو كل مجتمع أظلم وتراكم من الشجر

وسلم ـ وذكروا في الاحقاف ، وفي سورة الجن، وهم عدد كثير»
فيقول . „ولاعدلن الى هؤلاء فلن أخلو لديهم من أعجوبة „
فيعرج عليهم ، فاذا هو بشيخ جالس على باب مغارة ،فيسلم عليه،
فيحسن الرد ، ويقول : „ ماجاء بك يا إنسي؟ „ فيقول: „سمعت
أنكم جن مؤمنون ، فجئت التمس عندكم أخبار الجنّان[1]، ومالعله
يوجد لديكم من اشعار المردة،فيقول ذلك الشيخ : „لقد أصبت
العالم بيجدة[2] الامر ، فسل عما بدالك „ .

فيقول . „ ما اسمك أيها الشيخ ! „ فيقول . „ أنا الخيتعور
أحد بني الشيصبان ، ولسنا من ولد ابليس ، ولكنا من الجن الذين
كانوا يسكنون الارض قبل ولد آدم ـ صلى الله عليه „

اشعار الجن

فيقول . „أخبرني عن اشعار الجن ، فقد جمع المعروف
بالمرزباني قطعة صالحة „ فيقول ذلك الشيخ . „ انما ذلك هذيان
لامعتمد عليه ، وهل يعرف البشر من النظيم الا كما تعرف البقر
من علم الهيئة ومساحة الارض ! وانما لهم خمسة عشر جنسا من

(١) الجنان جمع جان ، والجان اسم جمع للجن
(٢) أي العالم بدخلة الأمر وباطنه

الموزون ، قل ما يعدوها القائلون، وإن لنا لا آلاف أوزان ماسمع بها الانس ، وانما كانت تخطر بهم أطيفال منا عارفون ، فتنفث اليهم مقدار الضوازة [١] من أراك [٢] نعمان [٣] ولقد نظمت الرجز والقصيد قبل أن يخلق آدم بكور [٤] أو كورين ، وقد بلغني انكم معشر الانس تلهجون بقصيدة امريء القيس (قفانبك من ذكري حبيب ومنزل) وتحفظونها الحزاورة [٥] في المكاتب وان شئتَ امليتك الف كلمة على هذا الوزن على مثل منزلِ وحوملِ ، والفا على ذلك القري بجيء على منزلُ وحوملُ ، والفاعلى منزلاَ وحوملا ، والفا على منزلَه وحوملَه ، والفا على منزلِه وحوملِه ، وكل ذلك لشاعر منا هلك وهو كافر ، وهو الان يشتعل فى أطباق الجحيم ››

*
* *

فيقول : ‹‹ أيها الشيخ ، لقد بقي عليك حفظك ! ››

فيقول : « لسنا مثلكم يا بني آدم . يغلب علينا النسيان والرطوبة . لأنكم خلقتم من حمأ [٦] مسنون . وخلقنا من

---

(١) الشظية من السواك (٢) الاراك شجر يستاك بقضبانه
(٣) مكان معروف (٤) مائة وخمسون أو مائتان أي نحو قرنين
(٥) جمع حزور وهو الغلام (٦) طين أسود

مارج (١) من نار »

فتحمله الرغبة فى الادب أن يقول لذلك الشيخ : ‹‹ أفتملّ علىّ شيئا من تلك الاشعار ؟ ››

فيقول : ‹‹ فاذا شئت أمللتك ما لا تسقه (٢) الرّكاب (٣) ولا تسعه صحف دنياك ››

فيهم بان يكتتب منه ، ثم يقول ‹‹ لقد شقيت فى الدار العاجلة بجمع الادب ، ولم أحظ منه بطائل . ولست بموفق ان تركت لذات الجنة واقبلت انتسخ آداب الجن . ومعى من الأدب ما هو كاف . لا سيما وقدشاع النسيان فى أهل أدب الجنة . فصرت من اكثرهم رواية وأوسعهم حفظا . ولله الحمد ››

ويقول لذلك الشيخ : « ما كنيتك لأكرمك بالتكنية »

فيقول : « أبو هدرش ، أولدت من الاولاد ماشاء الله ، فهم قبائل بعضهم فى النار الموقدة وبعضهم فى الجنان »

فيقول : « يا أبا هدرش ! مالى أراك أشيب ، وأهل الجنة شباب ؟ »

فيقول : « إن الانس أكرموا بذلك وحرمناه ، لأنا أعطينا

---

(١) شعلة ساطعة ذات لهب شديد أو نار بلا دخان

(٢) مالا تحمله (٣) الابل

الحولة[1] في الدار الماضية ، فكان أحدنا ان شاء صار حية رقشاء[2] وان شاء صار عصفوراً وان شاء صار حمامة ، فنمنا التصور فى الدار الآخرة ، وتركنا على خلقنا لا نتغير ، وعوض بنو آدم كونهم فيما حسن من الصور ، وكان قائل الانس يقول فى الدار الذاهبة : اعطينا الحيلة واعطى الجن الحولة . »

قصة الجنى

« ولقد لقيت من بنى آدم شراً ، ولقوا منى كذلك ، حتى رزق الله الانابة[3] ، وأثاب الجزيل ، فلا أفتأ له من الحامدين :

حمدت من حط أوزاري ومزقها
عني فأصبح ذنبي اليوم مغفورا
وكنت آلف من أتراب قرطبة
خودا[4] وبالصين أخرى بنت يغبورا[5]
أزور تلك وهذي غير مكترث
فى ليلة ، قبل ان استوضح النورا

---

(١) القدرة على التحول (٢) منقطة بسواد وبياض

(٣) التوبة (٤) الخود المرأة الشابة (٥) يغبور اسم لملك الصين كما يقال كسرى لملك فارس وقيصر لملك الروم

ولا أمر بوحشي ولا بشر
إلا وغادرته ولهان مذعورا
وأركب الهيق[١] في الظلماء معتسفا[٢]
أو لا ، فذب[٣] رياد[٤] بات مغرورا
وأحضر الشرب[٥] أعروهم بآبدة
يزجون عودا ومزمارا وطنبورا[٦]
فلا أفارقهم حتى يكون لهم
فعل يظل به ابليس مسرورا

---

(١) جمع أهيق وهو الظليم أى ذكر النعام

(٢) سائرا على غير هداية أو قاصدا الى لا غاية

(٣) ثورا وحشيا (٤) جمع ريد وهو الحرف الناتىء من الجبل

وهذا البيت يمثل للقارىء صورة ممتعة يلذ له أن يتخيلها ، وهي براعة نعرفها في أبي العلاء الذي لم يفته أن يلائم بين ممروق الجني وطول ذكر النعام في الشطر الاول من البيت ، وبين ضخامته وعظم الثور الوحشي في الشطر الثاني ، وليس ابدع من أن يتمثل الانسان ذلك الجني راكبا تلك النعامة الهوجاء ذات السوق الخفيفة أو ممتطيا ذلك الثور الوحشي مع ضخامة جرمه وعنف جريه

(٥) جمع شارب (٦) نوع من آلات الطرب له عنق طويل وستة أوتار من النحاس

وأصرف العدل [١] ختلا [٢] عن امانته
حتى يخون وحتى يشهد الزورا
وكم صرعت عوانا [٣] في لظى لهب
قامت تمارس للأطفال مسجورا [٤]
وذادني [٥] المرء نوح عن سفينتـه
ضربا الى ان غدا الظنبوب [٦] مكسورا
وطرت فى زمن الطوفان ممتلياً
فى الجو حتى رأيت الماء محسورا [٧]
وقد عرضت لموسى في تفرده
بالشاء [٨] ينتج [٩] عمروسا [١٠] وفرفورا [١١]

---

(١) العادل الذى ترضى شهادته (٢) مخادعا اياه

(٣) العوان المرأة النصف (٤) المسجور اللبن الذي ماؤه اكثر من لبنه (٥) طردنى (٦) عظم ساقى، أي ان نوحا ظل يضربني لاغادر سفينته حتي كسر عظم ساقي وفي هذا البيت دقة يجب الا تفوت القارىء فى كلمة المرء نوح، مع ملاحظة ان المتكلم جني يتكلم عن الانس، أما الصورة الشعرية الجميلة التى يمثلها للقاريء هذا البيت فهي نظرنا أوضح من أن نشير اليها (٧) حتى انحسر الماء عن الارض أى انكشف (٨) جمع شاة (٩) ينتج أى يلى نتاجها (١٠) العمروس الخروف (١١) الفرفور الحمل، وهو يشير بذلك الى حكاية رعيه الغنم لشعيب

لم أخله من حديث مـا ، ووسـوسة
اذ دك ربك فى تكليمه الطورا (١)
اضللت رأي أبي ساسان (٢) عن رشد
وسرت مستخفيا فى جيش سابورا (٣)
وساد بهرامُ جور (٤) ، وهو لي تبع
أيام يبنى — على علاته — جورا (٥)

— عليه السلام — وهي معروفة ، وقد ورد ذكرها في القرآن ، فى قوله تعالى « قال انى أريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تأجرنى ثمانى حجج » وقد أشار موسى — عليه السلام — الى ذلك حينما سأله الله عن عصاه فقال : « وأهش بها على غنمى »

(١) يشير بذلك الى قوله تعالى « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال: ربي أرنى أنظر اليك ، قال: لن تراني، ولكن انظر الى الجبل ، فان استقر مكانه ، فسوف ترانى ، فلما تجلي ربه للجبل جعله دكا، وخر موسى صعقا ، ، فلما افاق ، قال : سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين ،،

(٢) ساسان جد دولة الطبقة الرابعة من ملوك الفرس المعروفة بالساسانية

(٣) سابور هو ابن أزدشير حفيد ساسان بن بابك ، ثانى ملوك الدولة الساسانية الفارسية ،

(٤) بهرام جور هو ابن يزدجرد ملك الفرس وهو الذى بني مدينة جور وتاريخه مفعم بالبطولة والاعمال الجريئة (٥) جور مدينة بفارس بينها

فتارة انا صل ، (١) في نكارته ،
وربما أبصرتني عصفورا
نلوح للانس حولا أو ذوي عور
ولم نكن قط لا حولا ولا عورا (٢)

* * *

ثم اتعظت ، وصارت توبتي مثلا
من بعد ما عشت بالعصيان مشهورا
حتى اذا انقضت الدنيا ونودي اسـ
رافيل : «« ويحك هلا تنفخ الصورا .»

وبين شيراز عشرون فرسخا ، وهي طيبة النزهة يسير فيها الراجل من كل باب نحو فرسخ في بساتين وقصور ، واليها ينسب نوع من الورد يعرف بالجوري ، وهو شديد الحمرة ، ويعد أجود أصنافه ، وشهرة هذه المدينة بالورد كشهرة هجر بالتمر ، ودارين بالمسك ، وقطربل بالخمر

(١) حية دقيقة صفراء لا تنفع منها الرقية (٢) يقول أنني كنت أبدو مرة في صورة صل كريه المنظر ، وأخرى في صورة عصفور يزدهي الناظر حسنه ، وكثيراً ما كنا نظهر للانس في صورة الحول والعور ، على حين أننا أصحاء البصر ، ولكنا نختار لانفسنا الصورة التي يحلو لنا ان نبدو فيها

أماتني الله شيئا ، ثم ايقظني
لمبعثي فرزقت الخلد مسرورا

لغة الجن

فيقول : ‹‹ لله درك يا أبا هدرش ، فكيف ألسنتكم ؟ أيكون فيكم عرب لايفهمون عن الروم، وروم لايفهمون عن العرب كما نجد فى اجيال الانس ؟ ››

فيقول : ‹‹ هيهات أيها المرحوم ، إنا أهل ذكاء وفطن ، ولا بد لاحدنا أن يكون عارفا بجميع الالسن الانسية ولنا بعد ذلك لسان لا يعرفه الانيس ››

حديث الرّجم

‹‹ وأنا الذي انذرت الجن بالكتاب المنزل ، ادلجت فى رفقة نريد اليمن ، فزرنا بيثرب ، فسمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد ، فآمنا به، ولن نشرك بربنا أحدا [1]، وعدت الى قومى فذكرت لهم ذلك ، فتسرعت منهم طوائف الى الايمان ، وحثهم على مافعلوه

---

(١) ارجع الى سورة الجن .

انهم رجموا عن استراق السمع بكواكب محرقات [١] ،،

فيقول : ،، يا أبا هدرش ! أخبرني ـ وأنت الخبير ـ هل كان رجم النجوم فى الجاهلية ، فان بعض الناس يقول إنه حدث فى الاسلام ؟ ،،

فيقول : هيهات ! أما سمعت قول الاودىّ :

كشهاب القذف يرميكم به ... فارس فى كفه للحرب نار

وقول ابن حجر :

فانصاع [٢] كالدرى [٣] يتبعه
نقع [٤] يثور تخاله طُنُبا [٥]

ولـكن الرجم زاد فى اوان المبعث [٦] ، وان التخرص

---

(١) يشير الى قوله تعالى في سورة الجن : « وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديداً وشهبا ، وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا ،، (٢) انفتل راجعا مسرعا ومر (٣) كالـكوكب الدرى (٤) غبار (٥) الطنب حبل طويل يشد به سرادق البيت والمعنى أنه انفتل بسرعة الشهاب الساقط من السماء وقد خلف وراءه غبارا مستطيلا يشبه الحبل الطويل (٦) صرح أبو العلاء بهـذا الرأى في اللزوميات فقال :

ولست أقول أن الشهب يوما ... لبعث محمد جعلت رجوما

الـكثير في الانس والجن ، وإن الصدق لمعوز قليل ، وهنيئا فى العاقبة للصادقين ، وفى قصة الرجم قول

مكة أقوت من بني الدردبيس [١]
فما للجني بها من حسيس [٢]
وقام فى الصفوة من هاشم [٣]
أزهر [٤] لا يغفل حق الجليس
يجلد فى الخمر ويشتد فى الـ
أمر ولا يطلق شرب الكسيس [٥]
ويرجم الزاني ذا العرس لا
يقبل فيه سؤلة [٦] من رئيس

* * *

(١) حي من أحياء الجن (٢) صوت خفي

(٣) قام في الصفوة من هاشم أى قام فى نخبة بنى هاشم أي في خيرهم

(٤) مشرق الوجه يعنى به النبي (ص)

(٥) الكسيس نبيذ التمر ومعنى البيت أنه يحرم كل أنواع الخمر ولا يبيح حتى هذا النوع من النبيذ

(٦) شفاعة

وكم عروس، بات حراسها
كجرهم[١] في عزها اوجديس[٢]
غرت عليها فتخالجتها[٣]
بواشك الصرعة قبل المسيس[٤]

(١) جرهم قبيلة كانت في جهات مكة نزل بينهم اسماعيل (٢) جديس قبيلة من العرب كانت منازلها باليمامة وكان معهم بنو عمهم طسم فطغت طسم على جديس حتى كان رئيسها عمليق يدخل بالمرأة من جديس قبل أن يدخل بها زوجها وحكاية ذلك أشهر من ان نتصدى لذكرها وفيها تقول عفيرة ، وهن من سادات جديس، حين افتضها عمليق قبل بعلها ، فخرجت تولول شاقة جيبها كاشفة قبلها :

لا أحد اذل من جديس أهكذا يفعل بالعروس؟

ولما هاجت جديس على طسم بسبب هذا البيت مع القصيدة الدالية المشهورة التي أولها :

أيصلح ما يؤتى الى فتياتكم وأنتم رجال كثرة عدد الرمل

انتصرت عليها وانفردت بالعز، وظلت كذلك الى أن ابادهم ملوك اليمن، وجرهم وجديس وطسم من العرب البائدة وقد ذكرهم أبو العلاء في شعره مراراً ، فمن ذلك قوله وهو التفاته تاريخية رائعة :

سيسأل ناس ما قريش ومكة كما قال ناس «ما جديس وما طسم»

وقوله في موضع آخر اثناء كلامه عن الترك :

لهم حيل في حربهم ما اهتدت لها جديس ، ولا ساست بها الملك جرهم

وقوله في ميميته الفذة التي حاور فيها الديك . ” وورثت هدى التذكار من قبل جرهم “ (٣) جعلها تختلج (٤) قبل ان يمسها زوجها

وأُدلِج (١) الظلماء في فتية
مِلجِن (٢) فوق الماحل (٣) العربسيس (٤)

في طاسم؛ (٥) تعزف (٦) جنّانه
أقفر الامن عفاريتَ ليس (٧)

لا نسك في أيامنا عندنا
بل نكس الدين، فما إن نكيس (٨)

فالأحد الأعظم والسبت كالـ
إثنين، والجمعة مثل الخميس (٩)

لا مُجس نحن ولا هودّ
ولا نصارى يبتغون الكنيس

---

(١) أسير ليلا (٢) من الجن (٣) الارض الجدبة (٤) الارض الجافة الغليظة (٥) المفازة لا أثر فيها (٦) تصوت

(٧) شجعان جمع أليس (٨) لا نفطن أى أننا لا نفقه شيئاً فى أمور الدين (٩) أشار أبو العلاء الى هذا المعنى فى لزومياته أكثر من مرة فقال:

لنا جمعة، والسبت يدعى لأمة أطافت بموسى، والنصارى لها الاحد
ثل لبواقى السبعة الزهر معشر يجلونها، ممن تنسك أو جحد؟

وقال:

فما هـذه الايام الا نظائر تساوت بها آحادها وسبوتها

نمزق التوراة من هونها
ونحطم الصلبان، حطم اليبيس (١)

***

نزين للشارخ (٢) والشيخ أن
يفرغ كيسا فى الخنا بعد كيس
ونخرج الحسناء مطرودة
من بيتها عن سوء ظن حديس
تقول: « لا تقنع بتطليقة
واقبل نصيحاً لم يكن بالدسيس »
حتى اذا صارت الى غيره
عاد من الوُجد، بجَد تعيس
نذكره منها، وقد زوجت
ثغرا كدر فى مُدام غريس

***

(١) اليبيس هو ما يبس من العشب، والبقول التى تتناثر اذا يبست أو هو كل نبات يابس، ومعنى البيت: اننا نحقر التوراة فنمزقها، ونهزأ بالصلبان فنكسرها كما نكسر النبت اليابس

(٢) للشاب

ونسخط المَلْك على المشفق الـ
مفرط في النصح اذا الملك سيس
لا أتقي البر لأهواله
وأركب البحر أوان القريس (١)
نادمت قابيل ، وشيثا ، وها
بيل على العاتقة الخندريس (٢)
ورهط لُقمان ، وأيساره
عاشرت من بعد الشباب اللبيس (٣)
ثمت آمنت ، ومن يرزق الـ
إيمان يظفر بالخطير النفيس
جاهدت في بدر ، وحاميت في
أحُد ، وفي الخندق رعت الرئيس (٤)
وراء جبريل ، وميكال نخ
لي الهام ، في الكَبَّة (٥) خلي السيس (٦)

(١) البرد الشديد (٢) الخمر (٣) اي الذي أخلق من كثرة اللبس (٤) بدر واحد والخندق ثلاث وقائع مشهورة من غزوات النبي (ص.) وهو يعني بالرئيس في واقعة الخندق ابا سفيان
(٥) الكبة الصدمة بين الخيلين في الحرب أو الزحمة (٦) يشير بذلك الى ما ورد في القرآن من محاربة الملائكة في جانب المسلمين في

واجمل (١) الأنكد شاهدته ،
بئس نتيج الناقة العنتريس (٢)
وزرت صفين (٣) على شطبة (٤)
جرداء ، ما سائسها بالأريس (٥)
مجدلا (٦) بالسيف أبطالها
وقاذفا بالصخرة المرمريس (٧)

تلك الوقائع في قوله تعالى « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » الى أن يقول : «اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ؟ بلى ! ان تصبروا وتتقوا ، ويأتوكم من فورهم هذا، يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين »

وقوله تعالى في سورة الانفال «اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مسومين » وقوله في سورة الاحزاب «وجنودا لم تروها »

(١) يعني أنه شاهد واقعة الجمل (٢) العنتريس الناقة الغليظة ومعنى البيت : « وقد شاهدت ذلك الجمل المشئوم الذي سميت باسمه الموقعة فلا كان يوم ولدته أمه فيه ، فانه شر ما انتجته تلك الناقة العنتريس التي خلقته (٣) موقعة صفين التي كانت بين علي ومعاوية (٤) فرس معتدلة القوام (٥) الاريس الاكار أي الحراث ، يعني ان قائدها ليس بالغمر الذي لم يمارس اهوال الحروب (٦) راميا بالسيف ابطالها الى الارض (٧) الملساء أو الشديدة

وسرت قدام على غدا
ة النهر حتى فل غرب الخميس (١)
صادف منى واعظ توبة
فكانت اللقوة (٢) عند القبيس (٣)

فيعجب لما سمعه من ذلك الجنيّ ، ويكره الاطالة عنده فيودعه

حديث الاسد

ويجُم (٤) ، فاذا هو بأسد يفترس من صيران (٥) الجنة وحسيلها (٦) فلا تكفيه مائة ولا مائتان ، فيقول في نفسه : «لقد كان الأسد يفترس الشاة العجفاء (٧) فيقيم عليها الأيام ، لا يطعم سواها شيئا» ، فيلهم الأسد أن يتكلم ، وقد عرف ما في

---

(١) الجيش وسمي كذلك لأنه خمس فرق
(٢) اللقوة أي الناقة اللقوة وهي كل ناقة سريعة القبول لماء الفحل
(٣) القبيس أي الفحل القبيس وهو كل فحل سريع الالقاح، ومعنى البيت أن الوعظ صادف استعدادا منه وهوى في نفسه، فانتصح به واقلع عما كان فيه من الضلال والغي
(٤) يسير (٥) قطعان بقر الوحش (٦) أولاد البقر مفردها حسيلة (٧) الهزيلة

نفسه فيقول : ،، يا عبد الله ! أليس أحدكم فى الجنة تقدم له الصحفة (١) فيأ كل منها مثل عمر السموات والارض ، يلتذ بما أصاب ، فلا هو مكتف ، ولا هي الفانية ، وكذلك أنا اقترس ما شاء الله ، فلا تأذى الفريسة بظفر ولا ناب ، ولكن تجد من اللذة كما أجد ، بلطف ربها العزيز ! ،،

،، أتدري من أنا ؟ أنا أسد القاصدة التى كانت فى طريق مصر ، فلما سافر عتبة بن أبي لهب يريد تلك الجهة ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم سلّط عليه كلبا من كلابك » الهمت أن أتجوع له اياما ، وجئت وهو نائم بين الرّفقة ، فتخللت (٢) الجماعة اليه ، وأدخلت الجنة بما فعلت ،،

حديث الحطيئة

فيذهب ، فاذا هو ببيت فى أقصى الجنة ، كأنه حفش (٣) أمة راعية ، وفيه رجل ليس عليه نور سكان الجنة ، وعنده شجرة قميئة (٤) ، ثمرها ليس بزاك (٥) .

فيقول : ،، يا عبدالله ! لقد رضيت بحقير ،،

---

(١) القصعة الكبيرة المنبسطة (٢) دخلت بينهم أو خلال ديارهم
(٣) بيت صغير جداً (٤) صغيرة (٥) ليسناميا

فيقول : « والله ما وصلت اليه الا بعد هياط ومياط (١) وعرق من شقاء ، وشفاعة من قريش ، وددت أنها لم تكن »
فيقول : « من أنت » فيقول : « أنا الحطيئة العبسى »
فيقول : « بم وصلت الى الشفاعة ؟ » فيقول : « بالصدق »
فيقول : « فى أى شيء ؟ » فيقول : « فى قولى :

ابت شفتاى اليوم الا تكلما بهجر (٢) ، فلا أدرى لمن انا قائله
أرى لى وجها قبح الله خلقه فقبح من وجه ، وقبح حامله »

فيقول : « ما بال قولك :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس (٣)

لم يغفر لك به ؟ » فيقول « سبقنى الى معناه الصالحون ، ونظمته ولم اعمل به ، فحرمت الاجر عليه » فيقول « ما شأن الزبرقان بن بدر ؟ » فيقول الحطيئة « هو رئيس فى الدنيا والآخرة ، انتفع بهجائى ، ولم ينتفع غيره بمديحى »

---

(١) هياط ومياط أى اضطراب ومجيء وذهاب ودفع وزجر ، والهياط أشد السوق فى الورد والمياط أشد السوق فى الصدر
(٢) فحش من القول أو قبيح من الكلام
(٣) المعروف

الجحيم

حديث الخنساء

فيخلفه ويمضى ، فاذا هو بامرأة فى اقصى الجنة ، قريبة من المطَّلَع الى النار ، فيقول „ من أنت ؟ ،، فتقول „ أنا الخنساء السّلميّة ، أحببت أن انظر الى صخر ، فاطّلعت ، فرأيته كالجبل الشامخ ، والنار تضطرم فى رأسه ، فقال „ لقد صح مزعمك فىّ ،، يعنى قولى :

وان صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم (١) في رأسه نار ،،.

حديث ابليس

فيطلع فيرى ابليس — لعنه الله — وهو يضطرب فى الأغلال والسلاسل ، ومقامع (٢) الحديد تأخذه من ايدى الزبانية ، فيقول „ الحمد لله الذى أمكن منك ياعدوّ الله وعدو أوليائه ، لقد

---

(١) جبل شامخ

(٢) عمد الحديد مفردها مقمعة وهي عمود من الحديد كالمحجن يضرب به رأس الفيل أو خشبة يضرب بها الانسان ليذل

أهلـكت من بنى آدم طوائف لا يعلم عددها الا الله »

فيقول « من الرجل ؟ »

فيقول : « انا فلان بن فلان ، من أهل حلب ، كانت صناعتى الأدب أتقرب به الى الملوك »

فيقول : « بئس الصناعة ! إنها تهب غفّة من العيش لا يتسع بها العيال ، وانهـا لمزلة القدم ، وكم أهلـكت مثلك ، فهنيئا لك إذ نجوت ، وإن لى اليك لحاجة ، فان قضيتها شكرتك يد المنون (١)

فيقول : « إنى لا أقدر لك على نفع ، فان الآية سبقت فى أهـل النار ، أعنى قوله تعالى : « ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو ممـا رزقكم الله ، قالوا إن الله حرمها على الـكافرين »

فيقول : « إنى لا أسـألك في شيء من ذلك ، ولـكن أسألك عن خبر تخبرنيه ، إن الخمر حرمت عليكم في الدنيا ، وأحلت لكم فى الآخرة ، فهل يفعل أهل الجنة بالولدان المخلدين فعل اهل القريات ؟ »

فيقول : « عليك البهلة (٢) أما شغلك ما أنت فيه ! أما سمعت قوله ـ تعالى ـ ولهم فيها أزواج مطهرة ، وهم فيها خالدون »

---

(٢) دائما أبداً (٢) اللعنة

فيقول : ,, وإن في الجنة لأشربة كثيرة غير الخمر ، فافعل بشار بن برد ، فان له عندى يدا (١) ليست لغيره من ولد آدم ، كان يفضلني دون الشعراء،وهو القائل :

إبليس أفضل من ابيكم آدم
فتبينوا يامعشر الأشرار
النار عنصره (٢) ، وآدم طينة
والطين لايسمو سمو النار

لقد قال الحق ، ولم يزل قائله من المقوتين،،

حديثه مع بشار

فلا يسكت من كلامه ، إلا ورجل فى اصناف العذاب ، يغمض عينيه حتي لاينظر الي مانزل به من النقم، فيفتحهما الزبانية بكلاليب (٣) من نار ، وإذا هو ببشار بن برد ، قد اعطي عينين بعد الكمه ، لينظر الى مانزل به من النكال .

فيقول له : ,, يا أبامعاذ (٤) لقد أحسنت فى مقالك، وأسأت

(١) معروفا أو احسانا (٢) أصله

(٣) جمع كلاب (بتشديد اللام) وهو حديدة معطوفة الرأس أو عود فى رأسه عقافة يجر به الجمر (٤) كنية بشار

في معتقدك ، ولقد كنت في الدار العاجلة أذكر بعض قولك ، فأترحم عليك ، ظنا أن التوبة ستلحقك ، مثل قولك :

ارجع الى سكن تعيش به
ذهب الزمان وأنت منفرد
ترجو غدا ، وغدا كحاملة (١)
في الحي ، لايدرون ماتلد (٢)

وقولك :

الحر يلحى (٣) والعصا للعبد
وليس للملحف (٤) مثل الرد

فيقول بشار . ”يا هذا : دعني من أباطيلك، فاني لمشغول عنك“

حديثه مع امرئ القيس

ويسأل عن امرئ القيس بن حجر فيقال . ” يا أبا هند أخبرني عن التسميط (٥) المنسوب اليك ، أصحيح هو عنك ؟ “

(١) كحبلى (٢) أي أن غدا مجهول لا تعرف ما يجنه لك (٣) يلام (٤) الملح

(١) التسميط ضرب من الشعر ينظم مسمطا أى مقسما على أجزاء عروضية مقفاة على غير روي القافية وقد نحلوا امرأالقيس تسميطا آخر بين البعد عن الاسلوب الجاهلي وأوله :

وينشده الذى يرويه بعض الناس .

ياقوم إن الهوى أذا أصاب الفتى

فى القلب ثم ارتقى فهد بعض القوى

فقد هوى الرجل

فيقول . ,, والله ماسممت هذا قط ، وانه لقرى لم أسلكه ، وإن الكذب لكثير ، وأحسب هذا لبعض شعراء الاسلام ، ولقد ظامنى وأساء الى ، أبعد كلمتى التى أولها .

الا عم صباحا (١) أيها الطلل البالى

وهل يعممن من كان فى العصر الخالى !

وقولى :

خليلى مرابي على أم جندب

لأقضى حاجات الفؤاد المعذب

توهمت من هند معالم اطلال عفاهن طول الدهر فى الزمن الخالى

* * *

مرابع من هند خلت ومصائف يصيح بمغناها صدى وعوازف

وغيرها هوج الرياح العواصف وكل مسف ، ثم آخر رادف

بأسحم من نوء السماكين هطال

(١) ليكن صباحكم ناعما

يقال لي مثل ذلك، والرجز اضعف الشعر [1]، وهذا الوزن من اضعف الرجز !»» فيعجب لما سمعه من امرئ القيس

حديثه مع عنترة

وينظر، فاذا عنترة متلدد [2] في السعير، فيقول : «« مالك

(١) هـذا هو رأي أبي العلاء في الرجز ، وسيمر بك في هذه الرسالة ما يقنعك بتحامله الشديد على الرجاز وافتنانه في احتقارهم وتنقصهم ، وسننبه على ذلك في موضعه ، ونجتزىء هنا ببضع أبيات من لزومياته تستشف منها رأيه في الرجز والرجاز ، بصراحة لا تدع مجالا للشك ، وهي قوله :

قصرت أن تدرك العلياء في شرف
ان القصائد لم يلحق بها الرجز

وقوله :

ولم أرق في درجات الكريم وهـل يبلغ الشاعر الراجز

وقوله :

عجزت عن الكسب الذي يجلب الغنى
وما أنت عن كسب الدنايا بعاجز
ومن لم ينل في القول رتبة شاعر
تقنع في نظم برتبـة راجز

(٢) متحير أومتبلد يتلفت يمينا وشمالا وهومأخوذ من صفحتي عنقه

يا أخا عبس ؛ كأنك لم تنطق بقولك :

ولقد شربت من المدامة بعدما
ركد الهواجر بالمشوف المعلم
بزجاجة صفراء ذات اسرة
قرنت بأزهر في الشمال مفدم (١)

وإني اذا ذكرت قولك : « هل غادرالشعراء من متردم (٢) »
لأقول : « انما قيل ذلك وديوان الشعر قليل محفوظ ، فأما الآن فلو سمعت ماقيل بعد مبعث النبي ـ صلى الله عليه ـ لعتبت نفسك على ما قلت ، وعلمت أن الأمر كما قال حبيب بن أوس :

فلو كان يفنى الشعر أفناه ما قرت (٣)
حياضك منه فى العصور الذواهب
ولـكنه صوب (٤) العقول ، اذا انجلت
سحائب منه أعقبت بسحائب

فيقول : « وما حبيبكم هذا ؟ » فيقول « شاعر ظهر في

---

(١) ارجع الى تفسيرها فى (ص ٤٣) (٢) المتردم الموضع يسترقع ويستصلح لما اعتراه من الوهن والوهي ، أى لم يترك الشعراء لى معنى جديداً أقوله بعدهم

(٣) ما جمعته (٤) مطر

الاسلام ،، وينشده شيئا من نظمه ، فيقول : ،، أما الأصل فعربى ، وأما الفرع فنطق به غبي ، وليس هـذا المذهب على ما تعرف قبائل العرب ،، فيقول وهو ضاحك مستبشر : ،، إنما ينكر عليه المستعار ـ وقـد جاءت العارية فى أشـعار كثيرة من المتقدمين ، إلا انها لاتجتمع كاجتماعها فيما نظمه حبيب بن أوس (١) ،،

***

،، واقد شق على دخول مثلك الى الجحيم ،وكأن أذنى مصغية الى قينات (٢) الفسطاط وهى تغرد بقولك

أمن سمية (٣) دمع العين تذريف

لوأن ذامنك قبل اليوم معروف (٤)

(١) حبيب ابن أوس هو أبو تمام وهـذاهو رأى أبى العلاء فى شعره وقد ذكره في لزومياته فقال :

وجدت عواري الحياة كثيرة كأن بقاء المرء شعر حبيب

(٢) مغنيات

(٣) سمية هي امرأة أبيه وكان يحبها فحرضت عليه أباه ذات يوم وادعت أن عنترة راودها عن نفسها ، فغضب عليه غضباً شديداً ، واخذ يضرب به ضربا مبرحا ، فلما رأت ذلك رق له قلبها ، فارتمت عليه تجلله وتحميه وبكت لما أصابه ، ففاضت شاعريته بتلك الابيات (٤) معنى البيت : أحقا تذرفين على دموعك وما عودتنى ذلك من قبل ؟

تجللني (١) اذا أهوى العصا قبلي
كأنها رشأ (٢) في البيت مطروف (٣)
العبد عبدكم ، والمال مالكم ،
فهل عذابك عني اليوم مصروف

حديثه مع علقمة

وينظر فاذا علقمة بن عبدة (٤) فيقول : « أعزز علي بمكانك ! ما أغنى عنك سمطا لؤلئك (٥) ، ولو شفعت لأحد أبيات صادقة ليس فيها ذكر الله سبحانه ـ لشفعت لك أبياتك في وصف النساء أعني قولك :

فان تسألوني بالنساء فانني
بصير بأدواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء ، أو قل ماله
فليس له في ودهن نصيب

---

(١) علتني أو تكنفتني (٢) ولد الظبية (٣) با كي العين
(٤) هو علقمة الفحل
(٥) يعني بائيته وميميته ، ومطلع الاولى « طحا بك قلب في الحسان طروب » ومطلع الثانية « هل ما علمت وما استودعت مكتوم » وهما مشهورتان

يردن ثراء المال ، حيث وجدنه
وشرخ[١] الشباب عندهن عجيب[٢]

(١) شرخ الشباب ريعانه أي أوله

(٢) معنى الابيات واضح ، واستحسان أبي العلاء لها الى هذا الحد ، يدلك على انها صادفت هوى في نفسه ، وأنه ممن يدينون بهذا الرأي ، وربما مثلت لك هذه الابيات بعض ما يعتقده في النساء ، فلنذكر لك بهذه المناسبة موجز

رأى أبي العلاء في المرأة

فنقول: « ان كان لاحد أن يسخط على أبي العلاء ، فهي المرأة ، فقد احتقرها وأنكر عليها أكثر مزاياها ، وأمعن في اساءة الظن بها ، وأسرف في ذلك اسرافا بلغ به أن رأي السعادة في خلو العالم منها فقال:

بدء السعادة ان لم تخلق امرأة فهل تود جمادى انها رجب ؟

ورأى انها لا تصلح للحياة العامة مطلقاً ، وتمثلها غادرة متهالكة على لذاتها ، منهمكة متفانية في شهواتها ، لا تعرف الوفاء ، ولا تدرك للحب الصادق معنى ، تتجهم للرجل اذا قل ماله ، وتخونه لاتفه الاسباب

وبهذه العقيدة المتمكنة ، اندفع يشدد عليها الحجاب ، وينهاها عن دخول الحمام ، ويحرم عليها أداء فريضة الحج ، ويحظر عليها الصلاة في المسجد ، وينصحها بالعدول عن طلب العلم ، فاذا لم يكن لها بد من طلبه ، فحسبها منه أن تحفظ بضع أبيات يلقنها اياها شيخ أعمى ، أنهكه الكبر ، فخانته قواه وارتعشت من الضعف يده ، وعليها أن تكتفي بهذا

حديثه مع عمرو بن كلثوم

فليت شعرى مافعل عمرو بن كلثوم فيقال ؟؟ هاهو ذا من

القدر اليسير دون أن تحاول الاستزادة ، أو تطمح الى التعمق فى فهم ما حفظته ، فان ذهنها الضيق لا يتسع لذلك ، ولا حاجة بها اليه ، أما القراءة والكتابة فانها مفسدة لها ، ولو شئنا سرد ما قاله في ذلك ، لخرجنا عما قصدنا اليه ، ولكن حسبنا ان نجتزىء هنا بقوله :

علموهن النسج والغزل والرد ن وخلوا كتابة وقراءة
فصلاة الفتاة بالحمد والاخلا ص تغنى عن يونس وبراءة

وقوله

ولا يدنين من رجل ضرير يلقنهن آيا محكمات
سوي من كان مرتعشاً يداه ولمته من المتثغمات

* * *

وليس لابى العلاء من حسنة تذكرها له المرأة الا سخطه على وأد البنات — ان كان يصح اعتبار هذا الواجب الانسانى حسنة ، فقد قال:

لا تولدوا ، فاذا أبى طبع ، فلا تئدوا ، وأكرم بالتراب مصاهراً

على أن هذا الرأي هو أقل ما ننتظره من رجل لم تقف به الشفقة عند تحريم أكل الحيوان على نفسه ، اشفاقا عليه ، بل وصلت الى حد أن انكر على الناس قتل البرغوث ، فقال

تسريح كفك برغوثاً ظفرت به أبر من درهم تعطيه محتاجا

وأخذ يدلل على ذلك فقال :

تحتك ، ان شئت أن تحاوره فحاوره ،، فيقول : ،، كيف أنت أيها

كلاهما يتوقي — والحيـاة لا عزيزة — ويروم العيش مهتاجا

على انك ، اذا آنست منـه حرارة الدفاع عن قتل البرغوث ، في هذين البيتين ، آلمك ما تلمحه من الفتور ، حين يدافع عن وأد البنات في قوله . « وأكرم بالتراب مصاهراً » فقد ترى فيه نهياً مشوبا بشيء من التردد والحذر ، بل ان شئت فقل من الرضى والتماس المذر »

* * *

ولا يذهبن الوهم بالقارىء ، فيحسب أن أبا العلاء كان مع كل هذا التحامل يكرهها ، أو يقتص منها لترة في نفسه منها ، فقد كان ، على العكس من ذلك ، شفيقاً رحيما بها ، وانما دفعه الى تنقصها وتمني خلو العالم منها ، حدبه العميم على الانسان ، ولما كانت المرأة في رأيه هي أداة النسل ومجلبته وهو لا يرى في غير انقراض النسل حاسما لشقاء العالم ، فلا جرم خصها بأكبر قسط من سخطه ، ونقم عليها وجودها

وقد ساعده على سوء ظنه بها واحتقاره مواهبها ، ما كانت عليه في عصره من الانحطـاط الخلقي والضعف النفسي ، وما اكتظت به الآداب العربية التي درسها من تنقص المرأة والافتنان في ذكر مثالبها

* * *

ولا مندوحة هنا من التنبيه على أن رأي شوبنهور الفيلسوف الالماني لا يختلف كثيراً عن رأى أبي العلاء في المرأة ، ولا يغيبن عن القارىء اتفاقهما في المزاج السوداوى الذى كان علة تشاؤمهما معاً

المصطبح (١) بصحن الفانية، والمغتبق (٢) من الدنيا الفانية! لوددت أنك لم تساند (٣) في قولك

كأن متونهن متون غُدر (٤)
تصفقها (٥) الرياح اذا جرينا (٦)

فيقول عمرو "انك لقرير العين، لا تشعر بما نحن فيه، فاشغل نفسك بتمجيد الله، واترك ماذهب فأنه لايعود، وأما ذكرك سنادي فأن الأخوة ليكونون ثلاثة أو أربعة، ويكون فيهم الأعرج والأبخق (٧) فلا يعابون بذلك، فكيف اذا بلغوا المائة في العدد ؟"

---

(١) المصطبح هو الذى يشرب الصبوح أي خمر الغداة وهو يشير بذلك الى قوله فى أول معلقته

الا هبي بصحنك فاصبحينا   ولا تبقي خمور الاندرينا

أى انهضي بقدحك أيتها الساقية، واسقينا خمرة الصباح ولا تدخري شيئاً مما عندك من تلك الخمر التى احضرت من قرى الاندرين

(٢) المغتبق هو الذى يشرب الغبوق أي خمر العشى

(٣) أى لم تأت بالسناد في شعرك، والسناد في الشعر هو كل عيب فى القافية قبل الروى (٤) مخفف غدر، بضم الدل (٥) تضربها

(٦) معنى البيت ان متون تلك الدروع يشبه متون الغدر اذا صفقتها الرياح أثناء جريها (٧) البخق أقبح العور واكثره غمصا

فيقول „ وأعزز علي بأنك قصرت على شرب حميم وأخذت بعملك الذميم من بعد ما كانت تسبأ (١) لك القهوة (٢) تقابلك بلون الحص (٣)، وقالوا في قولك سخينا قولين أحدهما انه فعلنا من السخاء والنون نون المتكلمين والآخر أنه من الماء السخين، لأن الاندرين وقاصرين كانتا في ذلك الزمن للروم، ومن شأنهم أن يشربوا الخمر بالماء السخين في صيف وشتاء ،،

حديثه مع الحارث اليشكرى

وينظر فاذا الحارث اليشكرى فيقول لقد أحسنت فى قولك

لاتكسع (٤) الشول (٥) بأغبارها (٦)
انك لاتدرى من الناتج (٧)

---

(١) تشرى لك لتشربها (٢) الخمر (٣) الحص هو الورس، نبت له نوار أحمر يشبه الزعفران، وقد أشار بذلك الى قوله في معلقته يصف الخمر :

مشعشعة كأن الحص فيها اذا ما الماء خالطها سخينا

والمشعشعة الخمر الممزوجة بالماء

(٤) كسع الناقة بغبرها ترك فى خلفها بقية من اللبن ليغزر

(٥) الشول الناقة التى شال لبنها أى ارتفع فلم يبق فى ضرعها الا صبابة منه (٦) أغبار جمع غبر وهي بقية اللبن فى الضرع

(٧) هو الذي ينتج الناقة أي يلي نتاجها ومعنى البيت : لا يكن

* * *

وقد كانوا فى الجاهلية يكسعون (١) ناقة الميت على قبره ، ويزعمون أنه اذا نهض لحشره وجدها قد بعثت له فيركبها ، وهيهات ، بل حشروا عراة حفاة

حديثه مع طرفة

ويعمد لسؤال طرفة بن العبد ، فيقول . ,, ياابن أخى ياطرفة ـخفف الله عنك ـ أتذكر قولك :

كريم يروى نفسه فى حياته
ستعلم ان متنا غدا أينا الصدى (٢)

همك تغزير ابلك لتقوية نسلها ، فانك لا تدري ما تضمره الايام فربما اختص بنتاجها غيرك

ويلي هذا البيت قوله :

واحلب لأضيافك ألبانها فان شر اللبن الوالج

أي شر اللبن هو المكسوع الذي يلج في ظهور النوق فاحلبها لاضيافك ولا تكن بخيلا (١) يكسعون ناقة الميت أى يضربونها بقوائم سيوفهم من أسفل ،وليس لهذا الكلام علاقة بالبيت السابق وانما هى التفاتة من أبى العلاء لا تخلو من نفع وليس في ذكرها بأس

(٢) يصف نفسه بانه كريم يروي نفسه بالخمر ويفخر بأنه سيموت

وقولك .

أرى قبر نحام (١) بخيل بماله
كقبر غوى فى البطالة مفسد (٢)
متى تأتنى أصبحك كأسا روية
وان كنت عنها غانيا،فاغن وازدد (٣)

فكيف صبوحك الان وغبوقك (٤) ؟ انى لأحسبهما حميا،،

،، ولقد كثرت فى امرك أقاويل الناس ، فمنهم من يزعم أنك فى ملك النعمان اعتقلت ، وقال قوم . بل الذى فعل بك مافعل عمرو بن هند (٥) ،،

ريان ، وأن عاذليه فى شربها سيظمأون عند موتهم

(١) بخيل حريص على جمع المال وادخاره

(٢) معنى البيت : لا أرى أى فرق بين قبر البخيل الذى عنى نفسه بجمع المال وادخاره ، وقبر المفسد المتلاف لماله ، فما قيمة المال اذن،ولماذا ابقى عليه ولا امتع نفسى به(٣)اذا وافيتنى منحتك كأساً تروى بها من الخمر ، فاذا لم تشأ ، فلا سقيتها أبداً

(٤) الصبوح شراب الصباح والغبوق شراب المساء

(٥)يشير بذلك الى الروايتين الشائعتين عن سبب قتله ،والرواية الثانية أرجح وأشهر ، وخلاصتها ان طرفة كان قد هجى عمرو بن هند ، فأحفظه ذلك عليه ، وأسرها له فى نفسه ، ثم أرسله مع المتلمس الى

„ ولو لم يكن لك أثر فى العاجلة الا قصيدتك التى على الدال (١) ، لكنت قد ابقيت أثرا حسنا „

عامله بالبحرين ، بعد أن تلطف بها ، واعطى كلا منهما كتاباً ، أوهمهما أن فيه أمراً بصلتهما ، وانما فيه أمر بقتلهما ، وارتاب المتلمس فى نية ابن هند ، فذهب الى غلام يقرأ له كتابه ، فلما وجد فيه الامر بقتله فر ، ونصح طرفة فلم ينتصح ، وذهب لطيته حيث لقى حتفه

(١) يعنى معلقته الرائعة التى وفق فيها كل التوفيق الى تمثيل صورة واضحة دقيقة من نفسه . المتوثبة الى غايات الشباب النبيل ، الشديدة الحس بما يحيط بها من الجمال والحسن ، الفياضة بالشاعرية الغالية ، التى تلمحها فى أغلب أبياتها — ان لم نقل في كلها ، وهل ترى أنصع من تلك الصورة الجميلة التى مثل فيها نفسه ، حين يقول :

ألا ايهذا الزاجرى ، أحضر الوغي
وان أشهد اللذات ، هل أنت مخلدى ؟

فان كنت لا تستطيع دفع منيتى
فدعنى ابادرها بما ملكت يدى

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى
وجدك ، لم أحفل متى قام عودى

فمنهن سبقى العاذلات بشربة
كميت ، متى ما تعل بالماء تزبد

وكري ، اذا نادى المضاف مجنباً ،
كسيد الغضا ، نبهته — المتورد

***

فيقول طرفة . « وددت أنى لم أنطق مصراعا ، ودخلت الجنـة مع الهمج والطغام ، وكيف لى بهـده وسكون ، وأما القاسطون (١) فكانوا لجهنم حطبا ».

حديثه مع أوس بن حجر

ويلفت عنقـه يتأمل ، فاذا هو بأوس بن حجر ، فيقول . « ياأوس ! إن اصحابك لايجيبون السائل ، فهل عندك من جواب ! فانى اريد أن أسألك عن هذا البيت .

وتقصير يوم الدجن ، والدجن معجب ، ببهنكة ، تحت الخبـاء المعمـد

فانظر اليه كيف يدفع حجة من يعذله فى اقتحامه الهيجاء وتمتعه بلذاته ، باستحالة الخلود ، ومن ثم بوجوب اقتناص الفرص ، والتمتع بمسرات الحياة ، قبل أن تغتاله يد الموت ، وانظر الى رغباته الثلاث التى لايرى للحياة معنى بدونها ، وهى سبقه العاذلات بشربة من الخمر الكميت ، واندفاعه فى ساحة الحرب بفرسه ، التى تشبه الذئب في سرعة العـدو ، لاغاثة اللائذ به ، وتقصيره يوم الغيم ، بالتمتع بامرأة جميلة يغازلها ، في سرادق مرفوع

(١) الجائرون أو الحائدون عن الحق

وقارفت [١] ، وهي لم تجرب ، وباع لها
من الفُصافص [٢] بالنمى [٣] سفسير [٤]

فانه في قصيدتك التي أولها .

هل عاجل من متاع الحي منظور

ويروي في قصيدة النابغة التي أولها

ودع امامة والتوديع تعذير

وكلا كما معدود في الفحول ، فعلى أي شيء يحمل ذلك ! ،،

فيقول أوس . ،، قد بلغني أن نابغة بني ذبيان في الجنة فاسأله عما بدا لك ،فلعله يخبرك فانه أجدر أن يعي هذه الأشياء، فأما أنا،فقد ذهلت ، نار توقد ، وبنان يعقد ، اذا غلب على الظما رفع الى شيء كالنهر، فاذا اغترفت منه لأشرب ، وجدته سعيرا مضطرما ، ولقد دخل الجنة من من هو شر مني،ولكن المغفرة ارزاق ، كأنها النشب في الدار العاجلة ! ،،

فيقول ،، انما اردت أن آخذ عنك هـذه الألفاظ فأتحف

---

(١) خالطت الجربى فلم تجرب لقوتها (٢) جمع فصفصة وهي نبات تعلفه الدواب (٣) الفلوس (٤) سائس حاذق ، ومعنى البيت أن فرسه خالطت الدواب الجربى فلم يصبها جرب ، لانها من الافراس القوية التي يشرى لها علفها بالمال سائس حاذق يعنى بأمرها

بها اهل الجنة،فأقول قال لى أوس وأخبرني أبو شريح ،،

حديثه مع ابى كبير الهذلى

ويرى رجلا فى النار لا يميزه من غيره فيقول . ،، من أنت أيها الشقى ؟ ،، فيقول ،، أنا ابو كبير الهذلى عامر بن الحليس ،، فيقول ،، انك لمن اعلام هذيل ولكني لم أوثر قولك

أزهير هل عن شيبه من معدل (١)

أم لا سبيل الى الشباب الاول

وقلت فى الاخرى

أزهير هل عن شيبة من مصرف

أم لا خلود لعاجز متكلف

وقلت فى الثالثة

أزهير هل عن شيبه من مَعْكم (٢)

فهذا يدل على ضيق عطنك (٣) بالقريض ، فهلا ابتدأت كل قصيدة بفن ؟ والاصمعى لم يرو لك الا هذه القصائد

---

(١) مصرف وهذا البيت من قصيدة جيلة عدتها ثمان وأربعون بيتا قالها فى تأبط شرا ، ابن زوجه أميمة (٢) محبس (٣) ضيق باعك

الثلاث،، فيقول ابو كبير الهذلى،، انما كلام أهل سقر ويل وعويل. فاذهب لطيتك،،

حديثه مع الاخطل

واذا هو برجل يتضور [١] فيقول ،، من هذا ؟،، فيقال ،، الاخطل التغلبى،، فيقول له ما زالت صفتك للخمر، حتى غادرتك أُكلاً للجمر ! فكم طربت السادات على قولك :

أناخوا ،بجروا شاصيات [٢] كأنها
رجال من السودان لم يتسربلوا
فقلت اصبحونى [٣] لا ابا لابيكم
وما وضعوا الاثقال الا ليفعلوا
فصبوا عقاراً [٤] فى الاناء كأنها
اذا لمحوها جذوة [٥] تتأكل [٦]

(١) يتأوي من وجع الضرب أو من ألم الجوع (٢) زقاقا مملوءة شائلة القوائم ،أو قربا ملئت فارتفعت قوائمها (٣) اسقونى خمر الصباح (٤) العقار الخمر سميت كذلك لمعاقرتها،أي لملازمتها الدن (٥) جمرة ملتهبة (٦) تحترق وتتوهج

وجاءوا ببيسانية هى بعد ما
يعل [١] بها الساقى ألذّ وأسهل
تمر بها الأيدى سنيحا [٢] وبارحا [٣]
وتوضع باللهم حَيِ [٤] وتحمل
فتوقف احيانا فيفصل بيننا
غناء مغن أو شواء مرعبل [٥]
فلذت لمرتاح وطابت لشارب
وراجعنى منها مراح [٦] وأخيل [٧]
فما ألبثتنا [٨] نشوة [٩] لحقت بنا
توابعها ، مما نعل وننهل
تدب دبيبا فى العظام كأنه
دبيب نمال فى نقاً [١٠] يتهيل [١١]

---

(١) يسقى بها ثانية
(٢) من الجانب الايمن (٣) من الجانب الايسر
(٤) أى انهم حين يضعونها يهللون فرحين بها (٥) مقطع لتصل اليه النار فتنضجه (٦) اشتداد الفرح حتى يجاوز الانسان حده فيتبختر ويختال (٧) كبر (٨) لم تمهلنا (٩) شكرة (١٠) كثيب أو قطعه من الرمل تنقاد محدودبة (١١) ينهال

فقال التغلبي ، اني جررت الدارع ولقيت الذارع ، وهجرت الآبدة ورجوت أن تدعي النفس العابدة ولكن أبت الافضية ، فيقول ، اخطأت في أمرين ـ جاء الاسـلام فعجزت ان تدخل فيه ولزمت اخلاق سفيه ، وعاشرت يزيد بن معاوية ، وأطعت نفسك الغاوية ، وآثرت مافنى على باق ، فكيف لك بالاباق[1] ؟ ،

فيزفر[2] الاخطل زفرة تعجب لها الزبانية ، ويقول ، آه على أيام يزيد أسـوف[3] عنده عنبرا ، وأمزح معه مزح خليل ، وكأني بالقيان الصدحة[4] بين يديه تغنيه .

ولها بالماطرون اذا   أكل النمل الذي جمعا
خلفة حتى اذا ظهرت   سكنت من جلق بيعا
في قباب حول دسكرة[5]   حولها الزيتون قد ينعا
وقفت للبـدر ترقبه   فاذا بالبدر قد طلعا

ولقد فاكهته في بعض الايام وانا سكران ملتخ[6] فقلت :

---

(١) الهروب او الفرار ومعناها هنا النجاة (٢) يخرج نفسه بعد مده اياه (٣) أشم (٤) اللائى يرفعن أصواتهن بالغناء
(٥) قرية عظيمـة أو بناء كالقصر حوله بيوت (٦) مختلط وملتبس كلامي من شدة السكر

الا اسلم سلمت أبا خالد
وحياك ربك بالعنقز [١]
اكلت الدجاج وافنيتها
فهل فى الخنانيص[٢] من مغمز [٣]

فما زاد فى عن ابتسام واهتز للصلاة

فيقول الشيخ „ من ثم أتيت ، أما علمت أن ذلك الرجل عاند ، فعلام اطلعت من مذهبه ، أكان موحدا أم ملحدا ! ، فيقول الاخطل كانت تعجبه هذه الأبيات .

أخالد ! هاتي خبريى واعلني [٤]
حديثك اني لا أسر [٥]التناجيا [٦]
حديث ابي سفيان ، لما سمابها
الى أحد [٧] ، حتي أقام البوا كيا

---

(١) نوع من النبت قيل هو ألياسمين
(٢) جمع خنوص وهو ولد الخنزير
(٣) مطعن ومعنى البيت انك افنيت الدجاج اكلا ، فما عليك لو عطفت على الخنازير فأكلتها ، أتري فيها مطعنا ؟
(٤) جاهري به (٥) لا اكتم (٦) السر
(٧) يعني جبل أحـد وهو يشير بذلك الى انتصار المشركين على

وكيف بغى أمرا (١) على ففاته
وأورثه الجد (٢) السعيد معاويا

النبي (ص .) في واقعة أحد سنة (٦٢٥ م) وكان قائد المشركين فيم أبو سفيان ، وكان النصر محققاً للمسلمين في بدئها ، فلما خالفوا أمر النبي (ص .) وانتقلوا من مواضعهم ، كرعليهم المشركون وقتلوا منهم عددا كبيرا ، فيهم حمزة عم النبي (ص .) واستطاع العدو أن يخلص الى النبي (ص .) فيرميه بالحجارة ، ووقع لشقه ، فأصيبت رباعيته وشج وجهه وكلمت شفته ، ودخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ، وسقط في احدى الحفر التي حفرها المشركون ليقع فيها المسلمون ، فأخذه علي بيده ، ورفعه طلحة بن عبيد الله ، وأحاط به جماعة من الانصار والمهاجرين ، استبسلوا في الدفاع عنه ، وفي هذه الموقعة أظهرت أم نسيبة بنت كعب ، شجاعة مدهشة واقداما يستفز الاعجاب والروعة ، فقد كانت تسقي الماء في أول النهار ، فلما رأت هزيمة المسلمين ، انحازت الى النبي (ص .) وتفانت في الذود عنه ، ضاربة بسيفها مرة ، ورامية عن قوسها اخرى ، حتى اثخنتها الجروح

وفي نهاية المعركة صعد أبو سفيان ربوة ، ونادى المسلمين بأعلى صوته « انعمت فعال ، ان الحرب سجال ، يوم بيوم بدر ، اعل هبل ! »

(١) يشير بذلك الى أمر الخلافة التي سعى اليها معاوية وعلي ، فقتل الثاني وأحرزها الاول . (٢) الحظ

وقومي فعليني[1] على ذاك[2] قهوة[3]
تحلبها العيسى كرما[4] شآميا[5]
اذا ما نظرنا في امور قديمة
وجدنا حلالا شربها المتواليا
فلا خلف بين الناس ، إن محمدا
تبوأ رمسا في المدينـة ثاويا[6]

فيقول : ،، عليك البهلة ! قد ذهلت الشعراء من أهل الجنة والنار ، عن المدح والنسيب[7] ، وما شُدهت[8] عن كفرك ولا إساءتك ! ،،

---

(١) اسقيني (٢) نخب ذلك

(٣) خمرة (٤) عنبا (٥) تعالى لحدثيني وأعلني أحاديثك الجميلة فليس من رأيي كتمانها ، حدثيني عن هزيمة المسلمين في احد ، وانتصار أبي سفيان عليهم ، وولولة با كياتهم على قتلاهم ، وحدثيني عن فشل على في الحصول على الخلافة ، وانتصار معاوية عليه ، واحرازها دونه ثم اسقيني نخب هذه الذكريات المحبوبة خمرة لذيذة ، اعتصرها العيسى من عنب شآمي . (٦) اذا تأملنا أقوال القدماء ، لم نجد أحدا منهم يحرم الخمر ، فاذا كان محمد قد تفرد بتحريمها وحده ، فها هو محمد قد مات ، فزال بموته الخلاف في شأنها بين الناس .

(٧) التشبيب (٨) لم تدهش ولم تتحير وتشتغل بما أنت فيه

* * *

وإبليس يسمع ذلك الخطاب كله فيقول للزبانية : „ ما رأيت اعجز منكم اخوان مالك ! ألا تسمعون هذا المتكلم بما لا يعنيه ؟ فلو ان فيكم صاحب نحيزة (١) قوية ، لوثب وثبة حتى يلحق به فيجذبه الى سقر ! „ فيقولون : „ ليس لنا على أهل الجنة سبيل „

فاذا سمع ما يقوله ابليس ، أخذ في شتمه ولعنه ، واظهار الشماتة به ، فيقول ـ عليه اللعنة: „ ألم تنهوا عن الشمات يا بني آدم ؟ ولكنكم ـ بحمد الله ـ ما زجرتم عن شيء ، إلا وركبتموه „

فيقول : „ أنت الذي بدأت آدم بالشماتة ، والبادىء اظلم „

ثم يعود الى كلام الأخطل فيقول : „ أأنت القائل هذه الابيات :

ولست بصائم رمضان طوعا ولست بآكل لحم الاضاحي

ولست بقائم كالعَير (٢) أدعو قبيل الصبح „ حي على الفلاح „

ولكني سأشربها شمولا (٣) وأسجد عند منبلج (٤) الصباح

فيقول: „ أجل! واني لنادم سادم (٥) وهل أغنت الندامة ؟ „

---

(١) طبيعة (٢) الحمار (٣) خمرا باردة (٤) عند شراق الصباح (٥) سادم في معنى نادم وهي هنا للتأكيد

* * *

ويمل من خطاب أهل النار ، فينصرف الى قصره المشيد فاذا صار على ميل او ميلين ، ذكر انه ما سأل عن مهلهل التغلبي ولا عن الشنفرى وتأبط شرا ، فيرجع على أدراجه ، فيقف بذلك الموقف ينادي : « اين عدىّ بن ربيعة ؟ » فيقال : « زد فى البيان » فيقول : « الذى يستشهد النحويون بقوله :

ضربت صدرها الىّ وقالت
« ياعديا ! لقد وقتك[1] الأواقى[2] »

وقد استشهدوا له بأشياء كقوله :

ولقد خبطن[3] بيوت يشكر خبطة
اخوالنا ، وهم بنو الأعمام

وقوله :

ما ارجى بالعيش بعد ندامى كلهم قد سقوا بكأس حلاق[4]

---

(١) حفظتك وصانتك عن الاذى

(٢) جمع واقية وهى الشيء يتقي به ومعنى البيت انها دقت صدرها داعية أن لا يصيبنى مكروه

(٣) ضربهم ضربا شديدا (٤) الحلاق المنية ومعنى البيت : أي خير فى الحياة بعد أن افنى الردى كل ندامای

فيقال : « انك لتعرف صاحبك بأمر لا معرفة عندنا منه ، ما النحويون ؟ وما الاستشهاد ؟ وما هـذا الهذيان ؟ نحن خزنة النار ، فبين غرضك تجب اليه »

حديثه مع مهلهل

فيقول : « اريد المعروف بمهلهل التغلبي ، أخي كليب وائل الذي كان يضرب به المثل » فيقال : « ها هو ذا يسمع حوارك ، فقل ما تشاء » فيقول : « يا عدي بن ربيعة ! اعزز على بولوجك (١) هذا المولج ! لو لم آسف عليك الا لاجل قصيدتك التي اولها :

أليلتنا بذي حسم (٢) انيري
اذا أنت انقضيت (٣) فلا تحوري (٤)

لكانت جديرة أن تطيل الأسف عليك ، وقد كنت اذا أنشدت ابياتك في ابنتك المزوجة ، في جنب (٥) ، تغرورق من الحزن عيناى ، فأخبرني لم سميت مهلهلا ، فقد قيل انك سميت

---

(١) بدخولك (٢) اسم مكان (٣) انتهيت
(٤) لا ترجعي (٥) منتحيا

بذلك لانك اول من هلهل الشعر ، اى رققه ؟ ،، فيقول : ،، ان الكذب لكثير ، وانما كان لى اخ يقال له امرؤ القيس فأغار علينا زهير بن جناب الكلبي ، فتبعه اخى فى زرافة (١) من قومه فقال فى ذلك :

لما توقل (٢) فى الكراع (٣) هجينهم (٤)
هلهلت (٥) اثأر مالكا أو صنبلا

فسمي مهلهلا ، فلما هلك شبهت به ، فقيل لى مهلهل ، فيقول ،، الآن شفيت صدرى بحقيقة اليقين ،،

حديثه مع الشنفرى

ويسأل عن الشنفرى الازدى فيلقيه قليل التشكى (٦) والتألم

---

(١) جماعة (٢) صعد في أي توغل أو رقي فيه

(٣) الكراع أنف يتقدم الحرة ممتد ، أي جزء خارج ممتد يتقدم الحرة وهي كل أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها احرقت بالنار (٤) يعني بالهجين زهير بن جناب (٥) قاربت ويقال توقفت

(٦) قليل التشكي أى قليل التوجع والتأوه ، وبذلك وصفه قرينه تأبط شرا في قصيدة جميلة منها .

قليل التشكي للمهم يصيبه كثير الهوى شتى النوى والمسالك

أى قليل التوجع لما يحزنه ، كثير السفر والتحول من مكان الى آخر

لما هو فيه، فيقول ,, انى لا اراك قلقامثل قلق اصحابك ! ،، فيقول ,, أجل ، انى قلت بيتا فى الدار الخادعة فانا اتأدب به، وذلك قولى:

غوى فغوت ثم ارعوى (١) بعد وارعوت

وللقبر ان لم ينفع الشكو اجمل

حديثه مع تأبط شرا

واذا هو قرين مع تأبط شرا ، كما كان فى الدار الغرارة ، فيقول لتأبط شرا ,, احق ما روى عنك من نكاح الغيلان ؟ ،، فيقول ,, لقد كنا فى الجاهلية نتقول ونتخرص (٢) فما جاءك مما ينكره المعقول فانه من الاكاذيب ، والزمن كله على سجية واحدة ، فالذى شاهده مَعَدّ بن عدنان كالذى شاهده آخر ولد آدم ،، فيقول الشيخ ,, نقلت الينا ابيات تنسب اليك

انا الذي نكح الغيلان فى بلد

ما طل (٣) فيها سماكى ولا جادا ،،

فلا يجيبه تأبط شرا بطائل

---

(١) كف ورجع (٢) تفترى وتكذب (٣) لم يصبها الطل وهو الرذاذ أى المطر الضعيف

عودة الى الفردوس

حديثه مع آدم

فاذا رأي قلة الفوائد لديهم ، تركهم في الشقاء السرمد ، وعمد لمحله في الجنان ، فيلقي آدم ـ عليه السلام ـ في الطريق ، فيقول: ”يا أبانا ـ صلى الله عليك ، قدروي لنا عنك شعر ، منه قولك :

نحن بنو الارض وسكانها
منها خلقنا ، واليها نعود
والسعد لايبقي لأصحابه
والنحس تمحوه ليالى السعود

فيقول : ” ان هذا القول حق ، ومانطقه الا بعض الحكماء ، ولكني لم أسمع به حتى الساعة “ فيقول : ” فلعلك يا أبانا قلته ثم نسيت ؟ فقد علمت أن النسيان متسرع اليك ، وحسبك شهيداً على ذلك ، الآية المتلوة في قرآن محمد ـ صلى الله عليه : ” ولقد عهدنا الي آدم من قبل ، فنسي ولم نجد له عزما “ وقد زعم بعض العلماء أنك سميت انسانا لنسيانك ، واحتج (١) على ذلك بقولهم في التصغير انيسان وفى الجمع اناسيّ ، وقد روى أنّ الانسان من

(١) أتى بالحجة

النسيان عن ابن عباس، وقال الطائى :

لاتنسين تلك العهود وانما سميت إنسانا لأنت ناسى ،

فيقول آدم - صلى الله عليه وسلم " أبيتم الا عقوقا وأذية ؟ انما كنت أتكلم العربية، وأنا في الجنة، فلما هبطت الارض نقل، لسانى الى السريانية فلم أنطق بغيرها الى أن هلكت ، فلما ردنى الله - سبحانه وتعالى - الى الجنة عادت على العربيـة ، فأى حين نظمت هذا الشعر في العاجلة أم الآجلة ، والذى قال ذلك يجب أن يكون قاله وهو في الدار الماكرة ، ألا ترى قوله منهـا خلقنا واليها نعود ؟ فكيف اقول هذا المقال ولساني سرياني ، وأما الجنة قبل أن أخرج منها فلم أكن أدري بالموت فيها ، وأنه مما حكم على العباد ، وأما بعد رجوعي اليها فلا معني لقولى « واليها نعود » لانه كذب لامحالة ، ونحن معاشر اهل الجنة خالدون مخلدون ! "

فيقول ، ان بعض اهل السير يزعم ان هـذا الشعر وجده يعرب فى متقدم الصحف السريانية ، فنقله الى لسانه ، وهذا لايمتنع أن يكون، وكذلك يروون لك - صلى الله عليك - لمااقتل قابيل هابيل :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح
وأودي رُبع أهليها فبانوا وغودر فى الثرى الوجه المليح

فيقول أدم - صلى الله عليه وسلم : " أعزز على بكم معشر بنيّ !

انكم في الضلالة متهوكون (١) !، آليت (٢) مانطقت هذا النظم ولا نطق في عصرى ، وإنما نظمه بعض الفارغين ، فلاحول ولا قوة الا بالله ؟ ، كذبتم على خالقكم وربكم، ثم على آدم أبيكم ، ثم على حواء ، امكم وكذب بعضكم على بعض !،،

حديثه مع ذات الصفا

ثم يضرب سائراً فى الفردوس فاذا هو بروضة مؤنقة،واذا هو بحيات يلعبن ، فيقول ،،لا إله الاالله! وماتصنع حية في الجنة؟،، فينطقها الله ـ جلت عظمته ـ بعد ماألهمها المعرفة بها جس الخلد فتقول ،، أما سمعت في عمرك بذات الصفا، الوافية لصاحب ماوفي، كانت تنزل بواد خصيب ، وكانت تصنع اليه الجميل فى ورد الظاهرة (٣) والغب ، فلما ثمر بودها ماله،ذكرعندها ثاره ،ووقف على صخرة وهم أن ينتقم،منها وكان أخوه ممن قتلته ـ فضربها، فلما وقيت ضربة فاسه والحقد يمسك بانفاسه ، ندم على ماصنع أشد الندم، وقال للحية مخادعا ، هل لك أن نكون خليين،ودعاها بالسفه

---

(١) متهورون أو متحيرون أي أنكم واقعون فى الضلالة بغير مبالاة ولا روية أى خابطون فيها على غير هدى (٢) أقسمت
(٣) الظاهرة الابل الواردة كل يوم نصف النهار

الى حلف فقالت « لا أفعل أنى أجدك فاجرا مسحورا (١)، تأتى لى صكة (٢) فوق الرأس ، ويمنعك من أربك قبر محفور ، وقد وصف ذلك نابغة بنى ذبيان، فقال :

وانى لألقى من ذوى الضغن منهم
وما أصبحت تشكو من البث ساهرة
كما لقيت ذات الصفا من حليفها
وكانت تريه المال غبا وظاهرة
فلما رأي أن ثمر الله ماله (٣)
فأصبح مسرورا ، وسد مفاقرة (٤)
أ كب (٥) على فأس يحد غرابها (٦)
مذكرة من المعاول باترة
وقام على جحر لها فوق صخرة
ليقتلها أو تخطيء الكف بادرة
فلما وقاها الله ضربة فأسه
وللبر عين لاتغمض ناظرة

---

(١) مفسداً مخادعاً

(٢) ضربة شديدة (٣) نماه وكثره (٤) سد مفاقره أى اغتنى وسد وجوه فقره (٥) أقبل ولزمه (٦) حدها

فقال تعالى ، نجعل الله بيننا
على مالنا ، أو تنجزي لى آخره »
فقالت : « معاذ الله افعل انني
رأيتك مسحوراً ، يمينك فاجرة
أبي لى قبر لايزال مقابلى
وضربة فأس فوق رأس فاقرة [١]»

* * *

وتقول حية أخري ، انى كنت اسكن دار الحسن البصرى فيتلو القرآن ليلا فتلقيت الكتاب من أوله الى آخره

وبهكر[٢] مع الأبرار المتقين لما سمع من تلك الحية، فتقول ,, الا تقيم عندنا برهة من الدهر ! فانى اذا شئت انتفضت من إهابي[٣] فصرت مثل احسن غوانى الجنة ، لو ترشفت رضابي[٤] لعلمت أنه افضل من الدرياقة[٥] التي ذكرها ابن مقبل في قوله :

---

(١) الفاقرة الداهية التي تكسر الفقار وهو ما تنضد من عظام الصلب من لدن الكاهل الى العجز أى خرزات الظهر ، ومعناها هنا شديدة محطمة (٢) يشتد عجبه (٣) جلدي

(٤) ريقي المرشوف (٥) الدرياقة القطعة من الدرياق لغة في الترياق وهو شفاء السم

سقتني بصهباء درياقة
متى ماتلين (١) عظامى تلن (٢)

فيذعر منها ويذهب مهرولا فى الجنة، ويقول فى نفسه «كيف يركن الى حية ! » فتناديه ،، هلم ان شئت اللذة ، لو أقمت عندنا الى أن تخبر ودناوانصافنا ، اندمت إن كنت فى الدار العاجلة قتلت حية أو عثمانا (٣) ،، فيقول : ،، لقد ضيق الله على مراشف الحور الحسان ان رضيت بترشف هذه الحية ،،

عودة الى حوريته

فاذا ضرب في غيطان من الجنة لقيته الجارية التي خرجت منها تلك الثمرة، فتقول ،، اني لا نتظرك منذحين، فما الذي شجنك (٤) عن المزار ؟ ما طالت الاقامة معك ، فأمل بالمحاورة مسمعك ! ،، فيقول ،، كانت فى نفسى مآرب من مخاطبة أهل النار، فلما قضيت من ذلك وطرا عدت اليك ، فاتبعيني بين كثب العنبر وأنقاء (٥) المسك ، فيتخلل بها أهاضب الفردوس، ورياض الجنان، فيقول :

---

(١) تجعل عظامى لينة (٢) يقال لينته فلان لى
(٣) العثمان فرخ الثعبان (٤) حبسك أو منعك
(٥) جمع نقا وهى القطعة من الرمل تنقاد محدودبة

أيها العبد المرحوم أظنك تحتذى بي فعال الكندي (١) في قوله :

فقمت بها أمشي ، تجر وراءنا
على أثرينا ذيل مرط (٢) مرحّل (٣)
فلما أجزنا (٤) ساحة الحي (٥) وانتحى
بنا بطن (٦) خبت (٧) ذي حقاف (٨) عقنقل (٩)
هصرت (١٠) بفودى رأسها (١١) فمايلت
على هضيم الكشح (١٢) ريّا المخلخل (١٣)

---

(١) امرىء القيس (٢) المرط كساء من خز أو صوف ، وقد تسمى الملاءة مرطا (٣) منقش بنقوش تشبه رحال الابل ، ومعنى البيت انها حين صحبتني أخذت تجر مرطها على آثار أقدامنا لتعفيها به أثناء سيرنا

(٤) قطعنا (٥) فناء الحي أو رحبته

(٦) البطن مكان مطمئن حوله أمكن مرتفعة (٧) الخبت الأرض المطمئنة (٨) جمع حقف وهو رمل مشرف معوج (٩) العقنقل المنعقد المتلبد من الرمل ومعنى البيت : لما جاوزنا فناء الحي وصرنا الى أرض مطمئنة تحوطها مرتفعات وتلال من الرمل الخ

(١٠) جذبت (١١) جانبي رأسها (١٢) ضامر الكشح وهو منقطع الاضلاع (١٣) المخلخل موضع الخلخال من الساق ، وريا المخلخل معناها هنا كثيرة لحم الساقين ممتلئتهما ، ومعنى البيت : أنه جذب اليه ذؤابتيها فمالت اليه ، ثم أخذ في وصفها فقال ، انها ضامر الكشح ممتلئة ساقاها لحما

فيقول ,, العجب لقـدرة الله ! لقـد أصبت ماخطر في السويداء[1] فمن أين لك علم بالـكندي، وانما نشأت في ثمرة تبعدك من جن وأنيس ؟ ،، فتقول : « ان الله علي كل شيء قدير »

ويعرض له حديث امرىء القيس فى دارة جلجل[2]، فينشيء الله ـ جلت عظمته ـ حورا يتماقلن[3] فى نهر من أنهار الجنة، وفيهن من تفضلهن، كصاحبة امرىء القيس ، فيترامين بالترمد ، وانما هو كأجل طيب الجنة ـ ويعقر لهن الراحلة[4] فيأكل ويأكلن من بضيعها[5] ما ليس تقع الصفة عليه ، من متاع ولذاذة

---

(١) حبة القلب أي أصبت ما فى نفسى

(٢) يشير الى حادثته مع حبيبته وابنة عمه عنيزة والنساء، فى دارة جلجل وقد ذكر تلك القصة فى معلقته فقال

الا رب يوم لك منهن صالح ولاسيما يوم بدارة جلجل الخ

وقد امتلأت بها كتب الادب ، فلا حاجة لذكرها هنا ، وأشار ابو العلاء الي هذه الحادثة في لزومياته ، في قوله :

اين امرؤ القيس والعذارى اذ مال من تحته الغبيط ؟

(٣) يتغاططن (٤) الراحلة النجيب الصالح لان يرحل من الابل والقوى على الاسفار وهو يشير بذلك الى قول امريء القيس ,, ويوم عقرت للعذاري مطيتى ،، (٥) لحمها

حديثه مع الرجاز

ويمر بأبيات ليس لها سموق(١) ابيات الجنة فيسأل عنها فيقال ‹‹ هذه جنة الرّجز›› فيقول: ‹‹ تبارك العزيز الوهاب! لقد صدق الحديث المرويّ « ان الله يحب معالى الأمور ويكره سفاسفها » وان الرجز لمن سفساف القريض (٢) قصرتم أيها النفر فقصر بكم›› ويعرض له رؤبة فيقول: ‹‹ يا أبا الجحاف! ما كان أكلفك (٣) بقواف ليست بالمعجبة، تصنع رجزا على العين ورجزا على الطاء وعلى الظاء، وعلى غير ذلك من الحروف النافرة، ولم تكن صاحب مثل مذكور، ولا لفظ يستحسن!›› فيغضب رؤبة ويقول ‹‹ ألى تقول هذا، وعنى أخذ الخليل وكذلك ابو عمر ابن العلاء، وقد غبرت (٤) فى الدار السالفة تفتخر باللفظة تقع اليك، مما نقله اوائك عنى وعن اشباهي›› فاذا رأى ما فى رؤبة من الانتخاء (٥) قال ‹‹ لو شبك رجزك ورجز ابيك لم تخرج منه قصيدة مستحسنة، ولقد كنت تأخذ جوائز الملوك بغير

---

(١) ارتفاع أو طول (٢) ارجع الى (ص ١١٠) لتزداد اقتناعا بتحامله على الرجاز (٣) أى ما كان أشد حبك وولعك (٤) مكثت أو ظللت (٥) التكبر والتعاظم

استحقاق ، وان غيرك أولى بالأعطية والصلات ،، فيقول رؤبة ،، أليس رئيسكم كان يستشهد بقولي ويجعلني له كالامام ؟ ،،

فيقول ،، لا فخر لك أن استشهد بكلامك ، فقد وجدناهم يستشهدون بكلام امة وكعاء[1]، وكم روى النحاة عن طفل ماله في الادب ،، فيقول رؤبة ،، أجئت لخصامنا في هذا المنزل ؟ فامض لطيتك[2] فقد أخذت بكلامنا ما شاء الله ! ،، فيقول ،، أقسمت ما يصلح كلامكم للثناء ، تصكون مسامع الممتدح بالجندل ، ومتى خرجتم عن صفة جمل ترثون له من طول العمل ، الى صفة فرس أو كلب ، فانكم غير الراشدين ،، – فيقول رؤبة ،، ان الله – سبحانه وتعالى – قال ،، يتنازعون فيها كأساً لا لغو[3] فيها ولا تأثيم[4] ،، وإن كلامك لمن اللغو ،، فاذا طالت المخاطبة بينه وبين رؤبة ، سمع العجاج ، فجاء يسأل المحاجزة[5]

---

(١) حمقاء وقيل الوكعاء هي الوجعاء أي التي تسقط وجعا

(٢) أي أمض لنيتك التي انتويتها أو اذهب الى الناحية التي كنت تقصدها أو امض الى سبيلك (٣) اللغو ما لا يعتد به من الكلام ، أو القول الباطل الذي يصدر لا عن روية وفكر

(٤) فعل ما لا يحل (٥) المسالمة

نعيم الخلدْ

ويذكر الشيخ ما كان يلحق أخا الندام، من فتور فى الجسد من المدام، فيختار أن يعرض له ذلك من غير أن ينزف[١] له لب فاذا هو يخال في العظام الناعمة دبيب نمل فيترنم بقول إياس بن الأرت :

أعاذل لو شربت الخمر حتى يظل لكل أنملة دبيب
اذن لعذرتني وعلمت أني لما اتلفت من مالى مصيب

ويتكىء على مفرش من السندس ، ويأمر بالحور العين أن يحملن ذلك المفرش فيضعنه على سرير من سرر أهل الجنة ، وإنما هو زبرجد أو عسجد، فيكون البارىء فيه حلقاً من الذهب تطيف[٢] به من كل الاشراء[٣] حتى يأخذ كل واحد من الغلمان وكل واحدة من الجواري المشتبهة بالجمان[٤] واحدة من تلك الحلق ، فيحمل على تلك الحال الى محله المشيد بدار الخلود، فكلما مر بشجرة نضحته[٥] أغصانها بماء الورد قد خلط بماء الكافور والمسك ، وتناديه الثمرات من كل أوب وهو مستلق

---

(١) من غير أن يذهب له عقل (٢) تحيط به (٣) الانحاء مفردها شرى (٤) اللؤلؤ (٥) رشته

على الظهر „ هل لك يا أبا الحسن هل لك ؟ „ فاذا أراد عنقوداً من العنب أو غيره انقضب [1] له من الشجرة بمشيئة الله وحملته القدرة الى فيه ، وأهل الجنة يلقونه بأصناف التحية ،وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين „ .

تمت رواية الغفران

وانتهى الجزء الاول

(١) انقطع

رسالة الغفران

للشاعر الفيلسوف

أبي العلاء المعري

الجزء الثاني

الرد على رسالة ابن القارح

ما كان في هذه الدنيا بنو زمن
الا وعندي من أخبارهم طرف
أبو العلاء

ايجاز وشرح

كامل كيلاني

بالأوقاف

الطبعة الاولى

سنة ١٣٤٢ هـ ـ سنة ١٩٢٣

تطلب من المكتبة التجارية بأول شارع محمد على بالقاهرة

حقوق الطبع محفوظة للشارح

مطبعة المكتبة التجارية
شارع عابدين - ٣ حارة قادس

الرد على رسالة ابن القارح

***

وقد أطلت فى هذا الفصل، ونعود الآن الى الاجابة على الرسالة:

فهمت قوله : « جعلني الله فداءه ، لا يذهب به الى النفاق » وبعد ابن آدم من الوفاق ، وهذه غريزة خص بها الشيخ دون غيره، وتمايش العالم بخداع ، وأضحوا من الكذب فى ابداع (١)

لو قالت شيرين الملكة لكسرى « جعلني الله فداءك » لخالبته فى ذلك ونافقته ، وإن راقته ووافقته ، على أنه أخذها من حال دنيـة فجعلها في النعمى ، وعتبه في ذلك الأحباء وجرت لهم في ذلك قصص وأنباء ،وقيل له ـ فيما ذكر ـ «كيف تطيب نفس الملك لهذه المومس ؟ » فضرب لهم المثل بالقدح ، جعل في الاناء الشعر والدم، و قال للحاضر: « تجيب نفسك لشرب مافيه ؟ » فقال «« انها لا تطيب وهي بالانجاس»

فأراق ذلك الشيء وغسله، وجعل فيه من بعد مداما ، وعرضها على الندامى ، فكلهم بهش (٢) أن يشرب ، فقال «« هـذا مثل شيرين »» كم من شبل نافق أسـدا ، وأضمر له غلا وحسدا ، وضيغم نقم

---

(١) أي في افتنان وقد امتلأ شعر أبي العلاء ونثره بهذا المعنى وأشباهه ، ومن أدق ما قاله فى ذلك قوله في لزومياته :

مين يردد ، لم يرضوا بباطله حتى أبانوا الى تصديقه طرقا

(٢) ارتاح له وخف اليه

على فرهود، وود لو دفنه ، والفرهود ولد الأسد ، ـ وهو ـ آنس الله الاقليم بقربه ـ أجل من أن يشرح له مثل ذلك، وانما أفرق من وقوع هـذه الرسـالة فى يد غلام مترعرع (١) ، ليس الى الفهم بمتسرع ، فتستعجم عليه اللفظة ، فيظل معها فى مثل القيد

يقول القائل : "بأبى أنت"، وانمـا جامل أو سدج (٢) ولعل بعض العتارف (٣) يلفظ الى البائضه حبة البر ويأنس بها ، وفى فؤاده من الضغن أعاجيب

* * *

وكيف يقول الخليل المخلص ، أن حنينه حنين واله من النوق ، وهي الذاهلة أن حمل عليها بعض الوسوق ، وانما تسجع ثلاثا أو أربعا ، ثم يكون سلوها متبعا

فأما الحمامة الهاتفة ، فقد رزقها البارىء صيتا شائعا ، وظل وصفها بالاسف دائماً ، تنهض الى التقاط حب ، وتعود الى جوز لها (٤) ذات أب (٥) فان هى صادفته أكيل باز ، فما هي الا مثـل الحيوان ، تل

---

(١) ناش أو شاب

(٢) كذب وتقول الاباطيل (٣) جمع عتروف أو عتريف وهو الخبيث الفاجر الجرىء

(٤) الجوزل فرخ الحمام قبل أن ينبت ريشه ، قيل ، وبعد أن ينبت ريشه أيضا (٥) كرر أبو العلاء هذا المعنى بصور شتى في لزومياته فمن ذلك قوله عن الظبي :

عجبت للظبي بانت عنه صاحبة   لاقت جنود منايا لا تناخيها

حالها في أقصر أوان، وقد زعم زاعم لا يصدق، ان الحمائم في هذا العصر، يبكين مقمداً هلك في عهد نوح ، وان دوامها على ذلك لدليل الوفاء (١)

وكيف يعتب الزمن على تجافيه ، وانما حشي بشر وغدر وما أقل صدق الألاف !

وليس خليلي بالملول ولا الذي   اذا غبت عنه باعني بخليل

* * *

وأما ماذكره عن حالي ، فطال ما أعطي الوسن سعودا (٢) وأحلف كيمين امرىء القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعداً   ولوقطعوا رأسي لديك وأوصالي

اني لمكذوب عليه ، كما كذبت العرب على الغول ، وكما تقولت الامثال السائرة على الضب ، وكما تكلمت على لسان الضبع وهي خرساء

فارتاع يوما ، ويوما ، ثم ثالثه   ومال بعد الى اخرى يواخيها

ماشد صرف زمان عقدة لأذى   الا ومر لياليه يراخيها

(١) أشار أبو العلاء الى هذا المعنى فى كتابه سقط الزند في قوله :

أبنات الهديل أسعدن أوعد   ن قليل العزاء بالاسعاد

ايه لله دركن فأنتن اللوا   تي تحسن حفظ الوداد

ما نسيتن هالكا في الأوان الـ   خال أودى من قبل هلك اياد

(٢) الوثن الصنم ، ومما نختاره من لزومياته فى هذا المعنى قوله :

وبالجد زار اللات أهل ضلالة   وعظمت العزى ، وأكرم باجر

وهي أسماء أصنام ثلاثة أولها لثقيف وكان بالطائف وثانيهما لقريش وكنانة وثالثهما لقضاعة ومن والاهم

يظن أنى من أهل العلم(١) وما أنا له بالصاحب وتلك لعمري بلية ، والعلوم تفتقر الى ممارسة ، ويقال انى من أهل الدين ، ولو ظهر ما وراء السدين (٢) ، ما اقتنع لى الواصف بسب .

وكيف تدعي للملج الوحشي ، ان تغريده في السحر أشعار موزونة وهل يصور لعاقل أن الغراب الناعب صاح بتشبيب ؟ فبعد من زعم أن الحجر متكلم ، وانه عند الضرب متألم .

ولو أني لا أشعر عما يقال فى ، لأرحت ، وكنت كالوثن سواء عليه ان وقر وان أوقر ، وكالارض السبخة ما تحفل أن قيل هي مريعة ، أو قيل بئست الزريعة (٣)

---

(١) تبرأ ابو العلاء فى مواضع كثيرة من لزومياته ، من مظنة العلم ، ومن أحسن ما نختاره له فى هذا المعنى قوله :

أقررت بالجهل ، وادعى فهمي قوم ، فأمرى وأمرهم عجب
والحق ، انى وانهم هدر لست نجيباً ، ولا هم نجب

وقوله :

الله يشهد أنى جاهل ورع فليحضر الناس اقرارى واشهادى
ورع أى جبان (٢) السدين هو الستر

(٣) من أحسن ما نختاره لأبى العلاء في هذا المعنى قوله :

ما يحس التراب ثقلا اذا ديـ س ولا المـاء يتعب الجريان

وقوله :

أما الجماد فاني بت أغبطه اذ ليس يعلم اما زاد أو محقا
لا يشعر العود بالنار التى اخذت فيه ، ولا الأصهب الدارى اذا سحقا

وكيف أغتبط اذا تخرص علىّ ، وعزيت المعرفة اليّ ، ولست آمنا في العاقبة فضيحة ، ومثلي ان جذلت بذلك مثل من اتهم بمال ، فسره قول الجهلة أنه لحلف اليسار ، فطلب منه بعض السلاطين أن يحمل اليه جملة وافرة ، فصادف اكذوبة ، وضربه كي يقر ، وقتل في العقوبة ، وقد شهد الله أني اجذل بمن عابني ، لانه صدق فيما رابني ، واهتم لثناء مكذوب (١) فغفر الله لمن ظن حسناً بالمسيء ، ولولا كراهيتي حضوراً بين الناس ، وايثاري ان أموت ميتة علهب (٢) في كناس (٣) ، فاجتمع

وقوله :

عز الذي أعفي الجماد فما ترى ... حجراً يغص بمأ كل أو يشرق
متعربا في صيفه وشتائه ... ما ريع قط لملبس يتخرق
لا حس يؤلمه ، فيظهر مجزعا ... ان راح يضرب ملطس أو مطرق

الى أن يقول :

والصخر يلبث لا يفارق مرة ... ذنبا ، ولا هو من حياء مطرق

ولعل هذه الميزة التي ذكرها للجماد في هـذا البيت الأخير ، هي التي جعلته يقول :

افضل من أفضلهم صخرة ... لا تظلم الناس ولا تكذب

(١) مما نختاره لابي العلاء في هذا المعنى قوله في لزومياته :

وأزهد في مدح الفتى عند صدقه ... فكيف قبولي كاذبات المدائح

وقوله :

اذا كان التقارض من محال ... فأحسن من مدائحنا التهاجي

(٢) العلهب الظبي (٣) الكناس بيت الظبي في الشجر يستتر فيه .

معي أولئك الجائلون ، لصح انهم عن الرشد حائلون .

واما وروده : حلب – حرسها الله – فلو كانت تعقل، لفرحت به فرح الشمطاء شحط سليلها الواحد ، وقدم بعد أعوام ؛ فالحمد لله الذي أعاد البارق الى الغمام الوسمي .

* * *

واني لأعجب من تمالىء جماعة على أمر ليس بالحسن ولا الطاعة ، قد كدت الحق برهط العدم ، من غير الاسف ولا الندم، ولكنما ارهب قدومي على الجبار ، ولم أصلح نخلتي بابار، وقيل لبعض الحكماء « ان فلانا » تلطف حتى قتل نفسه، وكره ان يمارس بدائع الشرور، وأحب النقلة الى منازل السرور » فقال الحكيم قولا معناه « اخطأ ذلك

وايثار ابى العلاء العزلة معروف بل هو من الزم صفاته، وحسبك دليلا على ذلك ، ما لقب به نفسه من أن رهن المحبسين، والافاضة في الاستشهاد بما قاله في الترغيب فى العزلة ، والحث عليها ، اطالة لا فائدة فيها، فلنكتف من ذلك بقوله فى فصلها :

بعدي عن الناس خير من لقائهم   وقربهم للحجى والدين ادواء
كالبيت أفرد ؛ لا ايطاء يدخله   ولا سناد ، ولا فى اللفظ اقواء

وقوله متضجرا من التكاليف الثقيلة التي يحتمها عليه الاختلاط بالناس :

لقاء الناس الجأني برغمي   الى حسن التجمل والنفاق

ونحب ان لا يفوت القاري جمال هذا البيت الرائع وهو قوله

متى ما يأتني أجلي بأرضي   نخي على الجنازة للغريب

الشاب ، هلا صبر على صروف الزمان ، فانه لا يشعر علام يقدم .
ولولا حكمة الله ـ جلت قدرته ـ وانه حجز الرجل عن الموت بالخوف من العلز (١) والفوت (٢) لرغب كل من احتدم غضبه ، وكل عن ضريبة مقضبة ، أن تترع (٣) له من الموت كؤوس (٤)

ابو القطران الاسدي

وأما ابو القطران الاسدي ، فصاحب غزل وتبطل ، ومن أين لذلك الشخص ما وهبه الله للشيخ من وفاء ، وانما عاشر ابو القطران أعبدا في الابل وآميا ، ولعله لوصادف غانية تزيد على وحشية بشق الابلمة (٥) لسلاها ، وانما ديدن ذلك الرجل ونظرائه صفقة ناقة أو ربع ، ولو حضر أخونة حضرها الشيخ ، لعاد كما قال القائل

فلو كنت عـذرى العلاقة لم تبت
بطينا وأنساك الهوى كثرة الأكل

---

(١) الرعدة أو الاضطراب والقلق والخفة والهلع (٢) الضياع
(٣) تملأ (٤) أبدع ابو العلاء فى صوغ هذا المعنى في قوله :

لو لم تـكن طرق هذا الموت موحشة
مخشية ، لاعتراها القوم أفواجا
وكان من ألقت الدنيا اليه أذى
يؤمها تاركا للعيش أمواجا

(٥) الأبلمة بقلة وشق الابلمة أي نصفها

وهو ـ قدر الله له ما أحب ـ قد جالس ملوك مصر التي قال فيها فرعون : ,, أليس لى ملك مصر وهـذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون ؟ ،، وقد اقام بالعراق زمنا طويلا ، وبالعراق مملكة فارس ، وهم أهل الشرف والظرف ، ولا ريب أنه قد جالس بقاياهم ، واختبر فى المعاشرة سجاياهم ، وعاطوه الأكؤس ألات التصاوير ، كما قال الحكمي (١)

تدور علينا الكأس فى عسجدية
حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفى جنباتها
مهى تدريها (٢) بالقسى الفوارس (٣)

* * *

وما أشك أنه ـ امتع الله الآداب ببقائه ـ لو رزق محاورة أبى الاسود على عرجه وبخله ، لكانت مقته له ابلغ من مقة مهدى ليلاه ، ولو كان ابو عبيدة أزفر الفم ، لما أمنت مع كلفه (٤) بالاخبار أن يقبله

---

(١) هو ابو نواس وقد سبق ذكره

(٢) تختلها (٣) هذان البيتان من قصيدة ابى نواس السينية الرائعة التى أولها :

ودار ندامى عطلوها ،وأدلجوا بها أثر منهم ، جديد ودارس

ويليهما قوله :

فللخمر ما زرت عليه جيوبها وللماء ما دارت عليه القلانس

(٤) شدة حبه

شق البلسة (١) وفي الحديث عن عائشة — رحمة الله عليها — "وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقبلني شق التينة" وروى بعضهم شق التمرة وذلك أن يأخذ الشفة العليا بيده والسفلى بيده الاخرى، ويقبل ما بين الشفتين

• • •

وأما من فقده من الاصدقاء لما دخل حلب — حرسها الله — فتلك عادة الزمن ، يبدل من الابيات المسكونة قبوراً ، وان رمس الهالك لبيت الحق ، على أنه يغني الثاوي به بعد عدم ويكفيه المؤونة (٢)

---

(١) التينة .

(٢) رأي ابي العلاء فى الموت

هذه هى أكبر ميزة للموت ، عند ابي العلاء ، وهى التي حببته فيه ، وربما كان اول ما يسترعي انتباهك في شعره ، تشاؤمه ، ونظرته الى العالم بمنظار شديد السواد ، ومن ثم سخطه على الدنيا ، وتبرمه بالحياة ، التى دفعته اليها المقادير برغمه ، فلاقى فيها من صنوف الاذى والعذاب ، ما كان يكفي بعضه ، لتبغيضه فيها ، ونقمته عليها ، حتى أصبح لا يرى فيها الا سلسلة آلام طويلة متصلة الحلقات ، تبدأ ، لا بولادة الطفل ، كما زعم ابن الرومي في قوله :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها   يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه منها ، وانها   لأوسع مما كان فيه وأرغد

بل منذ كان جنينا فى بطن امه

وما روح لانسان فى البؤس مذجرت   به الروح، لا مذ زال عن رأسه النرس

قال الضبي :

ثم لا تنتهي تلك الآلام الا بموته — وفي هذه الخاتمة شك كبير عند ابي العلاء ، كما سنبينه ، فلا غرو اذا خص الدنيا ، بأوفر قسط من الذم ، وافتن في تقبيحها حتى لقبها بأم دفر — أي ام نتن — في اكثر مخاطباته اياها — وقد جعله مزاجه السوداوي يرى الحياة مأساة مفجعة فيها كل موضع صالح للحسرة والبكاء ، وليس فيها موضع واحد ، يصلح للسرور ، وفي ذلك يقول أشعاراً كثيرة ، نجتزيء منها بقوله

أعن باكيا لج في حزنه وسل ضاحك القوم مم ابتهج

وقوله

يسمى سرورا جاهل متخرص بغية البرى — هل في الزمان سرور

* * *

وقد أكثر ابو العلاء من التفكير في مسألة الموت ، فلا تكاد تخلو من ذكره صفحة من لزومياته ، حتى لأصبح من أوليات المسائل التي يدور عليها محور فلسفته ، ولا نعرف له شبيها في هذه الحالة ، سوى أبي العتاهية الذي نعده مقصراً — رغم اكثاره — عن شأو أبي العلاء تقصيرا بينا ، والفرق بين الرجلين في نظرنا هو فرق ما بين الفيلسوف الصادق الزهد ، والواعظ الذي تخذ الوعظ ديدناله .

* * *

ويمكن الالمام بآراء أبي العلاء في الموت، رغم تناقضها مع الاشارة الى سبب ذلك فيما يلي :

(١) فتارة كان يصل جزعه من الموت الى أقصاه ، ويرتاع منه، فتنبعث

ولقد علمت بأن قبري حفرة ما بعدها خوف علي ولا ندم

من نفسه صيحة مفزعة يكاد ينخلع لها قلبه فيقول

يهال التراب على من ثوى فآه من النبأ الهائل

ثم يصرخ من أعماق نفسه ، وقد تولاه الذهول :

انبأنا اللب بلقيا الردى فالغوث من صحة ذاك النبأ

او يقول : فويهاوواهاالسيل المنون كم جر عيرا بأحمالها

أو تنبه فكرة طارئة ، تنتابه فجأة ، فيهب مذعوراً خائفاً فيقول :

يكر الحول بعد الحول عني وتلك مصارع الاقوام حولي

كأني بالألى حفروا لحاري وقدأخذوا المعاول وانتحوا لي

وفي البيت الثاني صورة مفزعة تمثل ما ألم به من الهلع والرعب !

(٣) وحينا يذكر الموت فيتمناه ولكنه يخشى الا تكون فيه الراحة والطمأنينة اللتين اخطأهما في الحياة فيتردد في تمنيه ويقول :

ان كان نقلي عن الدنيا يكون الى خير ، وأرحب ، فانقلني على عجل

وان علمت مآلي عند آخرتي شرا وأضيق،فانسأ رب في الاجل

وتزداد به الحيرة والارتباك فيقول

فان خرجت الى بؤس فواحربي وان نقلت الى نعمى فطوبى لي

وربما خشي ان يسلبه حسه الذي يمتز به ، ويتضاءل بالقياس اليه كل اعتبار آخر ، حتى انه حرم على نفسه الخمر ضنا ان تذهب بسورتها كما سنبينه في حينه — فيقول :

ولو كان يبقى الحس في فم ميت لآليت أن الموت في الفم أعذب

وفي هذه الحالة ترى حنينه الى الموت مقرونا بشيء من الجزع والرهبة منه ،على انها نوبات فجائية ، تعرض له ، فتنطقه بما استشهدنا

فأزور بيت الحق زورة ماكث   فعلام احفل ما تقوض وانهدم

به من كلامه

(٣) فأما يقينه الذى لا يفتأ يردده ، ويتغنى به فى اكثر أحايينه ، فهو النزوع الى تفضيل الموت ، لأنه يرى فيه المنقذ الوحيد من آلام الحياة وأوصابها ، واليك نخبة مختارة من كلامه تزيدك اقتناعا بإيمانه الثابت ، بما ذكره فى رسالته هنا عن الرمس ، من أنه يغنى الثاوى به بعد عدم ويكفيه المؤونة » :

ما أعدل الموت من آت وأستره   فهيجيني ، فاني غير مهتاج
العيش أفقر منا ، كل ذات غنى   والموت أغني بحق كل محتاج
اذا حياة علينا للاذى فتحت   بابا من الشر ، لاقاه بارتاج

يغني الفتى بالمنايا عن مآربه   وتنفخ الروح فى طفل فيفتقر

كأس المنية أولى بى ، وأروح لى   من أن أكابد اثراء واحواجا

لكون خلك في رمس أعز له   من أن يكون مليكا عاقد التاج
الملك يحتاج ألافا تناصره   والميت ليس الى حاق بمحتاج

أصبح فى لحدي على وحدتى   لست الى الدنيا بمحتاج
كشفى رأسي وافتقارى بها   —ير من التمليك والتاج

ان يرحل الناس ولم أرتحل   فمن قضاء لم يفوض الى

متي ألق من بعد المنية اسرتى   اخبرهم انى خلصت من الاسر

ومن اليمن للفتى أن يجيء الـ   ـموت يسعى اليه سعيا مريحا
لم يمارس من السقام طويلا   ومضي لم يكابد التبريحا

وما زالت العرب تسمي القبر بيتاً ، وان كان المنتقل اليه ميتاً ،

رقدة الموت ضجعة يستريح الجـ   سم فيها والعيش مثل السهاد
تعب كلها الحياة فما أعجـ   ب الا من راغب في ازدياد

تدعو بطول العمر أفواهنا   لمن تناهى القلب في وده
يسر ان مد بقاء له   وكل ما يكره في مده

دعالي بالحياة ، اخو وداد   رويدك انما تدعو عليا
وما كان البقاء لي اختيارا   لو ان الامر مردود اليا

آليت لا ينفك جسمي في أذى   حتى يعود الى قديم العنصر

عل البلى سيفيد المرء فائدة   فالمسك يزداد من طيب اذا سحقا

طال وقوفي وراء جسر   وانما ينتظر العبور

عشنا وجسر الموت قدامنا   فشمر الآن لكي نعبره

أقمت برغمي وما طائري   براض اذا ألفته الوكون

لعل الموت خير للبرايا   وان خافوا الردى وتهيبوه

تعود الى الأرض أجسامنا   وتلحق بالعنصر الطاهر
ويقضي بنا فرضه ناسك   يمر اليدين على الظاهر

لعل موتا يريح الجسم من نصب   ان العناء بهذا العيش مقترن
متى غدوت ببطن الارض مضطجعا   فثم افقد اوصابي وامراضي

فمالي أخاف طريق الردي   وذلك خير طريق سلك
يريحك من عيشة مرة   ومال أضيع ، ومال ملك

قال الراجز

اليوم يبنى لدويد بيتـه ... يا رب بيت حسب بنيته
ومعصم ذي برة(١) لويته ... لو كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرني واحداً كفيته

وأما الفصل الذي ذكر فيه الخليل ، فقد سقط منه اسم الذي غلا في(٢) ، ومن كان فغفر الله جرائمه ، فقد اخطأ على نفسه فيما زعم وعلى ،

هنيئاً لطفل أزمع السير عنهم ... فودع من قبل التعارف ظاعنا
ومسكن الروح في الجثمان أسقمه ... وبينها عنـه من سقم يعافيـه
وما يحس اذا ما عاد متصلا ... بالترب تسفيه في الهابي سوافيه
وحبذا الارض قفراً لا يحل بهـا ... ضد تعاديه ، أو خلم تصافيـه

الهابي تراب القبر

روح اذا اتصلت بجسم لم يزل ... هو وحي في مرض العناء المكمد
ان كنت من ريح فيا ريح اسكني ... او كنت من نار، فيا نار اخمدي
بطن البسيطة أعفي من ظواهرها ... فوسعا لي ، اهرب من سعاليها
أعفى المنازل قبر يستراح به ... وأفضل اللبس فيما أعلم الكفن

ونختم هـذا المختار بتلك المشاجرة الجميلة التي حدثت بينه وبين الدنيا،وأحسن تمثيلها في البيتين التاليين:

أف لدنياى فاني بهـا ... لم اخل من اثم ومن حوب
قلت لها امضي غير مصحوبة ... فقالت اذهب غـير مصحوب

(١) البرة الخلخال (٢) اى الذي غلا في مدحي

واني لأكره بشهادة الله تلك الدعوى المبطلة كراهة المسيح من جمله رب العزة ، بدليل قوله تعالى ›› واذ قال الله : «يا عيسى بن مريم ! أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ؟ » قال ›› سبحانك ! ما يكون لي أن اقول ما ليس لي بحق ، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ، ولا أعلم ما في نفسك . انك أنت علام الغيوب (١) ››

امثال العرب

وأما حلب — حماها الله — فانها الأم البرة ، وما احسبها — ان شاء الله — تظاهر بذميم العقوق ، ولا تغفل المفترض من الحقوق ، ووحشية يحتمل أن يكون الشيخ جعلها نائبة عمن فقده من الاخوان الذين عدم نظيرهم ؛ وكذلك تجري امثال العرب ، يكنون فيها بالاسم عن جميع الاسماء ، مثال ذلك ان يقول القائل :

---

(١) أشار ابو العلاء الى ذلك في موضعين من لزومياته أولهما قوله

وقد شهد النصارى أن عيسى توخته اليهود ليصلبوه
وما أبهوا وقد جعلوه ربا لئلا ينقصوه ويجدبوه

والثاني قوله:

عجباً للمسيح بين أناس والى الله والد نسبوه
أسلمته الى اليهود النصارى وأقروا بأنهم صلبوه
يشفق الحازم اللبيب على الطفل اذا ما لداته ضربوه
واذا كان ما يقولون في عيسى صحيحاً فاين كان ابوه ؟
كيف خلى وليده للاعادي ؟ أم يظنون أنهم غلبوه ؟

فلا تشلل يد فتكت بعمرو   فانك لن تذل ولن تضاما

يجوز ان يرى الرجل رجلا قد فتك بمن اسمه حسان أو غير ذلك فيتمثل بهذا البيت ، فيكون عمرو فيه واقعا على جميع من يتمثل له به وكذلك قول الراجز : أوردها سعد وسعد مشتمل (١)

صار ذلك مثلا لكل من عمل عملا لم يحكمه ، فيجوز ان يقال لمن اسمه خالد او بكر او ما شاء الله من الاسماء ، ويضعون في هذا الباب المؤنث موضع المذكر ، والمذكر موضع المؤنث ، فيقولون للرجل . « الصيف ضيعت اللبن » واذا ارادوا ان يخبروا بأن المرأة كانت تفعل الخير ثم هلكت فانقطع ما كانت تفعله ، جاز ان يقولوا : « ذهب الخير مع عمرو بن حممة » وهذا كثير .

شكاة الادباء

واما شكواه الى فاني واياه لكما قيل في المثل «الثكلى تعين الثكلى» وعلى ذلك حمل الاصمعي قول أبي دؤاد.

ويصيخ أحيانا كما استمع المضل دعاء ناشد(٢)

كلانا بحمد الله مضل فعلى من   نحمل ؟ وعلى من ندل ؟

أما المطية فآلية وأما المزادة فخالية

يشكو الى جملي طول السرى   صبر جميل فكلانا مبتلى

ولا ارتاب في أنه يحفظ قول الفزاري ، منذ خمسين حجة أو اكثر

( ) عجز البيت هو «ما هكذا تورد يا سعد الابل»

(٢) الناشد الطالب وهو هنا الضال الذي ينشد السبيل

أعيين هلا اذ بليت بها كنت استعنت بفارغ العقل
أقبلت تبغي الغوث من رجل والمستغاث اليه في شغل

ولم يزل أهل الادب يشكون الغبن في كل جيل ، وهو يعرف الحكاية أن مسلمة بن عبد الملك أوصي لاهل الادب بجزء من ماله ، وقال « انهم أهل صناعة مجفوة » واحسب أنهم والحرفة خلقا توأمين واعا ينجح بعضهم ، ثم لا يلبث أن تزل قدمه ، واذا كان الادب على عهد بني أمية يقصد أهله بالجفوة ، فكيف يسلمون من باس عند مملكة بنى العباس ؟ واذا اصابتهم المحن في ايام الرشيد، فكيف يطمع لهم بالحظ ؟ ومن بغى التكسب بهذا الفن فقد أودع شرابه في شن(١) غير ثقة على الوديعة

* * *

وأما الذين ذكرهم من المصحفين ، فغير البررة ولا المنصفين ، وما زال التتفل (٢) يعرض لاذاة الاسد ، وما أحسبه يشعر بمكان الحسد .

ما يضر البحر أمسى زاخرا ان رمي فيه غلام بحجر

* * *

أو كلما طن الذباب أروعه ان الذباب اذن على كريم

وان حساد البارع لكما قال الفرزدق :

فان تهج آل الزبرقان فانما هجوت الطوال الشم من آل يذبل
وقد نبح الكلب النجوم ودونها فراسخ تقصي ناظر المتأمل

«١» الشن القربة الخلق الصغيرة «٢» الثعلب

ابو الطيب المتنبي

فأما من ذكره من قول أبي الطيب „ أذم الى هذا الزمان أهيله “ فقد كان الرجل مولعاً بالتصغير ، لا يقنع منه بخلسة المغير ، كقوله :

من لى بفهم أهيل عصر يدعى   أن يحسب الهندى فيهم باقل

وقوله „ مقالى للاحيمق يا حليم “

وقوله . „ ونام الخويدم عن ليلنا “

وقوله : „ أفي كل يوم تحت ضبنى شويعر “

وغير ذلك مما هو موجود فى ديوانه ؛ ولا ملامة عليه ؛ انما هي عادة صارت كالطبع ؛ تغتفر مع المحاسن ؛ وهذا البيت الذي أوله . „ أذم الى هذا الزمان أهيله “ انما قاله في على بن محمد بن سيار بأنطاكية قبل أن يمدح سيف الدولة ، والشعراء مطلق لهم ذلك ، لان الآية شهدت عليهم بالتخرص وقول الاباطيل « ألم تر أنهم فى كل واديهيمون ؟ وانهم يقولون ما لا يفعلون ؟ »

واما ما ذكره من حكاية القطربلى وابن ابى الازهر ، فقد يجوز مثله ، وما وضح ان ذلك الرجل حبس بالعراق ، فأما بالشام ، فحبسه مشهور ، وحدثت انه كان اذا سئل عن حقيقة هذا اللقب قال „ هو من النبوة “ ، أي المرتفع من الارض ؛ وكان قد طمع فى شيء قد طمع فيه من هو دونه ، وانما هي مقادير ، يظفر بها من وفق ، ولا يراع بالمجتهد أن يخفق ، وقد دلت اشياء فى ديوانه أنه كان متألها (١) فن

«١» متعبداً أو متنسكا أو مؤمنا بالله

ذلك قوله

„ ولا قابلا الا لخالقه حكما ،، وقوله

ما أقدر الله أن يخزى بريته ولا يصدق قوماً في الذي زعموا

* * *

واذا رجع الى الحقائق ، فمنطق اللسان لاينبيء عن اعتقاد الانسان لأن العالم مجبول على الكذب، والنفاق (١) ، ويحتمل أن يظهر الرجل بالقول تدينا ، وانما يريد أن يصل به الى ثناء او غرض (٢) ، ولعله قد ذهب جماعة هم فى الظاهر متعبدون ، وفيما بطن ملحدون

---

(١) أمسى النفاق دروعا يستجن بها من الاذى؛ ويقوى سردها الحلف

(٢) شنع أبو العلاء في كثير من أبيات لزومياته على هـذه الفئة التى تتخذ الدين داعيـاً وسيلة لنيل أعراض الدنيا ونجتزىء من ذلك بقوله :

اذا كشفت عن الرهبان حالهم فكلهم يتوخى التبر والورقا

مذاهب جعلوها من معائشهم من يعمل الفكر فيها تعطه الأرقا

وقوله :

وانمـا حمل التوراة قارئهـا كسب الفوائد لاحب التلاوات

وقوله :

كذب لا يزال يطعم خبزا نص عن آدم وعن قابيل

يعتريه جذلان مهتبل الغ رة يبـدى حزنا على هابيل

دعبل ابن على

وما يلحقني الشك فى أن دعبل بن علي لم يكن له دين، وكان يتظاهر بالتشيع، وانما غرضه التكسب ، ولا أرتاب فى أن دعبلا كان على رأى الحكمي وطبقته ، والزندقة فيهم فاشية ومن ديارهم ناشية

أبو نواس

وقد اختلف في أبي نواس، ادعي له التأله ، وانه كان يقضي صلوات نهاره في ليله ، والصحيح أنه كان على مذهب غيره من أهل زمانه .

سذاجة العرب

وذلك أن العرب جاءها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهي ترغب الى القصيد ، وتقصر هممها عن القصيد ، فاتبعه منهـا متبعون ، والله أعلم بما يوعون، فلما ضرب الاسلام بجرانه واتسق ملكه، مازج العرب غيرهم من الطوائف ، وسمعوا كلام الاطباء وأصحاب الهيئة وأهـل المنطق ، فمالت منهم طائفة كثيرة .

رسالة آدم

ولم يزل الالحاد في بنى آدم على ممر الدهور، حتى أن أصحاب السير يزعمون أن آدم ـ صلى الله عليه وسـلم ـ بعث الى أولاده ، فأنذرهم بالآخرة ، وخوفهم من العذاب ؛ فكذبوه وردوا عليه قوله ، ثم على ذلك المنهاج الي اليوم .

زندقة قريش

وبعض العلماء يقول « ان سادات قريش كانوا زنادقه وما أجدرهم بذلك ـ وقال شاعرهم يرثى قتلى بدر ، وتروي لشداد بن الاسود الليثى :

المت بالتحية أم بكر   فحيوا أم بكر بالسلام
وكائن بالطوى طوى بدر   من الاحساب والقوم الكرام
الا يا أم بكر لا تكرى   على الكأس بعد أخي هشام
وبعد أخي أبيه وكان قرما(١)   من الاقرام شراب المدام
الا من بلغ الرحمن عنى   بأنى تارك شهر الصيام
اذا ما الرأس زايل منكبيه   فقد شبع الانيس من الطعام
أيوعدنا ابن كبشة(٢) ان سنحيا   وكيف حياة أصداء(٣) وهام
أتترك أن ترد الموت عنى   وتحييني اذا بليت عظامي

ولا يدعى مثل هـذه الدعاوي ألا من يستبسل وراءها للحمام ، ولا يأسف له عند الملام .

عودة الى أبى الطيب المتنبي

وحدثت ان أبا الطيب ، لما حصل فى بنى عدى وحاول أن يخرج فيهم ، قالوا له ، وقد تبينوا دعواه : ها هنا ناقة صعبة ، فان قدرت على ركوبها أقررنا أنك مرسل ، وانه مضي الي تلك الناقة وهي رائحة

---

(١) سيدا عظيما (٢) يعنى به النبي (ص .)
(٣) موتى أو أجساد ميتة

في الابل، فتحيل حتى وثب على ظهرها ، فنفرت ساعة، وتنكرت برهة ثم سكن نفارها، ومشت مشي المسمحة(١) وأنه ورد بها الحلة وهو راكب عليها ، فعجبوا له كل العجب ، وصار ذلك من دلائله عندهم

وحدثت أيضا أنه كان في ديوان اللاذقية ، وان بعض الكتاب انقلبت على يده سكين الاقلام، فجرحته جرحاً مفرطا ، وان أبا الطيب تفل عليها من ريقه ، وشد عليها غير منتظر لوقته، وقال للمجروح : ,, لا تحلها في يومك ،، وعد له أياماً وليالي ، وان ذلك الكاتب قبل منه ، فبرىء الجرح ، فصاروا يعتقدون في أبي الطيب أعظم اعتقاد ، ويقولون هو كمحيي الأموات ،، .

وحدث رجل كان أبو الطيب قد استخفى عنده في اللاذقية أو في غيرها من السواحل ، انه أراد الانتقال من موضع الى موضع، فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل ، ولقيهما كلب ألح عليهما في النباح، ثم انصرف فقال أبو الطيب لذلك الرجل وهو عائد ، انك ستجد ذلك الكلب قد مات ، فلما عاد الرجل ألفى الامر على ما ذكر .

ولا يمتنع أن يكون أعد له شيئا من المطاعم مسموماً ، وألقاه له وهو يخفي عن صاحبه ما فعل .

والذين رووا ديوان أبي الطيب ، يحكون أنه ولد سنة ثلاثمائة وثلاث ، وكان طلوعه الى الشام سنة احدي وعشرين ، فأقام فيه برهة ثم عاد الى العراق ، ولم تطل مدته هناك ، والدليل على صحة هذا الخبر أن مدائحه في صباه انما هي في أهل الشام، الا قوله :

كفي ، أراني ـ ويك ـ لومك الوما

---

١ التي تلين بعد استصعاب

الدهر (١)

وأما شكيته أهل الزمان اليه ، فانه سلك فى ذلك منهاج المتقدمين وقد كثر المقال فى ذم الدهر حتى جاء الحديث: " لا تسبوا الدهر ، فان الله هو الدهر " وقد عرف معنى هذا الكلام ، وان باطنه ليس كظاهره اذ كان الانبياء — عليهم الصلاة والسلام — لم يذهب احد منهم الى أن الدهر هو الخالق ولا المعبود ، وقد جاء فى الكتاب الكريم . " وما يهلكنا الا الدهر "

---

(١) الدهر

أشعار أبي العلاء في الدهر كثيرة تملأ عدة صفحات من لزومياته ، فلنجتزىء بالقليل منها عن الكثير ، لاظهار مناحي رأيه المتعددة فى الدهر ، وانما نسردها بلا تعليق رغبة في الايجاز وهي قوله :

ان رابنا الدهر بأفعاله   فكلنا بالدهر مرتاب

وقوله :

اذا قيل غال الدهر شيئا فانما   يراد اله الدهر والدهر خادم

وقوله :

ولا عقل للدهر فيما اري   فكيف يعاتب ان اذنبا

وقوله :

فلو تكلم دهر كان شاكيهم   كما ترامى على الاحسان يشكونه

وقوله :

صحبنا دهرنا دهراً ، وقدما   رأى الفضلاء ألا يصحبوه

وغيظ بنوه منه ، وغيظ منهم   فعذب ساكنيه وعذبوه

وقول بعض الناس «الزمان حركة الفلك» لفظ لا حقيقة له؛ وفي كتاب سيبويه ما يدل على ان الزمان عنده مضى الليل والنهار؛ وقد حددته حداً ما اجدره أن يكون قد سبق اليه الا اني لم اسمعه؛ وهو ان يقال «الزمان شيء اقل جزء منه يشتمل على جميع المدركات وهو في ذلك ضد المكان، لان اقل جزء منه لا يمكن أن يشتمل على شيء كما تشتمل عليه الظروف؛ فاما الكون فلا بد من تشبثه بما قل وكثر [1]»

ومن عاداته في كل جيل غذاه ان يقل مهذبوه

أساء بجهله أدبا عليهم فهل من حيلة فيؤدبوه

وما يخشى الوعيد فيوعدوه ولا يرعى العتاب فيعتبوه

وقوله:

ان خرف الدهر فهو شيخ يحق بالهتر والزمانة

اضحى سليما بغير داء، لم تبد في شخصه ضمانه

أعجم قد بين الرزايا أو جعل الشر ترجمانه

وقوله

ويا دهر لحاك الله ما هنأت فرحاتك

(١) الزمان

هذا التعريف — هو في اعتقادنا ادق تعريف فلسفي صحيح عرفناه للزمن، وقد ذكره ابو العلاء في لزومياته فقال:

وأيسر كون تحته كل عالم

واسترسل في فكرته في الشطر الثاني من هذا البيت فبين سرعة الزمان، فقال «ولا تدرك الاكوان جرد صلادم» ثم قسم الازمان في البيتين التاليين من هذه القصيدة الى ماض اندثر فاستحالت عودته

الدهر لاءم بين ألفتنا وكذاك فرق بيننا الدهر

وقول أبي صخر :

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

ومستقبل آت سيندثر بعد حين ، فقال :

اذا هي مرت لم تعد ، ووراءها نظائر ، والاوقات ماض وقادم

فما آب منها ، بعد ما غاب ، غائب ولا يعدم الحين المجدد عادم

وقد ذكر شطر هذا الرأى في سقط الزند فقال :

أمس الذي مر ، على قربه يعجز أهل الارض عن رده

وذكر الشطر الثانى منه في بيته الآخر وهو قوله :

أرى الوقت يفنى أنفسا بفنائه ويمحو ، فما يبقى الحديث ولا الرسم

وهذا الرأى ، لا يناقض قوله فى التدليل على قدم الزمن :

أرى زمنا تقادم غير فان فسبحان المهيمن ذي الكمال

* * *

وبين أن القادم من الزمان ,, المستقبل ،، مجهول لا يعرف الا بعد مرور الزمن الذى يكشف الغطاء عن امراه فقال :

الساع آنية الحوادث ، ماحوت لم يبد الا بعد كشف غطائها

وقد ذكر هذا المعنى بوب الشاعر الانجليزى ، بصيغة اخرى ، وترجمه الاستاذ العقاد ، وهو :

انما الغيب كتاب صانه عن عيون الخلق رب العالمين

ليس يبدو منه للناس سوى صفحة الحاضر حينا بعد حين

* * *

وكثيرا ما شبه ابو العلاء الزمان بالطائر فمن ذلك قوله :

لم يدع ان أحدا منهم كان يقرب للافلاك القرابين ، ولا يزعم أنها تعقل ، وانما ذلك شيء يتوارثه الأمم في زمان بعد زمان

وكان في عبد القيس شاعر يقال له شاتم الدهر ، وهو القائل :

ولما رأيت الدهر وعراً سبيله وأبدى لنا وجها أزب مجدعا
وجبهة قرد كالشراك ضئيلة وأنفا ولوى بالمثانين أخدعا
ذكرت الكرام الذاهبين أولي الندى وقلت لعمرو والحسام الادعا

الزندقة والزنادقة

وأما غيظه على الزنادقة والملحدين ، فأجره الله عليه ، كما أجره على الظمأ في طريق مكة ، واصطلاء الشمس بعرفة ، ومبيته بالمزدلفة ، ولاريب أنه ابتهل الى الله سبحانه في الايام المعدودات ، ان يثبت هضاب الاسلام .

ولكن الزندقة داء قديم ، وقد رأي بعض الفقهاء ان الرجل اذا ظهرت زندقته ، ثم تاب فزعا من القتل ، لم تقبل توبته ، وليس كذلك غيرهم من الكفار ، لان المرتد اذا رجع ، قبل منه الرجوع ، ولا ملة

وما الوقت الا طائراً يقطع المدى فبادره اذ كل النهي في بداره
وقوله :
يبغي التشبث بالاوقات جائزها هيهات ما الوقت الا طائر طارا

الا ولها قوم ملحدون ،

وقد كانت ملوك الفرس تقتل على الزندقة ، والزنادقة هم الذين يسمون الدهرية ، ولا يقولون بنبوة ولا كتاب ،

بشار بن برد

وبشار انما أخذ ذلك عن غيره ، وقد روى أنه وجد فى كتبه رقعة مكتوب فيها : ،، انى أردت ان أهجو فلان بن فلان الهاشمي ، فصفحت عنه لقرابته من رسول الله ــ صلي الله عليه وسلم . ،،

وزعموا أنه كان يشار سيبويه ، وأنه حضر يوما حلقة يونس بن حبيب ، فقال ،، هل هنا من يرفع خبراً ،، فقالوا . « لا » فأنشدهم

بنى أمية هبوا من رقادكم   ان الخليفة يعقوب بن داود
ليس الخليفة بالموجود فالتمسوا   خليفة الله بين الناى والعود

وكان فى الحلقة سيبويه ، فيدعى بعض الناس أنه وشي به ، وسيبويه فيما أحسب ــ كان أجل موضعا من ان يدخل في هذه الدنيات

وذكر من نقل أخبار بشار ، أنه توعد سيبويه بالهجاء ، وأنه تلافاه واستشهد بشعره ، ويجوز ان يكون استشهاده به ، على نحو ما يذكره المتذاكرون في المجالس ومجامع القوم

وأصحاب بشار يروون له هذا البيت :

وما كل ذي لب بمؤتيك نصحه   وما كل مؤت نصحه بلبيب

وفي كتاب سيبويه نصف هذا البيت الآخر ، وهو فى باب الادغام لم يسم قائله ، وزعم غيره أنه لأبى الاسود الدؤلى

ويقال ان يعقوب بن داود وزير المهدي ، تحامل على بشار حتى قتل ، واختلف في سنه ، فقيل كان يومئذ ابن ثمانين سنة وقيل اكثر والله العالم بحقيقة الامر .

ولا أحكم عليه بأنه من أهل النار ، وانما ذكرت ما ذكرت فيما تقدم (١) ، لأني عقدته بمشيئة الله ، وان الله لحليم وهاب .

* * *

وذكر صاحب كتاب الورقة ، جماعة من الشعراء في طبقة أبي نواس ومن قبله ، ووصفهم بالزندقة ، وسرائر الناس مغيبة ، وانما يعلم بها علام الغيوب ، وكانت تلك الحال تكتم في ذلك الزمان خوفا من السيف ، فالآن ظهر نجيث (٢) القوم وانقاضت التريكة (٣) عن أخبث رأل (٤)

عودة الى ابي نواس

أما قول الحكمي « تيه مغن وظرف زنديق » فقد عيب عليه هذا المعنى ، وقيل أنه اراد رجلا من بني الحارث كان معروفا بالزندقة والظرف ، وكان له موضع من السلطان

صالح بن عبد القدوس

وأما صالح بن عبد القدوس ، فقد شهر بالزندقة ، ولم يقتل حتى ظهرت عنه مقالات توجب ذلك ، ويروي لابيه عبد القدوس

كم اهلكت مكة من زائر   خربها   الله   وابياتها

(١) ارجع الى ص ١٠٧ جزء «١»   (٢) اي بدا ملزهم الذي كانوا يخفونه   (٣) بيضة النعام خرج منها الفرخ   (٤) ولد النعام

لارزق الرحمن احياءها واشوت الرحمة أمواتها

ولقد كان لصالح ابن ، حبس على الزندقة حبساً طويلا ، وهو الذي يروى له :

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها فما نحن بالاموات فيها ولا الأحيا
اذا ما اتانا زائر متفقد فرحنا وقلنا. جاء هذا من الدنيا

واما رجوعه عن الزندقة لما احس بالقتل ، فانما ذلك على سبيل الختل ، فصلى الله على سيدنا محمد ، فقد روي عنه أنه قال : « بعثت بالسيف ، والخير مع السيف ، والخير في السيف ، والخير بالسيف » وفي حديث آخر ,, لا تزال امتي بخير ما حملت السيف ،، — والسيف حمل صالحا (١) على التصديق ، ورده عن رأي الزنديق (٢)

---

(١) هو صالح بن عبدالقدوس الذى مر ذكره

(٢) كرر ابو العلاء هذا المعنى في لزومياته بطرق شتى فمن ذلك قوله

اذا ما ألحدت أمم بجهل فقابلها بتوحيد السيوف

وقوله :

تمادوا في الضلال ولم يتوبوا ولو جمعوا صليل السيف تابوا

وقوله :

أبدى العتاهى نسكا وتاب من ذكر عتبه
والخوف ألزم سفيا ن أن يفرق كتبه

وأمعن فى التهكم والسخرية في قوله :

تلوا باطلا ، وجلوا صارما وقالوا ,,صدقنا؟ ،،فقلنا ,,نعم! ،،

الصناديقى

وأما المنسوب الى الصناديق ، فانما يحسب من الزناديق ، وأحسبه الذي كان يعرف بالمنصور ،ظهر سنة سبعين ومائتين ، وأقام برهة باليمن، وفى زمانه كانت القيان تلعب بالدف وتقول :

خذي الدف يا هذه والعبي   وبثي فضائل هذا النبي
تولى نبي بنى هاشم   وقام نبي بنى يعرب
فما تبتغى السعي عند الصفا   ولا زورة القبر فى يثرب
اذا القوم صلوا ، فلا تنهضى   وان صوموا ، فكلي واشربي

• • •

ولا تحرمى نفسك المؤمنين   من أقربين ومن أجنبي (١)

---

(١) المزدكية

هذا الرأي هو رأي جماعة المزدكيـة وهم اتباع المذهب المزدكي المنسوب الى مزدك ، وهو رجل ادعي النبوة على عهد خسرو قباذ ، والد انو شروان ؛ وزعم أن الله بعثه ليأمر بشيوع النساء والاموال بين الناس كافة ؛ كاشترا كهم في الماء والنار والكلأ ؛ لأنهم كلهم اخوة اولاد أب واحد ؛ وكان يتوهم أن ذلك يحسم أسباب المنازعات من بينهم ؛ لانها انما تحدث بسبب النساء والمال ، فانقاد قباذ الى مذهبه وأباح له أن يخلو بالملكة زوجه ؛ فترامى ابنه انوشروان على قدمي قباذ ؛ باكيا متوسلا اليه ، ليعدل عن ذلك وما زال به حتى رجع عن فكرته ، فلما ولى الملك بدأ بقتله ؛ انتقاما منـه على ما هم به ؛ ولم

فكيف حلت لذاك الغريب وصرت محرمة للأب
أليس الغراس لمن ربه ورواه في عامة الجدب
وما الخمر الا كماء السحاب طلق،فقدست من مذهب

فعلى معتقد هذه المقالة بهلة المبتهلين

وهذه الطبقة — لعنها الله — تستعبد الطغام باصناف مختلفة ؛

***

وقد كان باليمن رجل يحتجب في حصن له ؛ ويكون الواسطة بينه وبين الناس خادما له اسود ؛ قد أسماه جبريل ؛ فقتله الخادم في بعض الايام وانصرف ، فقال بعض المجان

تبارك الله في علاه فر من الفسق جبرئيل
وضل من تزعمون ربا وهو على عرشه قتيل

ويقال أنه حمله على ذلك ما كان يكلفه من الفسق ، واذا طمع بعض هؤلاء ، فانه لا يقنع بالامامة ، ولا النبوة ، ولكنه يرتفع صعداً في الكذب

يقبل توسلاته اليه ، وقال له « لن أنسي نتن قدميك حين قبلتها » ثم استأصل اصحابه وشيعته

وفي كتاب الملل والنحل للشهرستاني نبذة مفيدة في بيان هذا المذهب فليرجع اليها من شاء

والمنصور الصناديقي هذا هو احد من اعتنقوا ذلك المذهب ودعا اليه وسيمر ذكره في رسالة ابن القارح ؛ وترى كيف كان يجمع الى دار خاصة ، نساء البلد ورجالها ليلا ، ويأمرهم بالاختلاط حتى لايتميز مال من مال ولا ولد من ولد

ولم تكن العرب فى الجاهلية تقدم على هذه الامور العظائم ؛ بل كانت عقولهم تجنح الى رأي الحكماء ، وما سلف من كتب القدماء اذ كان اكثر الفلاسفة لا يقولون بنبى ، وينظرون الي ذلك بعين الغي

ربيعة بن أمية بن خلف الجحمى

وكان ربيعة بن امية بن خلف الجحمي جرى له مع ابى بكر الصديق رحمه الله — خطب ، فلحق بالروم ، ويروي انه قال:

لحقت بأرض الروم غير مفكر ... بترك صلاة من عشاء ولا ظهر
فلا تتركوني من صبوح مدامة ... فما حرم الله من السلاف (١) من الخمر
اذا أمرت (٢) تيم بن مرة فيكم ... فلا خير في أرض الحجاز ولا مصر
فان يك اسلامى هو الحق والهدى ... فانى قد خليته لأبى بكر

*
* *

وافتن الناس فى الضلالة حتى استجازوا دعوى الربوبية ، فكان ذلك تنطسا فى الكفر ، وجما للعصبية ، وانما كان أهل الجاهلية يدفعون النبوة ولا يجاوزون ذلك الى سواه

سمير ابن أدكن

ولما أجلى عمر بن الخطاب — رحمة الله عليه — أهل الذمة عن جزيرة العرب ، شق ذلك على الجالين ، فيقال ان رجلا من يهود بنى خيبر ، يعرف بسمير ابن ادكن ؛ قال فى ذلك :

---

(١) ما تحلب وسال قبل العصر وهو أفضل الخمر (٢) صارت أميرة

يصول أبو حفص علينا بدرة (١) رويدك ، ان المرء يطفو ويرسب
كأنك لم تتبع حمولة مأقط لتشبع ، ان الزاد شيء محبب
فلو كان موسى صادقا ما ظهرتم علينا ، ولكن دولة ثم تذهب
ونحن سبقنا كم الى المين ، فاعرفوا لنا رتبة البادي الذي هو اكذب
مشيتم على آثارنا في طريقنا وبغيتكم في أن تسودوا وترهبوا

*
* *

وما زال اليمن منـذ كان معدنا للمتكسبين بالتدين ، والمحتالين على السحت ، وحدثني من سافر الى تلك الناحية أن به اليوم جماعة كلهم يزعم أنه القائم المنتظر ، فلا يعدم جباية من مال ، يصل بها الى خسيس الآمال

القرامطة

وحكي لي أن للقرامطة بالأحساء بيتا يزعمون أن امامهم يخرج منـه ، ويقيمون على باب ذلك البيت فرسا بسرج ولجام ، ويقولون للهمج والطغام : « هذا الفرس لركاب المهدي ، يركبه متى ظهر (٢) » ، وانما غرضهم بذلك خدع وتعليل ، وتوصل الى المملكة وتضليل

---

(١) سوط يضرب به

(٢) وفي ذلك يقول ابو العلاء :

يرقب الناس أن يقوم امام ناطق في الكتيبة الخرساء
كذب الظن لا امام سوى العـ قل مشيراً في صبحه والمساء
فاذا ما أطعته جلب الرحمـ ـة عند المسير والارساء

ومن أعجب ما سمعت أن بعض رؤساء القرامطة في الدهر القديم ، لما حضرته المنية ، جمع أصحابه ، وجعل يقول لهم لما أحس بالموت: « اني قد عزمت على النقلة ، وقد كنت بعثت موسى وعيسى ومحمدا ، ولا بد لى أن أبعث غيرهؤلاء ، فعليه اللعنة ، لقد كفر أعظم الكفر فى الساعة التي يجب أن يؤمن فيها الكافر ، ويؤوب الى آخرته المسافر

الوليد ابن يزيد

وأما الوليد بن يزيد ، فكان عقله عقل وليد، وقد بلغ سن الكهل ، وقد رويت له أشعار ، يلحق به منها العار ، كقوله .

أدنيا مني خليلى عبد لا ، دون الازار
فلقد أيقنت أني غير مبعوث لنار
واتركا من يطلب الجـ ـنة يسعي فى خسار
سأروض الناس حتى يركبوا دين الحمار

فالعجب لزمان صار مثله اماما ، ولعل غيره ممن ملك يعتقد مثله أو قريباً ، ولكن يساير ويخاف تثريبا ، ومما روي له :

انا الامام الوليد مفتخراً أجر بردى ، وأسمع الغزلا
أسحب ذيلي الى منازله ولا أبالى من لام أو عذلا
ما العيش الا سماع محسنة وقهـوة تترك الفتى ثملا

انما هذه المذاهب اسبا ب لجذب الدنيا الى الرؤساء
كالذى قام يجمع الزنج بالبصـ ـرة والقرمطى بالاحساء
فانفرد ما استطعت فالقائل الصا دق يضحي ثقلا على الجلساء

لاأرتجي الحور في الخلود، وهل   يأمل حور الجنان من عقلا؟
اذا حبتك الوصال غانيــة   فجازها بذلهــا كمن وصلا

ويقال انه لما أحيط به — دخل القصر وأغلق بابه وقال :

دعوا لي هندا والرباب وفرتنى   ومسمعة ، حسبي بذلك مالا
خذوا ملككم، لاثبت الله ملككم   فليس يساوي بعد ذلك عقالا
وخلوا سبيلي قبل عير وما جرى   ولا تحسدوني أن أموت هزالا

فألب عن تلك المنزلة أي الب ، ورؤى رأسه في فم كلب ، كان حق الخلافة أن تفضى الى من هو بنسك معروف ، لا تصرفه عن الرشد صروف ، ولكن البلية خلقت مع الشمس ، فهل يخلص من سكن في رمس ؟

ابو عيسى ابن الرشيد

وأما ابو عيسى بن الرشيد ، فان صح ما روى عنه فقد باين بذلك أسلافه ، وما يحفل ربه بالعبيد ، صائمين للخيفة ولا مفطرين(١) ، وكان يستحسن شعره في البيتين والثلاثة ، وأنشد له الصولي في نوادره :

لســاني كتوم لأسراره   ودمعي نموم بسري مذيع
ولولا دموعي كتمت الهوي   ولولا الهوى لم يكن لى دموع

فان كان فر من صيام شهر ، فلعله يقع في تعذيب الدهر

---

(١) ذكر ابو العلاء هذا المعنى في لزومياته اكثر من مرة فمن ذلك قوله :

توزعوا يا بني حواء عن كذب   فما لكم عند رب صاغكم خطر

الجنابي (١)

وأما الجنابي ، فلو عوقب بلد بمن يسكنه ، لجاز أن تؤخذ بهجنايه ولا يقبل لها انابة ، ولكن حكم الكتاب المنزل أجدر وأحرى ، أن لا تزر وازرة وزر اخري ، فعليه اللعنة

العلوي البصري

وأما العلوى البصرى ، فقد رويت له أبيات تدل على تأله ،

---

(١) اسمه سليمان بن ابى سعيد الحسن بن بهرام القرمطي ، بلده جنابة من اعمال فارس متصلة بالبحرين ، وكنيته ابو طاهر ، وقد امتلأت كتب التاريخ بخروج القرامطة على الخلفاء والملوك وحروبهم معهم فلا حاجة الى الافاضة فى ذلك ، وحسبنا أن نلم بتاريخه موجزين :

ظهر فى سنة ٢٨٦ هـ بالبحرين وانضم اليه عدد من الاعراب والقرامطة ، ثم ارتفع شأنه وقويت شوكته ، فقتل من حوله من أهالى تلك القري ، ولما قرب من نواحي البصرة ، جهز اليه المعتضد بالله جيشا فهزمه الجنابى ، وقتل الاسرى واحرقهم ، واستبقي قائده ثم اطلقه بعد أيام ، وقال له : ” امض الى صاحبك ، وعرفه ما رأيت ، فدخل بغداد في رمضان تلك السنة ، وحضر بين يدى المعتضد ، فخلع عليه ودخل القرامطة الشام سنة ٢٨٩ هـ وجرت وقائع بين الفريقين ، ثم قتله خادمه سنة ٣٣١ فى الحمام وستجد فى رسالة ابن القارح اشارة نافعة اليه

وما أدفع أن تكون قيلت على لسانه ، والأبيات :

قتلت الناس اشفاقا	على نفسي كي تبقى
وحزت المال بالسيف	لكي انعم لا أشقى
فمن أبصر مثواي	فلا يظلم اذن خلقا
فواويلي اذا ما	مت عند الله ما ألقى
أخلدا في جوار اللـــه أم في ناره ألقى

* * *

وأنشدني بعضهم أبياتا قافية طويلة الوزن ، وقافيتها مثل هذه القافية ، قد نسبت الى عضد الدولة ، وقيل انه افاق في بعض الأيام فكتبها على جدار المنزل الذي كان فيه ، وقد نحل فيها أبيات البصري وأشهد أنها متكافئة ، صنعها رقيع من القوم ، وان عضد الدولة ما سمع بها قط

* * *

وأما الحكاية عن اصحاب الحديث أنهم صحفوا رحمة ، فقالوا رحمة فلا اصدق بما يجري مجراها ، والكذب غالب ظاهر ، والصدق خفي متضائل(١)

وكذلك ادعاء من يدعي أن علياً — عليه السلام — قال : « تهلك البصرة بالزنج » فصحفها أهل الحديث بالريح ، لا أومن بشيء من ذلك ولم يكن علي — عليه السلام — ممن يكشف له الغيب ، وفي الكتاب العزيز « لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله » وفي الحديث المأثور « لا يعلم ما في غد الا الله »

---

(١) يقول ابو العلاء في هذا المعنى :

والحق يهمس بينهم	ويقام للسوءات منبر

ويقول :	اذا قلت المحال رفعت صوتي	واذ قلت اليقين أطلت همسي

ولا يجوز أن يخبر مخبر منذ مائة سنة ان أمير حلب ــ حرسها الله في سنة اربع وعشرين وأربعمائة (١) اسمه فلان بن فلان ، وصفته كذا فان ادعي ذلك مدع فانما هو متخرص كاذب

النجوم

وأما النجوم فانما لها تلويح لا تصريح ، وحكى أن الفضل بن سهل كان يتمثل كثيراً بقول الراجز :

لئن نجوت ونجت ركائبي   من غالب ومن لفيف غالب
اني لنجاء من الكرائب

وان غالباً كان في من قتله ، فهذا يتفق مثله ، وأجدر بهذه الحكاية أن تكون مصنوعة ، فاما ما تمثله بالشعر فغير مستنكر

وربما اتفق أن يكون في الوقت جماعة يسمون بهذا ، فيمكن أن يقترن معنى بلفظ ، على أن في الايام عجائب ، وفوق كل ذي علم عليم

الالمعي

وقد حكي أن اياس بن معاوية القاضي كان يظن الاشياء فتكون كما ظن ، ولهذه العلة قالوا رجل نقاب (٢) وألمعي ، قال اوس :

الالمعي الذي يظن بك الظ   ن كأن قد رأي وقد سمعا

---

(١) من هذا نستنتج أن رسالة الغفران كتبت في تلك السنة
(٢) النقاب الذي يحدث بالغائب

الحلاج[1]

وكم افترى للحلاج ، والكذب كثير . وجميع ما ينسب اليه بما لم تجر المادة بمثله ، فانه المين لا أصدق به ، ومما يفتعل عليه أنه قال للذين

---

(١) اسمه الحسين بن منصور كنيته أبو مغيث ، وجده مجوسي وبلده البيضاء ، احدى بلاد فارس ، وكانت وفاته سنة ٣٠٩ هـ نشأ بواسط والعراق ، واشتهر بصحبته لابي القاسم الجنيد ، ومن في طبقته ، كما اشتهر بكفره ، وان بالغ في تعظيمه بعض الناس ، ومن شعره قوله :

لا كنت ان كنت أدرى كيف كنت ، ولا
لا كنت ان كنت ادرى كيف لم أكن

وقوله المشهور

القاه في اليم مكتوفا وقال له ٭ اياك اياك أن تبتل بالماء

وكان يكثر من قوله : « ما في الجبة الا الله » فسمى الجبائى لذلك ، وكان يقول « معبودكم تحت قدمي هذا » وقد تصدى الامام الغزالى للدفاع عنه في فصل طويل عقده في كتاب (مشكاة الانوار) اعتذر فيه عن الالفاظ الشديدة التي صدرت منه ، وعزاها الى افراطه في محبة الله ، واستشهد بقول القائل .

انا من أهوي ، ومن أهوى أنا ٭ نحن روحان ، حللنا بدنا
فاذا أبصرتنى ابصرته ٭ واذا أبصرته ابصرتنا

وسيمريك طرف من أخباره في رسالة بن القارح

قتلوه ، أتظنون انكم اياى تقتلون ، انما تقتلون بغلة المادراني ، وان البغلة وجدت فى اصطبلها مقتولة

وفى الصوفية الى اليوم من يرفع شأنه ، وبلغني أن ببغداد قوما ينتظرون خروجه ، وانهم يقفون بحيث صلب على دجلة ، يتوقعون ظهوره[1] ، وليس ذلك ببدع من جهل الناس

يزيد بن معاوية

وقد روى أن يزيد بن معاوية كان له قرد يحمله على أتان وحشية ويرسلها مع الخيل في الحلبة

---

(١) كان السبب في صلبه ، كلام جري منه فى مجلس حامد بن العباس وزير المقتدر بحضرة القاضى أبى عمر ، فأفتي بحل دمه ، وكتب بخطه ذلك ، وكتب معه من حضر المجلس من الفقهاء ، فقال لهم الحلاج : « ظهرى حمى ، ودمى حرام ، وما يحل لكم أن تتقولوا على ، وأنا اعتقادي الاسلام ، ومذهبى السنة ، وتفضيل الائمة الاربعة ، الخلفاء الراشدين ، ولى كتب فى السنة ، فالله الله فى دمى ، ولم يزل يردد هذا القول ، وهم يكتبون حتى أتموا ما احتاجوا اليه ، ونهضوا من المجلس وحملوا الحلاج الى السجن ، ثم جلد أمام العامة ، وقطعت اطرافه ، وجزت رأسه ، واحرقت جثته ، ثم القيت فى دجلة ، واتفق أن زادت فى تلك السنة زيادة وافرة ، فادعى أصحابه ان سبب ذلك هو سخط الحلاج .

رجعة الى الحلاج

وأما الابيات التي على الياء :

يا سر سر يدق حتى　　يجل عن وصف كل حي
وظاهراً باطناً تبـدى　　من كل شيء لـكل شي
يا جملة الـكل لست غيرى　　فما اعتذاري اذن الى

فلا بأس بنظمها في القوة، ولكن قوله « الى » عاهة في الابيات ، وكذلك قوله « الـكل » فان ادخاله الالف واللام مكروه

مذهب الحلول(١)

وينشد لفتى كان فى زمن الحلاج :

ان يكن مذهب الحلول صحيحاً　　فالهى فى حرمة الزجاج
عرضت في غلالة بطراز　　بين دار العطار والثلاج

---

(١) الحلولية أو مذهب الحلول هي الادعاء بحلول الله سبحانه في الاشخاص ، ولمعتنقي هذا المذهب ادعاءات لا يحصيها العد ، فقد ادعى بعضهم ان روح الله حلت في الانبياء ، واحداً بعد الآخر، حتى حلت فى أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنيفية ، وادعي غيرهم انها حلت فى أبى مسلم ، وادعي آخرون حلول الله في الاشخاص الحسنة ، فكان الحلمانية اذا رأوا صورة حسنة ، سجدوا لها ، واهمين ان الله حل فيها ، واستدل بعض هؤلاء على جواز حلول الله فى الاجساد ، بقوله

زعموا لي أمراً وما صح لـكن   هو من أفك شيخنا الحلاج

وهذه المذاهب قديمة ، تنتقل في عصر بعد عصر ، ويقال ان فرعون كان على مذهب الحلولية ، فلذلك ادعى أنه رب العزة

وحكى عن رجل منهم انه كان يقول فى تسبيحه : « سبحانك سبحانى ، غفرانك غفرانى » وهذا هو الجنون ، انما من يقول هذا القول معدود فى الانعام ، وقال بعضهم :

أنا أنت بلا شـك   فسبحانك سبحانى

واسخاطك اسخاطى   وغفرانك غفرانى

ولم أحلد يا رب   اذا قيل هو الزانى ؟

وبنو آدم بلا عقول ، وهذا أمر يلقنه صغير عن كبير ، أم تحسب

تعالى الملائـكة فى آدم : « فاذا سويته ، ونفخت فيه من روحى ، فقعوا له ساجدين » وزعموا أن الله انما أمر الملائـكة بالسجود لآدم ، لانه خلقه فى أحسن تقويم بدليل قوله تعالى : « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم »

وزعم الحلاج أن من هذب نفسه في الطاعـة ، وصبر على اللذات والشهوات ، ارتقى الى مقام المقربين ، ولا يزال يصفو ويرتقى في درجات المصافاة حتى يصفو عن البشرية ، فاذا لم يبق فيه منها حظ ، حل فيه روح الله ، الذي حل في عيسى بن مريم ، ولم يرد حينئذ شيئاً الا كان كما أراد ، وكان جميع فعله فعل الله تعالى .

ولنجتزىء بهذا القدر فان فيما أورده أبو العلاء فى هذا الفصل وابن القارح في رسالته ما فيه الكفاية

أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ؟ ان هم الا كالانعام ، بل هم أضل سبيلا ، ويروى لبعض أهل هذه النحلة :

رأيت ربي يمشي بلا لكه في سوق يحيى، فكدت انفطر
فقلت: « هل في اتصال الناطمع » فقال « هيهات، يمنع الحذر »
ولو قضى الله الفة بهوى لم يك الا السجود والنظر

التناسخ (١)

وتؤدي هذه النحلة الى التناسخ ، وهو مذهب عتيق يقول به أهل

(١) التناسخ : هو مذهب القائلين بانتقال الارواح بعد مغادرة أجسادها ، الى أجساد أخر ، ويرى بعضهم ان ذلك يحدث ولو لم تكن تلك الاجساد من نوع الاجساد التي فارقتها الروح ، وبهذا الزعم يدين الكثيرون ، منهم القرامطة ، واحمد بن حائط ، وتلميذه أحمد بن نانوس ، وأبو مسلم الخراساني ، ومحمد بن زكريا الرازي الطبيب ، ومما ذكره الاخير في بعض كتبه قوله : « لولا أنه لا سبيل الى تخليص الارواح عن الاجساد المتصورة بالصورة البهيمية ، الى الاجساد المتصورة بصور الانسان ، الا بالقتل والذبح ، لما جاز ذبح شيء من الحيوان البتة .

ويزعمون ان التناسخ هو نوع من العقاب والثواب ، فالفاسق السيء العمل ، يعاقب على ذلك بأن تنتقل روحه الى أجساد البهائم الخبيثة المرتطمة في الاقذار ، والمسخرة الممتهنة بالذبح

***

وزعم بعضهم ان الله ــ سبحانه ــ أبدع خلقه أصحاء سالمين عقلاء

الهند ، وقد كثر في جماعة من الشيعة ، نسأل التوفيق والكفاية ،

بالغين ، في دار سوى هذه الدار الدنيا ، وخلق فيهم معرفته ، والعلم به ، وأسبغ عليهم نعمه ، فابتدأهم بتكليف شكره ، فأطاعه بعضهم في جميع ما أمرهم به ، وعصاه بعضهم في جميع ذلك ، وأطاعه بعضهم في البعض دون الآخر ، فمن اطاعه في الكل ، أقره دار النعيم التي ابتدأهم فيها ، ومن عصاه في الكل أخرجه من تلك الدار الى دار العذاب ، وهي النار ، ومن اطاعه في البعض ، وعصاه في البعض الآخر ، أخرجه الى دار الدنيا ، فألبسه هذه الاجساد الكثيفة ، وابتلاه بالبأساء والضراء ، والشدة والرخاء ، والآلام واللذات ، على صور مختلفة من صور الناس ، وسائر الحيوانات ، على قدر ذنوبهم ، فمن كانت معاصيه اقل ، وطاعته اكثر ، كانت صورته احسن وآلامه اقل ، ومن كانت ذنوبه اكثر ، كانت صورته اقبح ، وآلامه اكثر ، ثم لا يزال يكون في الدنيا كرة بعد كرة ، وصورة بعد اخرى ، ما دامت معه ذنوبه وطاعاته

* * *

واستدل من يعتقد بالتناسخ من المسلمين ، على صحة زعمهم بقوله تعالى " يا أيها الانسان ! ما غرك بربك الكريم ؟ الذي خلقك ، فسواك فعدلك ، في أي صورة ما شاء ركبك " وبالآية الأخرى " جعل لكم من انفسكم ازواجا ، ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه "

واستدل غير المسلمين منهم على صحة مذهبهم ، بأن النفس لا تتناهى والعالم لا يتناهى لأمد ، فالنفس منتقلة أبداً ، وليس انتقالها الى نوعها

وينشد لرجل من النصيرية :

اعجبي أمنا لصرف الليالي   جعلت اختنا سكينة فارة

بأولى من انتقالها الى غير نوعها

* * *

وأنكرت طائفة اخرى ، انتقال الارواح الى غير انواع اجسادها التى فارقتها بعد أن أقرت انتقالها الى انواع اجسادها ، فقالت : „ بما انه لا تناهي للعالم ، فوجب ان تتردد النفس فى الاجساد ابداً ، ولكن لا يجوز ان تنتقل الى غير النوع الذي اوجب لها طبعها الاشراف عليه ، وتعلقها به “.

وفي كتابي الملل والنحل لابن حزم والشهرستاني، فصلان نافعان ، لمن شاء الرجوع اليهما ، وقد عني ابن حزم بتفنيد كثير من هذه الآراء ودحضها .

* * *

شاع في الهند هذا المذهب ، كما شاع فيها غيره ، منذ اقدم أزمنة التاريخ ، ثم عرفه العرب فى اواخر القرن الاول ، ودان به الشيعة ، كما دانوا بمذهب الحلول والرجعة وغير ذلك من المذاهب القريبة منها ولم يأت القرن الرابع حتى انتشرت تلك المذاهب ، وذاع امرها ، وساعد على انتشارها فتح محمود بن سبكتكين بلاد الهند ، الذى كان سبباً فى توثق العلاقات بين المسلمين والهنود ، فكثر تبادل الآراء بينهم ، ووفد بعض الهنود الى مدينة السلام ، وانتشرت تجارة الهند بالعراق .

فان جرى هذه السنانير عنها　　واتركيها وما تضم الغرارة

رأي ابي العلاء في التناسخ

فاذا شئت أن تعرف رأي أبي العلاء في التناسخ ، أمكنك أن تلمحه فيما تقرؤه له في هذا الفصل ، من السخرية والتبرم

ولا ريب أن ابا العلاء ، درس هذا المذهب دراسة حقة ، فلم يوافق عليه ، وأبدى ارتيابه فيه ، ثم شفع هذا الارتياب بالرفض الصريح .

فقد ذكر التناسخ في صباه ، على سبيل اللهو والتندر ، وان لم يفته أن يظهر ارتيابه فيه ، في بيت من قصيدة له ، في سقط الزند كتبها الى ابراهيم بن اسحق مدحا فيه ، وجوابا على قصيدة بعث بها اليه ، والبيت:

فلو صح التناسخ ، كنت موسى　　وكان ابوك اسحق الذبيحا

ثم انكره اكثر من مرة انكاراً صريحا في لزومياته ، فقال

يقولون: « ان الجسم ينقل روحه　　الى غيره ؛ حتى يهذبه النقل »
فلا تقبلن ما يخبرونك ؛ ضلة ؛　　اذا لم يؤيد ما أتوك به العقل

وتهكم بجماعة القائلين بهذا المذهب ، وأمعن في السخرية منهم ، فقال:

يا آكل التفاح ! لا تبعدن　　ولا يقم يوم ردى ثاكلك
قال النصيري ، وما قلته ؛　　فاسمع ، وشجع يااخي ناكلك
« قد كنت في دهرك تفاحة　　وكان تفاحك ذا آكلك
وخروف هاج لحت فيما مضى　　وطالما أشكله شاكلك »

والبيت الاخير سخرية من مذهب القائلين — ومنهم بن سعيد العجلي ، وهو أحد من ادعى انه المهدي المنتظر — أن الاعضاء على صور حروف الهجاء ؛ وأن الالف منها مثال القدم ، والعين على صورة العين الخ

وقال آخر منهم

تبارك الله كاشف المحن   فقد أرانا عجائب الزمن

حمار شيبان، شيخ بلدتنا،   صيره جارنا أبو السكن

يدل من مشية بحلته   مشيته في الحزام والرسن[1]

ويصور لهم الرأى الفاسد مشبهات، فيسلكون فى الترهات

مذهب التناسخ في الهند

وحكي عن بعض ملوك الهند، وكان شابا حسنا، أنه جدر، فنظر الى وجهه فى المرآة وقد تغير، فاحرق نفسه، وقال: «اريد ان ينقلني الله الى صورة أحسن من هذه»

وسخر منه وممن يدينون به، في موضع آخر، فقال:

فما بال هذا العصر، ما فيه آية

من المسخ، ان كانت يهود رأت مسخا

وقال بأحكام التناسخ معشر

غلوا، فاجازوا الفسخ في ذاك والرسخا

فقد قسموا التناسخ الى اربعة اقسام. نسخ ومسخ وفسخ ورسخ، وقالوا عن الاول انه انتقال الروح من جسم انساني الى آخر، أو من جسم انساني جسم ارفع منه، وعن الثانى انه انتقال الروح الي البهائم، وعن الثالث الى انه انتقالها الى الحشرات، وعن الرابع انه انتقالها الى النبات أو الجماد

(١) أى أن روح جارهم تقمصت فى حمار شيخ البلدة، فأصبح ذلك الحمار يمشي في الحزام والرسن بعد أن كان يختال في حلته

وحدثني قوم من الفقهاء ، ما هم في الحكاية بكاذبين ، انهم كانوا في بلاد محمود ، وكان معه جماعة من الهند ، قد وثق بصفائهم ، يفيض عليهم الاعطية لوفائهم ، ويكونون أقرب الجند اليه اذا حل أو ارتحل ، وأن رجلا منهم سافر في جيش جهزه ، فجاء خبره أنه قد هلك ، فجمعت امرأته لها حطباً كثيراً ، وأوقدت ناراً عظيمة ، واقتحمتها ، والناس ينظرون ، وكان ذلك الخبر باطلا ، فلما قدم الزوج ، أوقد له ناراً عظيمة ليحرق نفسه ، حتى يلحق بصاحبته ، فاجتمع خلق كثير للنظر اليه ، وأن اصحابه من الهند كانوا يجيئون اليه فيوصونه بأشياء الى امواتهم (١) هذا الى ابيه ، وهذا الى اخيه ، وجاءه انسان منهم بوردة وقال " اعط هذه فلانا " يعني ميتاً له ، وقذف نفسه في النار

* * *

---

(١) اشار ابو العلاء الى ذلك في لزومياته فقال

تقول الهند: «آدم كان قنا ... لنا ، فسرى اليه مخببوه»
أولئك يحرقون الميت نسكا ... ويشعره لبانا ملهبوه

ونذكر بهذه المناسبة ، قوله في تحبيذ مايفعله الهند من احراق موتاهم :

فاعجب لتحريق اهل الهند ميتهم ... وذاك اروح من طول التباريح
ان حرقوه فما يخشون من ضبع ... تسرى اليه ولا خفى وتطريح
والنار أطيب من كافور ميتنا ... غبآ ، واذهب للنكراء والريح

والخفي نبش الميت ، وقوله :

حرق الهند من يموت فما زا ... روه في روحة ولا تفكير
واستراحوا من ضغطة القبر ميتاً ... وسؤال لمنكر ونكير

وحدث من شاهد احراقهم نفوسهم ، انهم اذا لدغتهم النــار ، رادوا الخروج ، فيدفعهم من حضر اليها بالعصى والخشب ؛ فلا اله لا الله ؛ لقد جئتم شيئا ادا

ابن هانىء الاندلسى

وفى الناس من يتظاهر بالمذهب ولا يعتقده ، يتوصل به الى الدنيا الفانيـة(١) ، وكان لهم فى المغرب رجل يعرف بابن هانىء ، وكان من شعرائهم المجيدين ، فكان يغلو فى مدح المعز غلوا عظيما ، حتى قال فيه

---

(١) ردد أبو العلاء هذا المعنى بصور شتى فى كثير من أشعاره ، وأنحى على تلك الطائفة التي تخذت الدين وسيلة للكسب والنفع ، وقد أتينا ببضع أمثلة من ذلك في ص (٢٠) من هـذا الجزء وفى (ص ٣٤ و ٣٥ منه) واليك نخبه من أبدع ما نختاره له فى ذلك :

بخيفـة الله تعبـدتنا ... وأنت عين الظالم اللاهى
تأمرنا بالزهد فى هذه الدنيـــا وما همك الا هي

تلاوتكم ليست لرشد ولا هدي ... ولكن لـكم فيها التكاثر والكبر

وليس حبر يبدع في صحابته ... ان سام نفعاً بأخبـار تقولها
وانما رام نسوانا تزوجها ... بما افتراه واموالا تمولها
لا يخدعنك داع قام فى ملأ ... بخطبة زان معناها وطولها
فالعظات، واذراعت، سوي حيل ... من ذى مقال على ناس تحولها

رويدك قد غررت، وأنت حر ، ... بصاحب حيلة يعظ النساء

وقد نزل بموضع يقال له رقادة :

حل برقادة المسيح حل بها آدم ونوح
حل بها الله ذو المعالى وكل شيء سواه ريح

عودة الى الحلاج

وأدل رتب الحلاج أن يكون شموذيا لا ثاقب الفهم ، على أن الصوفية تعظمه منهم طائفة ، ما هي لامره شايفة

ابن ابي عون

واما ابن أبي عون ، فانه أخذ في لون بعد لون ، وقد تجد الرجل حاذقا في الصناعة ، بليغاً في النظر والحجة ، فاذا رجع الي الديانة الفي كأنه غير مقتاد ، وانما يتبع مايعتاد ، والتأله موجود في الغرائز ، ويلقن الطفل الناشيء ما سمعه ، فيلبث معه ، والذين يسكنون في الصوامع ،

يحرم فيكم الصهباء صبحا ويشربها على عمد مساء
يقول : «لقد غدوت بلا كساء» وفي لذاتها رهن الكساء

طلب الخسائس وارتقى في منبر يصف الحساب لأمة ليهولها
ويكون غير مصدق بقيامة أمسى يمثل في النفوس ذهولها

وكم من فقيه خابط في ضلالة وحجته فيها الكتاب المنزل
وقارئكم يرجو بتطريبه الغني فآض ـ كما غنى ليكسب زازله

وزازل هذا موسيقى يضرب به المثل في اتقان العود

والمتعبدون فى الجوامع ، يأخذون ما هم عليه ، كنقل الخبر عن الخبر لا يميزون المصدق من المكذب ، فلو أن بعضهم ألفى أسرة من المجوس لخرج مجوسيا (١) ، واذا جعل المعقول هاديا ، نفع بريه صاديا ، ولكن أين من يصبر على أحكام العقل (٢) ؟ هيهات ! عدم ذلك فى من تطلع

(١) من أبدع ما نختاره لابى العلاء ، فى هذا المعنى قوله فى لزومياته

وينشأ ناشيء الفتيان منا على ما كان عوده أبوه
وما دان الفتى بحجا ، ولكن يعلمه التدين أقربوه
وطفل الفارسي ، له ولاة بأفعال التمجس دربوه

(٢) لو شئنا الاستشهاد بكل ما كتبه ابو العلاء فى النعي على التقليد ، والحث على تمجيد العقل ، والاعتزاز به ، والدعوة الى تحكيمه فى كل شيء ، لملأنا صحفاً عديدة ، لا يسمح لنا بها هذا الكتاب الصغير ، فلنجتزيء من ذلك بالقليل عن الكثير ، واليك ما نختاره له :

اللب قطب والامور رحى فيه تدير كلها وتدار
العقل يوضح للنسك منهجا فاحذ حذوه
وليس يظلم قلب وفيه للب جذوة
كذب الناس لا امام سوى العقل مشيرا فى صبحه والمساء
فاذا ما أطعته جلب الرحمة عند المسير والارساء
صدقت يا عقل ، فليبعد اخو سفه صاغ الاحاديث افكا أو تأولها
فلا تقبلن ما يخبرونك ضلة اذا لم يؤيد ما أتوك به العقل
نكذب العقل فى تصديق كاذبهم والعقل أولى باكرام وتصديق

عليه الشمس ، ومن ضمنه في الرمم رمس، الا أن يشذ رجل في الأمم ، يخص من فضل بعمم

* * *

وينفر عقلي مغضبا ان تركته سدى ، واتبعت الشافعي ومالكا

والعقل يعجب والشرائع كلها خبر يقلد لم يقسه قائس

. . . .

واذا الرئاسة لم تعن بسياسة عقلية ، خطىء الصواب السائس

قالوا ، فما نوا ، فلما أن حدوتهم الى القياس ، أبانوا العجز واعترفوا

واذا ما سألت أصحاب دين غيروا بالقياس ما رتبوه

لا يدينون بالعقول ، ولكن بأباطيل زخرف كذبوه

وجاءتنا شرائع كل قوم على آثار شيء رتبوه

وغير بعضهم أقوال بعض وأبطلت النهى ما أوجبوه

فاحذر ولا تدع الامور مضاعة وانظر بقلب مفكر متبصر

تفكر فقد حار هذا الدليل وما يكشف النهج غير الفكر

الفكر حبل متى يمسك على طرف منه ، ينط بالثريا ذلك الطرف

فكروا في الامور يكشف لكم بعـ ـض الذي تجهلون بالتفكير

فكري أنت ربما هدى الانـ ـسان للمشكلات بالتفكير

اذا كان التقى بلها وعيا فأعيار المذلة أتقياء

وربما لقينا من نظر في كتب الحكماء ، فألفيناه يستحسن قبيح الامور ، ان قدر على فظيع ارتكبه ، وان عرف واجبا نكبه ، وان اودع وديعة خان ، وان سئل عن شهادة مان ، وان وصف لعايل صفة ، فما يحفل اقتله أم ضاعف عليه الانقال ، بل غرضه فيما يكتسب ؛ ورب زار بالجهالة على أهل ملة ، وعلته الباطنة أدهى علة .

وان البشر لكما جاء في الكتاب العزيز « كل حزب بما لديهم فرحون (١) » ويحضر المجالس اناس طاغون ، كأنهم للرشد باغون ، واولئك علم الله أصحاب البدع والمكر

كم متظاهر باعتزال ، يزعم أن ربه على الذرة يخلد في النار (٢) ،

وما تريك مرائي العين صادقة　　فاجعل لنفسك مرآة من الفكر

وجدت أباك مفتريا حديثا　　فأنت على مقص الشيخ تفري

عاشوا ، كما عاش آباء لهم سلفوا　　وأورثوا الدين تقليدا كما وجدوا

فما يراعون ما قالوا أو ما سمعوا　　ولا يبالون من غي لمن سجدوا

في كل أمرك تقليد رضيت به　　حتى مقالك ربي واحد أحد

جاءت أحاديث ان صحت فان لها　　شأنا ، ولكن فيها ضعف اسناد

فشاور العقل ، واترك غيره هدرا　　فالعقل خير مشير ضمه النادي

اذا رجع الحصيف الى حجاه　　تهاون بالمذاهب وازدراها

فخذ . منها بما أداه لب　　ولا يغمسك جهل في مراها

وهت أديانهم من كل وجه　　فهل عقل يشد به عراها

(١) وعند كل فريق انهم ثقفوا

(٢) ذكر ابو العلاء هذا المعنى في لزومياته فقال :

به الدرهم وبه الدينار ، وما ينفك يحتقب من المآثم عظائم ؛ ويهمك على العهار والفسق ، قد صير الجدل مصيدة ؛ ينظم به من الغي قصيدة (١) .

* * *

وحدثت عن امام لهم ، يوقر ويتبع ؛ انه كان اذا جلس في الشرب ، ودارت عليهم المسكرة ؛ وجاءه القدح ؛ شربه ؛ فاستوفاه ، وأشهد من حضره على التوبة .

عبد الله ابن ميمون القداح

والشيعة يزعمون أن عبد الله بن ميمون القداح ، وهو من باهلة كان من علية أصحاب جعفر بن محمد ، وروى عنه شيئاً كثيراً ، ثم ارتد بعد ذلك ، فحدثني بعض شيوخهم أنهم يروون عنه ويقولون « حدثنا عبدالله بن ميمون القداح ، قبل أن يرتد » ويروون له :

هات اسقني الخمرة يا سنبر ... فليس عندي انني انشر
اما ترى الشيعة في فتنة ... يغرها من دينها جعفر
قد كنت مغروراً به برهة ... ثم بدا لي خبر يستر

ومما ينسب اليه :

مشيت الى جعفر حقبة ... فألفيته خادعاً يخلب
يجر العلاء الى نفسه ... وكل الى حبله يجذب

جنوا كبائر آثام ، وقد زعموا ... أن الصغائر تجني الخلد في النار

(١) ارجع الى ص (٥٠و٥١) من هذا الجزء

فلو كان أمركم صادقاً لما ظل مقتولكم يسحب
ولا غض منكم عتيق، ولا عمر فوقكم يخطب

والحلولية قريبة من مذهب التناسخ، وحدثت عن رجل من رؤساء المنجمين(١) من أهل حران، أقام في بلدنا زماناً، فخرج مرة مع قوم يتنزهون، فمر والثور يكرب، فقال لأصحابه « لا شك في أن هذا الثور رجل كان يعرف بخلف ، بحران » وجعل يصيح به : « يا خلف » فيتفق أن يخور ذلك الثور ، فيقول لأصحابه : « ألا ترون صحة ما خبرتكم به؟ »

وحكى لي عن رجل آخر ممن يقول بالتناسخ أنه قال : رأيت في النوم أبي وهو يقول : « ابني ان روحي قد نقلت الى جمل أعور في قطار فلان ، واني قد اشتهيت بطيخة » فأخذت بطيخة ، وسألت عن ذلك القطار ، فوجدت فيه جملاً أعور ، فدنوت منه بالبطيخة ، فأخذها أخذ مريد مشتهٍ ، أفلا يرى مولاي الشيخ الى ما رمى به هذا البشر من سوء التمييز !

ابن الراوندي(٢)

وأما ابن الراوندي ، فلم يكن الى المصلحة بمهدي ، وأما تاجه

---

(١) لأبي العلاء في المنجمين أسوأ رأي ، ونجتزىء لك من اشعاره الكثيرة فيهم بقوله :

لو كان لي امر يطاوع لم يشن ظهر الطريق بيد الحياة منجم

(٢) اسمه أحمد بن يحيى بن اسحق الراوندي ، كنيته أبو الحسين ، وهو ينسب الى راوند احدى قرى اصبهان ، مات في سن الاربعين في سنة ٢٤٥ هـ . ، وكان أبوه يهوديا فأسلم ، فكان اليهود يقولون للمسلمين : « ليفسدن عليكم هذا كتابكم ، كما أفسد أبوه التوراة علينا »

فلا يصلح أن يكون نعلا ، وهل تاجه الا كما قالت الكاهنة: «أف وتف»
انما هتك قميصه ، وأبان للناظر خميصه .

وكان من متكلمي المعتزلة ، وانفرد بمذاهب نقلها أهل الكلام عنه في كتبهم ، قالوا : « ولم يكن في زمانه أحذق منه بالكلام ، ولا أعرف بدقيقه وجليله » وكان يلازم أهل الالحاد ، فاذا عوتب في ذلك ، ادعى أنه يريد معرفة مذاهبهم ، ثم صار بعد ملحداً زنديقاً .

وأوجز ما ننعته به ، أنه رجل لا يستقر على مبدأ ، وليس للمبادىء قيمة عنده ، فقد كان مسلماً ، ولكن ذلك لم يمنعه أن يصنف كتاب البصيرة لليهود ، رداً على الاسلام ، نظير أربعمائة درهم دفعوها له ، فلما قبض المال ، رام نقضه ، فلما أعطوه مائة درهم أخرى عدل عن ذلك ، وكان من متكلمي المعتزلة ، فلم يمنعه ذلك من أن يؤلف كتابه الذي سماه فضيحة المعتزلة ، وقد ألف كتباً أخرى متناقضة ولكن أكثرها كان الحاديا شديد الجرأة ، وقد نيفت كتبه على المائة ، ذكر ابن القارح أهمها وأشنعها ، في رسالته ، وكان له ذوق خاص في تسمية كتبه ، فقد أطلق اسم الزمردة ، على كتابه الذي دلل فيه على فساد الرسالة والرسل ، وازدرى فيه بالنبوات ، وعلل هذه التسمية بأن من خاصية الزمرد ، ان الحية اذا نظرت اليه ذابت ، وسالت عيناها ، كما يحدث لاخصامه حين يقرؤون كتابه ، ومما زعمه فيه قوله : « انا نجد في كلام اكثم بن صيفي شيئاً أحسن من (انا أعطيناك الكوثر) ، وان الانبياء كانوا يستعبدون الناس بالطلاسم الخ »

وقد ذكر في كتبه الأخرى آراء لا تقل عن هذه جرأة وشناعة ، على الانبياء والدين ، فقد طعن على النبي (ص .) في كتابه (الفريد) وطعن على القرآن ، وعاب ، نظمه في كتابه الدامغ ، ومما ورد فيه قوله : « ان الله

القرآن الكريم

وأجمع ملحد ومهتد ، أن هذا الكتاب الذي جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتاب بهر بالاعجاز ، ما حذي على مثال ولا أشبه غريب الامثال ، ما هو بالقصيد الموزون ولا الرجز ، ولا شاكل خطابة العرب ولا سجع الكهنة ، وجاء كالشمس ، لو فهمه الهضب لتصدع ، وان الآية منه أو بعض الآية لتمترض في أفصح كلم يقدر عليه المخلوقون فتكون فيه كالشهاب المتلألىء في جنح غسق ، والزهرة البادية في جدوب

ابن الرومي

وأما ابن الرومي فهو أحد من يقال ان أدبه كان أكثر من عقله ، وكان يتعاطى الفلسفة ، والبغداديون يدعون أنه متشيع ،

ـ سبحانه وتعالى ـ ليس عنده من الدواء الا القتل ، فعل العدو الحنق المغضوب ، فما حاجته الى كتاب ورسول ... وقال في وصف الجنة (فيها انهار من لبن لم يتغير طعمه) وهو الحليب ؛ ولا يكاد يشتهيه الا الجائع ، وذكر العسل ، ولا يطلب صرفا ، والزنجبيل ، وليس من لذيذ الاشربة ، والسندس يفترش ولا يلبس ، وكذلك الاستبرق ؛ وهو الغليظ من الديباج ، ومن تخايل انه في الجنة يلبس هذا الغليظ ، ويشرب الحليب والزنجبيل ، صار كعروس الاكراد والنبط)

وسيمر بك طرف من أخباره في فصل آخر من هذا الكتاب ، وفي رسالة ابن القارح ، فلنكتف بهذا القدر ، على ايجازه الآن

ويستشهدون على ذلك بقصيدته الجيمية ، وما أراه الا على مذهب غيره من الشعراء ، ومن أولع ، بالطيرة(١) ، وانما هي شر مستعجل ،

(١) الطيرة والتشاؤم

أبو العلاء متشائم شديد التشاؤم ، بل هو من أشد من عرفناهم تشاؤماً ، ولكنه مع تشاؤمه الذي لا يقف عند حد ، ليس من جماعة المتطيرين ، بل هو أبعد من عرفناهم ، عن التطير

وانما نعني بالتشاؤم ذلك المذهب الذي يسميه الافرنج (Pessimisme) ونريد أن نسميه بالعربية سخطاً ، ونسمي أصحابه ساخطين ، وهو مذهب جماعة المتبرمين بالعالم ، الذين لا يرون فيه الا شراً مستطيراً ، لا يستطيعون دفعه ، ولا أمل لهم في ازالته أو تحسينه ، ولا ينظرون اليه ، الا بمنظار شديد السواد ، وعلى العكس من ذلك مذهب الرضى ويسميه الافرنج (Optimisme) وهو مذهب من يحسنون الظن بالايام ، وينظرون الى العالم بمنظار ، رائق ناصع البياض ، فيرون كل ما فيه يدعو الى الغبطة ، ويرونه سائراً في طريق التقدم والكمال ، وفي هذا مجلبة رضاهم وارتياحهم ، وقد اشبع ماكس نورداو ، جماعة الساخطين ، سخرية وتعنيفاً ، ورماهم بنقص في عقولهم ، في مقالته التي كتبها عن السخط والرضى (Pessimisme & Optimisme) في كتابه الفلسفي الذي سماه (الغرائب Paradoxes) وهي مقالة ، غاية في الامتاع واللذة ، نحب ألا تفوت القارىء ، وقد لخصتها مجلة البيان في سنتها الرابعة في عدديها الثاني والثالث ، تلخيصاً لا يخلو من الفائدة والنفع ، لمن لا تتاح له قراءتها كاملة في الكتب الافرنجية ، وفي كتاب

وللانفس أجل ، وكل ذلك حذر من الموت الذى هو ربق في أعناق

(الفصول) للأستاذ العقاد ، فصل ممتع - على ايجازه - في (ص ٥ و٦) عن التشاؤم ، وفيه رد مقنع ، على من يعيبون على الساخطين سخطهم ونقمتهم على الحياة .

* * *

أما الطيرة (Mauvais Augure) ، ونقيضها الفأل أو التيمن (Bon Augure) ، فمذهب آخر يختلف فى نظرنا عن مذهب السخط والرضى كل الاختلاف ؛ فقد يكون الانسان ساخطاً أو راضياً ولكنه لا يتطير ولا يتفاءل ، وعلى العكس من ذلك ، قد يكون من المتطيرين والمتفائلين ، ولكنه في الوقت نفسه ساخط على الحياة أو راض عنها .

* * *

وانما الطيرة مذهب أساسه ربط الحوادث بغير أسبابها الحقيقية ، وتعليل النفس بما لا يفيد ، وترقب المناسبات والمصادفات ، لاستنتاج شيء وهمي لا أساس له من الصحة ، ولا قيمة له عند العقلاء ، وانما يدعو اليها ، في نظرنا ، عدم اطمئنان القلب ، وخفة العقل ، وربما لو رجع الانسان الى نفسه يسائلها فى أى ساعاتها تميل الى التعلل باشباه هذه الخرافات ، لرأى ان ذلك كثيراً ما يحدث فى أوقات الهلع والذعر من جراء مصاب فادح مذهل ، ملك على الانسان قلبه ، وأطار لبه ، وحرمه طمأنينته ، فجعله كالغريق يتلمس أتفه الاسباب وأقلها غناء ، لينقذ نفسه من الهلاك ، فأما في ساعات اطمئنانه فقلما يأبه لذلك ، اللهم الا ان كان من ذلك النوع الذى أصبح له التطير ديدناً وطبعاً .

الحيوان .

وهذا غير السخط ، الذي أساسه ، سوء الظن ، وشدة الحذر ، والنقمة على الحياة والنظر اليها من جانبها الأسود .

* * *

اذا أقررنا ذلك ، سهل علينا أن ندرك ، كيف كان أبو العلاء ساخطا ولم يكن متطيراً .

أما ابن الرومي فربما لم يكن شديد السخط على الحياة ، ولكنه كان — على الرغم من ذلك — اماما من أئمة المتطيرين ، وسيمر بك في هذا الفصل وفي رسالة ابن القارح ما يزيدك اقتناعا بطيرته ، وحسبك أن تعلم أنه كان لا يلبس ثيابه الا بعد أن يتعوذ ، فاذا وصل الى الباب نظر من خلال ثقب المفتاح ، فاذا رأى ذلك الاحدب الذي تعود مضايقته ، جالساً ، جبن فلم يخرج ، وخلع ثيابه ثانية ، وقد عرف ذلك الاحدب كيف ينغص عليه عيشه ، وان عرف ابن الرومي كيف ينتقم منه ويثأر لنفسه ، ببيتيه اللذين وصمه بهما آخر الابد ، وهما قوله :

قصرت أخادعه ، وطال قذاله فكأنه متربص أن يصفعا

وكأنما صفعت قفاه مرة وأحس ثانية لها فتجمعا

ولابن الرومي في تطيره أخبار شتى ، منها أن أبا الحسن الاخفش ، غلام المبرد ، كان كثيراً ما يقرع بابه ، فاذا رد عليه ابن الرومي مستفسراً ، أجابه « مرة ابن حنظلة » فيتطير من ذلك ولا يجسر على الخروج بقية يومه .

* * *

ولما كان هذا المقام أضيق من أن يحتمل شيئاً من الاسهاب في تفصيل

وفى الناس من يظن أن الشيء اذا قيل، جاز أن

هذه النزعات وتحليلها والمقارنة بينها، فاننا نكتفي بهذا القدر على شدة ايجازه ونشير الى رأى أبى العلاء في مذهب المتطيرين والمتفائلين، وتهكمه اللاذع بأصحابه، وسخريتـه الشديدة منهم؛ وسيمر بك في هذا الفصل ما يبهرك من حججه وبراهينه القويه التى دلل بها؛ على فساد ذلك المذهب؛ واليك نخبة مختارة من كلامه فى ذلك :

تروم قيـاساً للحوادث ضـلة   وتلك أصول ليس يجمعها الحصر

تعرض للطير السـوانح زاجراً   أمالك من عقـل يكفك زاجر

أغربانك السحم استقلت مع الضحى   سوانح؟ أم مرت حمائمك الورق؟

لا تفرحن بفال، ان سمعت به   ولا تطـير، اذا ما ناعب نعبا

فالخطب أفظع من سراء تأملها   والامر أيسر من أن تضمر الرعبا

آليت لا يدرى بما هو كائن   متفـائل بالامر أو متطـير

كالدار صبحها سـوى سكانها   فشـووا بها، وتحمل المتـدير

زجر الغراب تطيراً، ونقيضـه   ديك لاهل الدار أبيض أفرق

شـاهدت قبرة خفت تطـيراً   ما كل ميت — لا ابالك — يقبر

لا يتطـير بناعب أحـد   فـكل ما شاهد الفتى طيره

وما طـير اليمين بمبهجاتى   فأخشى الهم من طير الشمال

وقـد سمي المرء الحزين تفاؤلا   وليس بباق فى الليالى حزبها

ما أسر لتعشـير الغراب آسى   ولا أبكى خليطـاً حل نشـارا

ولا توهمت انى الانجم امرأة   ولا ظننت سهيلا كان عشارا

يقع (١) ؛ ولذلك قالت العامة ، الارجاف أول الكون ، ويقال ان النبي — صلى الله عليه وسلم — تمثل بهذا البيت ولم يتممه .

تفاءل بما تهوى يكن ، فلقلما يقال لشيء كان ، الا تحققا

ومهما ذهب اليه اللبيب ، فالخير فى هـذه الدنيا قليل جداً (٢) والشر يزيد عليه باجزاء ليست بالمحصاة ، وقال علقمة

ومن تعرض للغربان يزجرها على سلامته ، لا بد مشئوم

* * *

وكان ابن الرومي معروفا بالتطير ، ومن ذا الذى أجرى على التخير ، وقد جاءت عن النبي — صلى الله عليه وسلم — أخبار كثيرة ، تدل على كراهة الاسم الذى ليس بحسن مثل مرة وشهاب

أى لا أضمر حزنا اذا سمعت الغراب يصيح عشرة أصوات متتابعة ولا أبكى جما ذهب الى ذلك البلد المسمى نشارا ، ولا أتوهم أن الزهرة امرأة كما يفعل العرب ، ولا ان سهيلا كان عشارا باليمن

وهل لحق التثريب سكان يثرب من الناس ؟ لا ، بل في الرجال غباء

وذو نجب ؛ ان كان ما قيل صادقا فما فيه الا معشر نجباء

(١) وفي ذلك يقول ابن الرومى فى نونيته الرائعة :

واذا ما ظننت شرا ، فخفه رب شر يقينه مظنونه

(٢) وفى ذلك يقول أبو العلاء :

نعم ثم جزء من ألوف كثيرة من الخير والاجزاء بعد شرور

على أنه أنكر حتى هذا الجزء القليل جداً من الخير في مكان آخر فقال :

لا ازعم الخير مازجا كدراً بل مزعمي أن كله كدر

ونحو من حكاية ابن الرومي (١) ، ما حكى عن امرأة من العرب أنها قالت للاخرى : « حماتي ابي غاضية ، وانما تلك نار ذات غضى ، وتزوجت من بنى جمرة رجلا كان اسمه توربا ، وانما ذلك تراب، فشمتت بى الاتراب ، وكان اسم أمه سوارة ، فلم تزل تساورني في الخصام »

فقالت الاخرى : « لكن حماتى أبي صافية ، فصفوت ، وزوجني من بنى سعد بن بكر ، فبكر على السعد ، واسم زوجي محاسن ، جزى الصالحة ، فقد حاسن وما لاسن ، واسم أبيه وقاف ـ رعاه الله ـ فقد وقف على خيره ، واسم أمه راضية. رضيت أخلاقي» . واذا كان الرجل خشا رما (٢) ، لم يزل ان رأى حمامة فرق من الحمام (٣) كما قال الطائي :

هن الحمام، فان كثرت عيافة (٤) من حائهن فانهن حمام

وان آنس نعامة فما يأخذها من النعيم ، ويجعلها بالهلكة ، يقول من الفند (٥) أولها نعى ، وان نظر الى عصفور ، قال: عصف من الحوادث بوفور ، فهو طول أبده فى عناء

* * *

ولهذه الطوية جعل ابن الرومي جعفرا من الجوع والفرار ، ولو هدي صرفه الى النهر الجرار ، ولكن اخوان هذه الخليقة لا يحملون الأشياء الواردة على الحقيقة (٦)

---

(١) ستمر بك تلك الحكاية الممتعة فى رسالة ابن القارح ،

(٢) متطيرا (٣) التراب (٤) العيافة زجر الطير

وان انس نعامة ، فما يأخذها من النعيم ويجعلها بالهلكة ، يقول

(٥) الخرف أو العجز

(٦) ومما يروونه عن تطير ابن الرومي أيضا، ما حكاه عنه على بن عبد الله

وأراد بعضهم السفر في أول السنة فقال « ان سافرت في المحرم ؛ كنت جديراً أن أحرم ، وان رحلت في صفر ، خشيت على يدي ان تصفر » فأخر سفره الى شهر ربيع ، فلما سافر مرض فلم يحظ بطائل ، فقال : « ظننته من ربيع الرياض ، فاذا هو من ربع (١) الامراض »

ابن المسيب قال: دخل علي،يوم المهرجان، وقدأهدى الى عدةمن جوارى القيان ، وكانت فيهن صبية حولاء ، وعجوز في احدي عينيها نكتة فتطير من ذلك ، ولم يظهر الى أمره ، وأقام باقي يومه ، فلما كان بعد مدة يسيرة سقطت ابنة لى من بعض السطوح فماتت ، وجفاه القاسم الوزير لجمل سبب ذلك المغنيتين، وكتب الى :

أيها المتحفى بحول وعور ... أين كانت عنك الوجوه الحسان
فتحك المهرجان بالحول والعـــور ، أرانا ما أعقب المهرجان
كان من ذاك فقدك ابنتك الحـــرة مصبوغة بها الاجفان
وتجافى مؤمل لى خليل ... لج فيه الجفاء والهجران

الى أن يقول :

لا تهاون بطيرة أيها النظا ... ر وأعلم بأنها عنوان
قف اذا طيرة تلقتك وانظر ... واستمع ثم ما يقـول الزمان
قلما غاب من أمورك عنوا ... ن مبين ، وللزمان لسان

الى أن يقول :

خبر الله أن مشأمة كا ... نت لقوم ، وخبر القرآن

(١) حمى تنوب يوما وتترك يومين ، وذلك أنها تأخذ في الايام الثلاثة ثماني عشرة ساعة وهي ربع ساعات تلك الأيام الثلاثة ، فسميت كذلك باعتبار الساعات

وأما اعداده الماء المثلوج فتعلة ، وما تنقع بالحيل غلة ، وتقريبه الخنجر تحرز من جان، فكم تنقض الاقضية ما بني البان ، ورب رجل يحتفر له قبرا بالشام ، ثم يجشمه القدر ، فيموت باليمن أو بالهند ، وما تدرى نفس بأي أرض تموت ، ان الله عليم خبير

وكما أن النفس جهلت مدفن عظامها ، فهى الجاهلة لنظامها ، كم ظان أنه يهلك بسيف فهلك بحجر .

* * *

والبيتان اللذان رواهما الناجم عن ابن الرومي مقيدان ، وما علمت أنه جاء عن الفصحاء هذا الوزن مقيدا ، الا في بيت واحد ، يتداوله رواة اللغة ، والبيت :

كأن القـوم عشوا لحم ضأن فهم نعجون (١) قدمالت طلاهم

وهذا البيت مؤسس ، والذي قاله ابن الرومى من غير تأسيس ، وما يدرى الناجم (٢) ولعله بالفكر راجم أفي الجنة حصل ذلك الشيخ أم فى السعير

أبو تمام (٣)

وأما ابو تمام ، فما امسك من الدين بزمام ، فان قذف فى النار حبيب ، فما تغنى المدح ولا التشبيب

(١) مفردها نعج وهو السمين أو الذى أكل لحم الضأن حتى ثقل على قلبه (٢) يعني به أبا عثمان الناجم

(٣) ارجع الى ص (١١١) جزء أول

مناحة القصائد

ولو أن القصائد لها علم وتأسف ، لاقامت عليه الممدودتان اللتان في أول ديوانه وأتما ، فناحتا عليه كابنتي لبيد ، وقالتا ما زعمه الكلابي في قوله :

وقولا هو الميت الذي لا حريمه أضاع ولا خان الصديق ولا غدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وكأني بها ، لو قضي ذلك ـ لاجتمعت اليها الممدودات ، كما تجتمع نساء من كل اوب ، ولو فعلن ذلك لبارتهن البائيات بمأتم أعظم رنينا ، واذا كان مأتم الممدودات في مائة ممن يسعدهن ، وجب أن يكون مأتم البائيات في آلاف ، لان الباء طريق ركوب ، والمد في القصائد سبيل منكوب ، وما نظمه على التاء ، فانه لا يعجز عن الايتاء ، وتجيء التائيتان في حالك اللون ، وان التاء لقليلة في شعر العرب ، الا أنها تستعينان كلمة كثير :

حبال سلامة اضحت رثاثا فسقيالها جددا أو رماثا

وبأرا جيز رؤبة ، وما كان نحوها من القوافي المتكلفة ، والاشعار المتعسفة ، ولها فيما نظم ابن دريد اعوان

فأما الداليات والرائيات وما بني على الحروف الذلل ، كالميم والعين واللام وما جرى مجراهن ، فلو اجتمع كل حيز منهن ، لضاق عنهن الصدر والايراد ، وزدن على ما ذكر انه اجتمع في جنازة احمد بن حنبل من النساء والرجال ،

ويقال انه لم يجتمع في الجاهلية ولا الاسلام جمع اكثر مما اجتمع في موت احمد ، حزر الرجال بالف الف ، والنساء بستمائة الف ، والله العالم بيقين الاشياء

* * *

وان كان حبيب ضيع صلواته ، فانه لضال ، لا يبلغ فيه كيد العداة ما بلغ من اهمال غداة ، واني لأضن بتلك الأوصال ، أن يظل جسدها وهو بالموقدة صال ، لأنه صاحب طريقة مبتدعة ، ومعان كاللؤلؤ يستخرجها من غامض بحار ، ويفض عنها المستغلق من المحار ، فليته كالجعدي ، أو ليته لحق يزيد بن مهلهل ، فقد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ـ وطرح عنه ثوب الغبي

ابو مسلم الخراساني

والعجب لابي مسلم ، حطب لنار اكلته ، وقتل في طاعة ولاة قتلته وليس بأول من دأب لسواه ، وأغواه الطمع ، وانما تبع سرابا في قفر فوجد ذنبه غير المغتفر ، عند صاحب الدولة ابي جعفر ، وكل ساع للفانية لا بد له من الندم ، وما آمن أن تكون الآخرة بارزاق (١) ، على أن

---

(١) الجد : ذكر ابو العلاء هذا المعنى على لسان ... في (ص١٢٣و ١٢٢ جزء ١) وذكره في مكان آخر في لزومياته فقال

والبخت في الاولى أنال العلا ... وليس في آخرة بخت

كذاك قالوا ، وأحاديثهم ... يبين فيها الجزل والشخت

وكرره في قوله :

السر مغيب ، والجاهل وفوق الجاهل من ادعى المعرفة ، واللعنة على

أأخشى عذاب الله ، والله عادل   وقد عشت عيش المستضام المعذب
نعم ! ، انها الارزاق، والمرء جاهل   يهذب من دنياه ما لم يهذب

ولأبي العلاء أشعار اخرى كثيرة في الجد ، نجتزيء منها بقوله :

والحظ يقسم ، عاش بشر ما اشتكى   كمها ، وعمر اكمها بشار

والسعد يدرك أقواما فيرفعهم   وقد ينال الى أن يعبد الحجرا
وشرفت ذات انواط قبائلها   ولم تباين على علاتها الشجرا

سيطلبني رزقي الذي لو طلبته   لما زاد ، والدنيا حظوظ واقبال

لا تطلبن بآلة لك رتبة   قلم الاديب ، بغير حظ ، مغزل
سكن السما كان السماء كلاهما   هذا له رمح وهذا اعزل

اذا صدق الجد افترى العم للفتى   مكارم لا تحصى وان كذب الخال

العم أي الجماعة ولا تكرى أي لا تنفد والخال المخيلة

موجز رأي الشعراء في الجد

وننتهز هذه المناسبة فنذكر نخبة من آراء الشعراء في الجد ، ويمكن القول بأن آراءهم جميعاً تكاد تجمع على انه حليف الغباء ، قال المتنبي

هو الجد حتي تفضل العين اختها   وحتى يصير اليوم لليوم سيدا

وما الجمع بين الماء والنار في يد   بأصعب من أن اجمع الجد والفهما

وقال ابو تمام

ينال الفتى من دهره ، وهو جاهل   ويكدي الفتى من دهره ، وهو عالم
ولو كانت الارزاق تأتي على الحجا   اذن هلكت من جهلهن البهائم

وقال الضالى

اذا جمعت بين امرئين صناعة فأحببت أن تدري الذي هو أحذق

فلا تتفقد منهما غير ما جرت به لهما الارزاق حين تفرق

فحيث يكون الجهل فالرزق واسع وحيث يكون العلم فالرزق ضيق

وقال ابن وهبون

وحيث ترى زند النجابة واريا فثم ترى زند السعادة كابي

وقال ابن الخياط

وما زال شؤم الحظ من كل طالب كفيلا ببعد المطلب المتدانى

وقد يحرم الجلد الحريص مرامه ويعطي مناه العاجز المتوانى

وقال المروزى الضرير

تنافى العقل والمال فما بينهما شكل

فعقل حيث لا مال ومال حيث لا عقل

وقال القاضى الفاضل

وزيادتى فى الحذق فهي زيادة في نقص رزقى

وقال ابن سناء الملك

هو الجد خذه ان أردت مسلما ولا تطلب التعليل فالأمر مبهم

ونختم هذا المختار بتلك القصة الجميلة ، التي يحكيها لنا أحد الشعراء عن نفسه، وهي :

ولما لمست الرزق فانجذ حبله ولم يصف لى من بحره العذب مشرب

خطبت الى الاعدام احدى بناته فزوجنيها الفقر اذ جئت أخطب

علي بن أبي طالب(١)

أما الذين يدعون في علي – عليه السلام – ما يدعون ، فتلك ضلالة قديمة

فأولدتها الحزن الشقي ، فما له على الأرض غيري والد حين ينسب
فلو تهت في البيداء ، والليل مسبل على جناحيه ، لما لاح كوكب
ولو خفت شرا فاستترت بظلة لاقبل ضوء الشمس من حيث تغرب
ولو جاد انسان على بدرهم لرحت الى رحلي وفي الكف عقرب
ولو عطر الناس الدنانير ، لم يكن بشيء سوى الحصباء رأسي يخصب
وان يقترف ذنباً بيرقة مذنب فان برأسي ذلك الذنب يعصب
وان أر خيرا في المنام فنازح وان أر شرا فهو مني مقرب
أمامي من الحرمان جيش عرمرم ومنه ورائي جحفل حين أركب

(١) للشيعة آراء مضحكة في علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ودعاوى لا تقف عند حد ، وقد ادعى قوم أنه لم يقتل ، وانما الذي قتله ابن ملجم هو شيطان تصور للناس في صورته ، أما علي فقد صعد السماء ، وسينزل الى الدنيا وينتقم من أعدائه ، وهي دعوى تشبه ما ادعوه في عيسى.

وادعى قوم ان الله أرسل جبريل الى علي ، فذهب الى محمد خطأ لشدة الشبه بين النبي والامام علي ، وهذه الفرقة تقول « العنوا صاحب الريش » أي جبريل

وادعى آخرون أن الله خلق محمدا ثم فوض اليه تدبير العالم وتدبيره

دعوى الربوبية

وقد بلغني ان رجلا بالبصرة يعرف بشاباس ، تزعم جماعة كثيرة

فهو الذى خلق العالم دون الله ثم فوض محمد تدبير العالم الى على بن أبى طالب ، فهو المدبر الثالث

وزعم غيرهم ان عليا هـو الله ، وشتموا محمدا ، وزعموا أن عليا بعثه ليثني عنه ، فادعى الأمر لنفسه

ويدعي فيه قوم آخرون أن الرعد والبرق صوته ، ومن سمع منهم صوت الرعد، قال: «عليك السلام يا أمير المؤمنين» وفى هذه الطائفة يقول ابو اسحق بن سويد العامرى :

برئت من الخوارج لست منهم — من الحجاج منهم وابن باب
ومن قـوم اذا ذكروا عليا — يردون السلام على السحاب

ولا يزال كثير من العامة يعتقد الى اليوم ان عليا راكب ناقة يطير بها فوق السحاب ، ومما نذكره بهذه المناسبة ، على سبيل التندر والفكاهة، أن أحد اشياخنا المعممين، المشتغلين بنظم الكلام. أراد ان يتنكر . ليقنع الناس بأنه غير عاكف على أساليب التفكير القديمة ، ويدفع عن نفسه معرة الجمود والجهل بحقيقة الشعر الحي، الذى يحتاجه هذا العصر المملوء بالحياة والتفكير . فحسب أن كل ما يتطلبه ذلك التطور الفكرى العظيم. من الشاعر هو أن يستبدل وصف النوق والجياد بوصف قطر البخار والطيارات، فورط نفسه فى الاخذ بتلك الخرافة، ودعا الله ان يهبه طيارة يسمو بها الى السحاب، حتى اذا بلغه حظى بلقيا على بن أبى طالب . فقال:

أنه رب العزة ، وتجبى اليه الاموال الجمة ، ويحمل الى السلطان منهـا قسما وافرا ، ليكون بما طلب ظافرا ، وهو ساقط ، وحدثت عن امرأة بالكوفة يدعى لها مثل ذلك

فهب لى ذات أجنحة ، لعلى بهـا الحق على السحب الاماما

فلم يزد اقتناعنا بجموده ، ولـكنه وفق الى اثبات فنده وخرفه بهذا البيت الرائع !

* * *

وقد نسبوا الى على بن أبى طالب علم الجفر ، وهو ما يطلقونه على العلم الاجمالى بلوح القضاء والقدر ، المحتوى على ما كان وما يكون كليا وجزئيا ، وتدعي طائفة أنه وضع الحروف الهجائية في جلد الجفر وأنه يمكنه استخراج ما يأتى به الغيب ، منها بطريقة خاصة ، ويدعون ان هذا علم انفرد به آل البيت ومن ينتمي اليهم ، وأنهم يتوارثونه ، وادعى آخرون أن فهم أسرار هذا الجفر قاصرة على المهدى المنتظر ، وأنه ـ دون غيره ـ يستطيع أن يفقه حقيقة ما في هذا الكتاب الذي سموه بهذا الاسم لأن عليا كتبه حروفا متفرقة في ورق مصبوغ من جلد البعير ، وقد اشتهر بين الناس ، لاحتوائه ما حدث للاولين والآخرين ، ولا يزال كثير من العامة يعنى بهذه الخرافات وأشباهها ، بلا تدبر ولا روية ، ونحو من هذه الخرافة ما يروونه عن الخضر ، وعن المسيخ الدجال ، وغير ذلك من الترهات ، وقد وقف ابو العلاء قسما كبيرا من رسالة الغفران واللزوميات لمحاربة أشباه هذه البدع ، والتشنيع على من يقولون بها ، وحسبنا ان نستدل بقوله منددا بتلك الخرافة التي يشيعونها عن الخضر :

يقول الغواة الخضر حي ، عليهم عفاء ، نعم لبيل من الفتن اخضرا

رجعة الى ابن الراوندي

وقد سمعت من يخبر أن لابن الراوندي معاشر تذكر أن اللاهوت سكنه ، ويخترصون له فضائل يشهد الخالق وأهل المعقول ، ان كذبها غير مصقول ، وهو فى هذا أحد الكفرة ، وقد أنشد له منشد :

قسمت بين الورى حظوظهم قسمة سكران بين الغلط
لو قسم الرزق هكذا رجل قلنا له قد جننت فاستعط (١)

ولو تمثل هذان البيتان ، كانا في الاصر ، يطولان أرمي مصر (٢)

ولو صدقوا ما انفك فى شر حالة يعانى بها الاسفار ، أشعث مغبرا
جني قائل بالمين ، يطلب ثروة ويعذر فيه من تكسب مضطرا

وقوله منددا بالمهدى المنتظر :

مجوسية وحنيفية ونصرانة ويهودية
تراقب مهديها أن يقو م فتانى الى الحق مهدية

وندد بظهوره فى مكان آخر (ص٣٤) من هذا الجزء فليرجع اليها من شاء (١) أى أدخل السعوط في أنفك لتفيق ، والسعوط هو ما يدخل الانف من مسحوق دقيق التبغ ، ولابن الراوندى في هذا المعنى ، بيتان آخران ، أقل شناعة من هذين البيتين ، وهما :

كم عاقل عاقل ، أعيت مذاهبه وجاهل جاهل ، تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الاوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا

(٢) أى هرمي مصر

ابو جوف

وقد ظهر فى الضيعة المعروفة بالنيرب ، رجل يعرف بأبى جوف ، كان يدعى النبوة ، ويخبر بأخبار مضحكة ، وكان له قطن فى بيت ، فقال ان قطنى لا يحترق ، وأمر ابنه أن يدنى سراجاً اليه ، فأخـذ في القطن ، وصرخت النساء ، واجتمعت الجيرة .

* * *

وحدثنى من شاهد أنه كان يكثر الضحك من غير موجب ، ولا عند حادث معجب ، فقيل له : « لم تضحك؟ » فقال كلاما معناه : ان الانسان ليفرح بهين قليل ، فكيف من وصل الي العطاء الجليل ! »

وكان بين الجنون ، فاتبعه الاغبياء ، حتي قتله والى حلب

عودة الى على بن ابي طالب

وبعض الشيعة يحدث أن سليمان الفارسي كان فى نفر جاءوا يطلبون على ابن أبى طالب ـ سـلام الله عليه ـ فلم يجدوه فى منزله ، فبينا هم كذلك ، جاءت بارقة تتبعها راعدة ، واذا على قد نزل على اجار البيت في يده سيف مخضوب بالدم

« فقال وقع شجار بين فئتين من الملائكة ، فصـعدت لأصلح بينهما » .

أفلا يرى هـذه الامة كيف افتتنت في الضـلالة ! وللـكذب

سوق ليست للصدق !!

***

وأما الذى ذكره من بلوغ السن ، فان الله سبحانه ـ خلق مقراً وشهداً ، ورغبة فى العاجلة وزهداً ، واذا اللبيب انعم النظر لم ير الحياة الا تجذبه الى الضير ، صبح يتبسم وامساء ، كأنهما سيد اضراء ، والعمر ثلة ، وهما على السارح بغير اذن ، فيفنيان السائمة (١)

الزواج

وقد تحدث بعض طلاب الأدب ، أنه ذكر التزويج ـ يريد الخدمة ـ فسرنى ذلك ، لأنه دل على اقامته بالوطن ، وفى قربه الفرحة ، اذ كان الشجرة الوارف ظلالها فى الهواجر ، الطيب ثمرها ، والارج نسيمها وهو يعرف حكاية الخليل عن العرب ، اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب ، ولكن النصف (٢)

---

(١) هل العمر الانظير السوام وآجالهم أسـد تفترس

(٢) كرر أبو العلاء هذه النصيحة أكثر من مرة في لزومياته ، فمن ذلك قوله :

اذا ما ابن ستين ضم الكعاب اليه فقد حلت البهله
هوا الشيخ ، لم يرضه أهله ولم يرض في فعله أهـله
فلا يتزوج أخو الاربعين الا مجربة كهله
رأى الشيب فى عارضيه المسـ ـن فنعم القرين له الشهله

وقوله :

اذا أنت زوجت العجوز على الصبا فايامها صن عليك وصنبر

ولو نشط لهذه المأربة ، لتنافست فيه العجز والمكتهلات،وهل هو الا كما قال الاول :

يا عز هل لك فى شيخ فتى أبداً   وقد يكون شباب غير فتيان

فليس بأول من تزوج عجوزاً كما قال :

اذا ما أعرض الفتيات عنى   فمن لى أن تساعفنى عجوز
كأن مجامع اللحيين منها   اذا حسرت عن المرنين كوز

ويروى للحارث بن حلزة ، ولم أجده فى ديوانه :

وقالوا ما نكحت؟ فقلت خيراً   عجوزاً من عرينة ذات مال
نكحت كبيرة وغرمت مالا   كذاك البيع مرتخص وغال(١)

وأعوذ بالله مما قاله الآخر

عجوز لو ان الماء يسقى بكفها   لما تركتنا بالمياه نجوز

وما زالت العرب تحمد الخيزبون والشهلة

كانك بعد خمسين استقلت   لمولدك ، البناء ، دنا ليهوى
وانك ان تزوج بنت عشر   لاخيب صفقة من شيخ مهو

وحكاية شيخ مهو ، مشهورة ، لا نحب أن نذكرها هنا ؛ فليرجع اليها من شاء ، في (ص ٣٥٨ جزء ٢) من اللزوميات

(١) نذكر بهذه المناسبة قول بعض الشعراء :

لاتنكحن عجوزا ، ان دعيت لها   وان حبيت على تنكيحها الذهبا
فان أتوك وقالوا انها نصف   فان أطيب نصفيها الذى ذهبا

زواج النبي بخديجة

وقد تزوج النبي – صلى الله عليه وسلم – خديجة بنت خويلد، وهو شاب، وهي طاعنة في السن، وقالت له أم سلمة ابنة أبي أمية، يارسول الله اني امرأة قد كبرت وما أطيق الغيرة، فقال: أما قولك قد كبرت، فأنا أكبر منك، وأما الغيرة فاني سوف أدعو الله أن يزيلها عنك

حاجة الشيخ الى الزواج

ولا أشك أنه قد استخدم فى مصر أصناف جوار؛ ولولا أن أخا الكبرة يفتقر الى معين، لكانت الحزامة أن يقتنع بورد المعين، فهو يعرف قول القائل:

ما العيش الا القفل والمفتاح   وغرفة تخرقها الرياح

لا صخب فيها ولا صياح

التوبة

وأما اشفاق الشيخ، فتلك سجية الانيس؛ لا يختص بها أخو الجبن عن الشجاع؛ ومن القسوط تعرض بالقنوط، قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله.

كم من أديب شرب وطرب ثم تاب، فقد يضل الدليل فى ضوء القمر، ثم يهديه الله، وكم استنقذ من اللج غريق فسلم

الفضيل بن عياض

وقد كان الفضيل بن عياض، يسيم فى أوبل رياض، ثم حسب في الزهاد، وجعل من أهل الاجتهاد، ورب خليع وهو فتى، تصدر لما

كبر وأفتى ، ومغن بطنبور أو عود ، قـدر له تولى السعود ، فرقى منبراً للعظات

عمر بن عبد العزيز

ولعله قد نظر في طبقات المغنين ، فرأى فيهم عمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس ، هكذا ذكر ابن خرداذبه ، فان يك كاذبا فعليه كذبه

ابو حذيفه وحماد عجرد

والحكاية معروفة ، أن أبا حذيفة(١) كان يشارب حماد عجرد وينادمه ، فنسك أبو حذيفة ، وأقام حماد في الغي ، فبلغه أن ابا حذيفة يذمه ويعيبه ، فكتب اليه حماد :

ان كان نسكك لا يـــتم بغير شتمي وانتقاصي
فاقعد وقم بي كيف شئـ ـت مع الادانى والاقاصي
فلطالما زكيتني وأنا المقيم على المعاصي
أيام تعطيني وتأ خذ في أباريق الرصاص

---

(١) هو واصل بن عطاء ، تلميذ الحسن البصري ، وصاحب مذهب الواصلية ، ورئيس تلك الطائفة المعروفة المنسوبة اليه ، وكان في زمن عبد الملك وهشام بن عبد الملك ، ويمكن الرجوع الى مذهبه في كتاب الملل والنحل للشهرستاني

عمر بن الخطاب

أليس الصحابة ـ عليهم رضوان الله ـ كلهم كان على ضلال ، ثم تداركه المقتدر ذو الجلال ؟؟

وفي بعض الروايات ، أن عمر بن الخطاب خرج من بيته يريد مجمعاً كانوا يجتمعون فيه للقمار ، فلم يجد فيه أحداً ، فقال لأذهبن الى الخمار لعلي أجد عنده خمراً ، فلم يجد عنده شيئاً ، فقال لأذهبن ولأسلمن ، والتوفيق يجيء من الله سبحانه .

عودة الى النبي

وفيما خوطب به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ووجدك ضالا فهدى »

وذكر أبو معشر المدني ، في كتاب المبعث ، حديثاً معناه أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذبح ذبيحة للاصنام ، فأخذ شيئاً منها ، فطبخ له ، وحمله زيد بن حارثة ، ومضيا ليأكلاه في بعض الشعاب ، فلقيهما زيد بن عمرو بن نفيل ، وكان من المتألهين في الجاهلية ، فدعاه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليأكل من الطعام ، فسأله عنه ، فقال : « هو شيء ذبحناه لآلهتنا » فقال زيد ابن عمرو : « اني لا آكل من شيء ذبح للاصنام ، واني على دين ابراهيم ـ صلى الله عليه وسلم » فأمر النبي زيد بن حارثة بالقاء ما معه

تميم بن أوس الدارى

وفى حديث آخر ، وقد سمعته باسناد ، أن تميم بن أوس الدارى(١) كان يهدى الى النبي ، في كل سنة ، راوية من خمر ، فجاء في بعض السنين ، وقد حرمت الخمر ، فأراقها

أحمد بن حنبل

وقد ذكر عند ثعلب ، أحمد بن حنبل ، ان كان شرب النبيذ قط ، والنبيذ ـ عند الفقهاء ـ غير الخمر ، فقال ثعلب : « أنا سقيته بيدى »

الخمر

وانما لذة الشرب فيما يعرض لهم من السكر ، ولولا ذلك ، لكان غيرها من الاشربة أعذب وأدفأ(٢) ، وان كان الشيخ قد شرب ، فله

---

(١) نسبة الى الدار وهي قبيلة من لخم

(٢) رأي أبي العلاء فى الخمر

لايجهل أبو العلاء مزايا الخمر ، بل هو من أعرف الناس بمزاياها ، وان كان لم يذق لها طعما ، فقد قرأ جل ما كتبه عنها شعراء العربية جاهليين واسلاميين وعباسيين ، ودرسه ، كما درس غيره ـ فأصبح من أعلم الناس بها ـ وليس ذلك مستغرباً ، فقد أتى أبو العلاء في أشعاره بكثير من التشبيهات الرائعة التي تعتمد على البصر قبل غيره ، وحسبك ما أتى به من الاصاف الكثيرة الدقيقة ، في وصف

اسوة بشيخ الازد ، محمد بن الحسن ، اذ قال :

الدروع وغيرها . ونكتفي من ذلك كله ببيته المشهور ، الذي وصف به سهيلا في قوله :

وسهيل كوجنة الحب في اللو　　ن وقلب المحب في الخفقان

ولم يقصر بشار ، في كثير من تشبيهاته عن شأو المبصرين ، واجادة الاوصاف التي كان من حقهم أن ينفردوا بها دون سواهم ، وآية ذلك، بيته الرائع المشهور :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا　　وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

* * *

اذن فقد كان أبو العلاء يعرف الخمر ويدرك مزاياها تماماً ، وقد تمنى شربها في كثير من أشعاره ، وود لو أنها أصبحت طلقة محللة ، ولكنه لم يفته أن يعقب — في كل موضع تمناها فيه تقريبا ، بالسبب الرئيسي الذي يدفعه الى العزوف عنها ، والاحجام عن شربها ، وهو ازراؤها باللب ؛ وقد عرفت ، أن ابا العلاء كان يعتز بالعقل كل الاعتزاز ويجله ، ويفتن في تقديسه انظر (ص٥٢ و٥٣ و٥٤) حتى ليتضاءل أمامه كل اعتبار اذا قيس اليه ، وقد أظهرنا أن من أكبر الاسباب التي أزعجته من لقاء الموت — رغم حنينه الدائم اليه — هو خوفه أن يسلبه الردي ذلك العقل الذي يحرص عليه ويضن به . (انظر ص١٢) ، ولهذا السبب نفسه ، ارتاع من الكبر فقال :

وما أتوقى والخطوب كثيرة　　من الدهر الا أن يحل بي الهتر

ويمكننا أن نتخذ البيت التالى مفتاح فلسفته فى الخمر وهو :

ولولا أنها باللب تزرى　　لكنت أخا الندامة والنديم

ومن ثم ندرك السر . في رغبته عنها — بالرغم من تمنيه اياها أحيانا

بل رب ليل جمعت قطريه لى   بنت ثمانين عروس تجتلى

فقـد تمناها فى لاميته التي قالها ـ وهو بالعراق ، واظهر فيها حنينـه ووجده الشديد الى بلده (المعرة) فقال :

تمنيت أن الخمر حلت لنشوة   تجهلنى كيف اطمأنت بى الحال
فأذهل أنى بالعراق ، على شفا   رزى الامانى لا أنيس ولا مال
مقل من الاهلين ، يسر وأسرة   كفى حزناً بين مشت واقلال

على أنها أمنية اليائس الذى يفضل الموت على الحياة ، واليك نخبة مختارة مما قاله في الخمر ، نستدل بها على ما ذهبنا اليه :

أيأتى نبى يجعل الخمر طلقه   فتحمل ثقلا من همومى وأحزانى
وهيهات لو حلت ، لما كنت شارباً   مخففة فى الحلم ، كفة ميزانى
لو كانت الخمر حلا ، ما سمحت بها   لنفسى الدهر لا سراً ولا علنا

ويهجر طيب الراح خوفا من السكر

هي الراح أهلا لطول الهجـاء   وان خصها معشر بالمدح
فلا تعجبنك عروس المـدام   ولا يطربنك مغن صـدح
ومن يفتقد لبه ساعة   فقد مات فيها بخطب فدح

وقد شرح في الابيات التالية ، ما ينجم عن الذهول ، الذي تحدثه الخمر في نفوس شاربيها ، فقال :

البابليـة باب كل بليـة   فتوقين هجوم ذاك الباب
جرت ملاحاة الصديق وهجره   وأذى النديم ، وفرقة الاحباب
هتكت حجاب المحصنات ، وجشمت   مهن العبيد تهضم الارباب
وتوهم الشيب المدالف ، أنهم   لبسوا ، على كبر ، برود شباب

ثم قال في آخر القصيدة (١)

فان أمت فقد تناهت لذتي ۝ وكل شيء بلغ الحد انتهى

وما أختاره له ان يأخذ بقول الحكمي :

قالوا: كبرت، فقلت: ما كبرت يدي ۝ عن أن تشير الى فمي بالكاس (٢)

وقد آن لمولاى الشيخ ان يزهد في شيمة حميد الامجى، قائل هذه الابيات :

شربت المدام فلم أقلع ۝ وعوتبت فيها ، فلم أرجع

واذا تأملت الحوادث ، الفيت ۝ صهب الدنان اعادى الالباب

* * *

وجماع القول أن أبا العلاء أكثر من ذكر الخمر والتشنيع بها ، في اشعاره ، وكما تستطيع ان تفرد لبعض الشعراء ـ مثل أبي نواس ـ ديوانا في مدح الخمر ، تستطيع أنت تفرد لأبي العلاء كذلك ، ديوانا في ذمها .

(١) يعني مقصورة ابن دريد ، وهي أشهر من أن نشير اليها ، وأولها :

يا ظبية أشبه شيء بالمها ۝ ترعى الخزامى بين أشجار النقا

(٢) ويلي هذا البيت قوله :

صفراء ، زان رواءها مخبورها ۝ فلها المهذب من ثناء الكاس

وكأن شاربها لفرط شعاعها ۝ بالليل ، يكرع في سنا مقباس

فالراح طيبة ، وليس تمامها ۝ الا بطيب خلائق الجلاس

حميد الذي أمج داره أخو الخمر، ذو الشيبة الاصلع
علاه المشيب على حبها وكان كريما فلم ينزع

وقال آخر :

تعاتبني في الراح أم كبيرة وماقولها ـ فيما أراه ـ مصيب
تقول: «الا تجفو المدام، فعندنا من الرزق تمر مكثب وزبيب ؟»
فقلت «رويدا ما الزبيب مفرحي وليس لتمر في العظام دبيب
فان حميدا علها في شبابه ولم يصح منها حين لاح مشيب»

توبة ابن القارح

واذا تسامعت المحافل بتوبته ، اجتمع عليه الشبان المقتبلون ، والأدباء المكتهلون ، وكل أشيب ، فيقتبسون من آدابه ، ويصغون المسامع لخطابه ، وجلس لهم في بعض المساجد بحلب، حرسها الله ، فانها من بعد ابي عبد الله بن خالويه عطلت من الادب

عودة الى الحور

واذا صحت الاخبار المنقولة بأن أهل الآخرة يعلمون أخبار أهل العاجلة، فلعل جواريه المعدات له في الخلد، يسألن عن أخباره من يرد عليهن من الصلحاء ، فيسمعن مرة أنه بالفسطاط ، ومرة أنه بالبصرة ومرة أنه ببغداد، وخطرة أنه بحلب ، فاذا شاع أمر التوبة، ومات ناسك من أهل حلب، أخبرهن بذلك فسررن وابتهجن ، وهنأهن جاراتهن ،

* * *

ولا ريب انه قد سمع حكاية البيتين التاليين ، في كتب الاعتبار :

انعم الله بالخيالين عينا وبمسراك يا أميم الينا
عجبا ما اجزعت من وحشة اللحـ ـد ومن ظلمة القبور علينا

رجعة الى الخمر

أعوذ بالله من قوم يحثهم المشيب على أن يستكثروا من أم زنبق(١)

قال حاتم :

وقد علم الاقوام لو أن حاتما أراد ثراء المال كان له وفر
يفك به العاني ويؤكل طيباً وليست تعريه القداح ولا اليسر
أماوي أن يصبح صداى بقفرة من الأرض لا ماء لدى ولا خمر
ترى ان ما أهلكت لم يك ضرني وان يدي مما بخلت به صفر

وقال طرفة :

فان كنت لا تسطيع دفع منيتي فدعني ابادرها بما ملكت يدي

وقال ابن المعتز

لا تطل بالكؤوس مطلي وحبي ليس يومي يا صاحبي مثل أمسي
لاتسلني واسأل مشيبي عني مذ عرفت الخمسين انكرت نفسي

فهذا حثته كثرة سنيه على ان يستكثر من السلافة ، وماحفظحق الخلافة ،

وأنا أضن بهان يكون كأبي عثمان المازني، عوتب في الشراب فقال « اذا صار اكبر ذنوبي تركته ! »

---

(١) هي الخمر

المعتصم وابراهيم المهدى

وقد روى ان المعتصم دعا ابراهيم كعادته ، فغناه وبكى ، فقال له المعتصم ، ما يبكيك ؟ فقال ، كنت عاهدت الله اذا بلغت ستين سنة أن اتوب ، وقد بلغتها ، فأعفاه المعتصم من الغناء وحضور الشراب.

الهيام بالخمر

وكان في بلدنا رجل مغرم بالقهوة (١) فلما كبر رغب في المطبوخ وكان يحضر مع ندامائه ، وعندهم قدح واحد ، فيشرب هو من المطبوخ ويشرب أصحابه من النيء ، فاذا جاء القدح اليه ليشرب ، غسله من أثر الخمر وشرب فيه ، فاذا فرغ المطبوخ ، رجع فشرب من شراب اخوانه.

وأما مخاطبته غيره وهو يعني نفسه ، فهو كقولهم في المثل (اياك أعني واسمعي ياجارة) ولا عندد عن الجبلة ، يريد المتنسك ان ينصرف حبه عن العاجلة ، وليس يقدر على ذلك كما لا تقدر الظبية ان تصير لبؤة ولا الحصاة ان تتصور لؤلؤة (٢) يوسف أعرض عن هذا ، واستغفري لذنبك انك كنت من الخطئين.

---

(١) الخمر

(٢) الجبر

كرر أبو العلاء هـذا المعنى في لزومياته وهو بلا ريب أول من يدين بالجبر ، ونجتزىء من اشعاره الكثيرة بالابيات التالية ، للاستدلال بها على يقينـه الثابت وايمانه الذى لا يتزعزع بمذهب الجـبر واذعانه للقضاء والقدر ، وهى :

وقول القائل .

لقد علمت ، وما أنهاك عن خلق ‏ ‏ ألا يكون امرؤ الا كما خلقا (١)

وكثير من الذين يتلون الآية : « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ، في كل سنبلة مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم » وهم بها مصدقون ، ومن خشية الههم مشفقون ، يضنون بالقليل التافه ولا يسمحون للسائل (٢) فكيف تكون حال من ينكر حديث الجزاء ، ولا يقبل عن الفانية حسن العزاء

وما فسدت اخلاقنا باختيارنا ‏ ‏ ولكن بأمر سببته المقادر

وفي الاصل غش، والفروع توابع ‏ ‏ وكيف وفاء النجل، والاب غادر؟

اذا اعتلت الافعال جاءت عليلة ‏ ‏ كحالاتها ، أفعالها والمصادر

فقل للغراب الجون ، ان كان سامعا ‏ ‏ «أأنت على تغيير لونك قادر ؟ »

والعقل زين، ولكن فوقه قدر ‏ ‏ فما له في ابتغاء الرزق تقدير

ويجرى قضاء مالكم عنه حاجز ‏ ‏ فألقوا الى مولاكم بالمقالد

نهاب أمورا ، ثم نركب هولها ‏ ‏ على عنت ، من صاغرين قماء !

ونحاذر الاشياء بعد يقيننا ‏ ‏ الا يرد الكائنات حذار

وجبلة الناس الفساد ، فضل من ‏ ‏ يسمو بحكمته الى تهذيبها

يتحارب الطبع الذى مزجت به ‏ ‏ مهج الانام ، وعقلهم فيغلبه

(١) يشبه قول ذي الاصبع العدواني .

كل امرىء صائر يوما لشيمته ‏ ‏ وان تخلق أخلاقا الى حين

(٢) افتن ابو العلاء في نظم هذا المعنى فقال :

دنتم بأن سيجازيكم الهكم ‏ ‏ فما لافعالكم افعال اهمال

ابو طلحة واليهودي

وقد مر حديث ابي طلحة، أو أبي قتادة، ومعناه أنه خاصم يهودياً الى النبي صلي الله عليه وسلم ـ وكان لأبي طلحة حديقة نخل ، وبينه وبين اليهودي خلف في نخله واحدة ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لليهودي : أتسمح له بالنخلة حتى أضمن لك نخلة في الجنـة ، ونعتها رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ بنعوت أشجار الجنة ، فقال اليهودي لا أبيع عاجلا بآجل ، فقال ابو طلحة أتضمن لي يارسول الله كما ضمنت له حتي أعطيه الحديقة ؟ فقال « نعم » فرضى ابو طلحة بذلك وأخذ اليهودي وذهب الى حديقته ، فوجد فيها امرأته وابناءه ، وهم يأكلون من جناها ، فجعل يدخل أصبعه في أفواههم فيخرج ما فيها من الثمر فقالت امرأته « لم تفعل هذا ببنيك ! » فقال اني قد بعت الحديقة ، فقالت :« ان كنت بعتها بعاجل فبئس ما فعلت ! » فقص عليها الخبر ، ففرحت بذلك .

• • •

ولو قيل لبعض عباد هـذا العصر « اعط لبنة لتعطى فى الآخرة لبنة من فضة لما أجاب » ولو سئل امة عوراء يعوض منها في الآخرة بحوراء لما فعل ، على أنه من المصدقين ، فكيف من غذى بالتكذيب وجحد وقوع التعذيب ؟ ..

ابو هذيل العلاف

ويحكى عن ابى الهذيل العلاف ، أنه كان يمر فى الاسواق على حمار ويقول « يا قوم . احذروا توبة غلامي » وكان له غلام يعد نفسه التوبة ، فسقطت عليه آجرة فقتلته

بدء التعارف بين المعري وابن القارح

وأول ماسمعت بأخبار الشيخ ، من رجل واسطى ، يتعرض لعلم العروض، ذكر انه شاهده بنصيبين وفيها رجل يعرف بأبي الحسين البصرى معلما لبعض العلوية ، وكان غلام يختلف اليه يعرف بابن الداذ ، وقد اجتاز الشيخ ببلدنا ، والواسطي يومئذ فيه ، وقد شاهدت عند أبي احمد عبد السلام ـ رحمه الله ـ كتبا عليها سماع لرجل من أهل حلب ، وما أشك أنه الشيخ ، وهو لا يفتقر الى تعريف بالقريض، كما قال الطائي

تحميه لألاؤه أو لوذعيته من أن يذال بمن ، أوممن الرجل

حجج ابن القارح

واما حججه الخمس فهو ـ ان شاء الله ـ يدنفني فى المحشر بالأولى منهن، وينظر في المتأخرين من أهل العلم ، فلا ريب انه يجد فيهم من لم يحجج ، فيتصدق عليهم بالاربع ، وكأنى به ، وهمام الحجيج يرفعون التلبية ، وهو يفكر فى تلبيات العرب ، وانها جاءت على ثلاثة أنواع

مسجوع لا وزن له ، ومنهوك ، ومشطور

وكأني به لما اعتزم على استلام الركن ، وقد ذكر قول القائل :

ذكرتك والحجيج له ضجيج   بمكة ، والقلوب لها وجيب
فقلت ونحن في بلد حرام   به لله أخلصت القلوب :
« اتوب اليك يا رباه مما   جنيت فقد تظاهرت الذنوب
فأما من هوى ليلى وحبي   زيارتها ، فاني لا أتوب »

ولعله قد ذكر هذه الابيات في الطواف :

أطوف بالبيت فيمن يطوف   وأرفع من مئزرى المسبل
وأسجد بالليل حتى الصبا   ح واتلو من المحكم المنزل
عسى فارج الكرب عن يوسف   يسخر لي ربة المحمل

وذكر عند تفرق الناس هذين البيتين :

ودعي القلب يا قريب ، وجودي   لمحب فراقه قد ألما
ليس بين الحياة والموت الا   أن يردوا جمالهم فتزما

وكأني به وقد مر بأنطاكية ، فذكر قول امرىء القيس :

علون بأنطاكية فوق عقمة   كجرمة نخل ، أو كجنة يثرب

ابو الطيب اللغوى

واما ابو الطيب اللغوى ، واسمه عبدالواحد بن على ، فلا أعلم أنه قد ضاع كثير من كتبه وتصنيفاته ، لأن الروم قتلوه وأباه ، في فتح حلب ، وكان ابن خالويه يلقبه «دخروجة الجبل» لأنه كان قصيرا ، وقد كان ابو الطيب يتعاطى شيئا من النظم ، وقد علم الله انى لا في اليمين ولا في

النفير ، كلما رغبت في الخمول قدر لي غير المأمول . كان حق الشيخ اذ أقام في معرة النعمان سنة ، أن لا يسمع لي بذكر ، ولا أخطر له على فكر ، والآن قد غمر افضاله ، وأظلني أدبه ، وهو كريم الطبع ، والكريم يخدع ، ومن همع جاز أن يخال .

ابن القارح في مصر

واما ماذكره من ميله في مصر الى بعض اللذات فهو يعرف الحديث :
أريحوا القلوب تع الذكر ، وقال أحيحة بن الجلاح

صحوت عن الصبا ، واللهو غول   ونفس المرء آونة ملول

وقد عاشر ملوكا ووزراء ، وقد همع أنباء النعمان الاكبر ، اذ فارق ملكه ، وتعوض من الحرير المسوح ، واياه عنى العبادي في قوله :

وتذكر رب الخورنق اذ فكـــر يوما ، وللهدى تفكير
سره ملكه وكثرة ما يمـ   لك ، والبحر معرضا ، والسدير
فارعوى جهله ، فقال «وما غبـ   طة حي الى الممات يصير ؟»

الهنود والخمر

والسكر محرم في كل الملل ، ويقال ان الهند لا يملكون عليهم رجلا يشرب مُسكراً ، لانهم يرونه منكراً ، ويقولون : «يجوز أن يحدث في المملكة نبأ والملك سكران» لعنت القهوة !

• • •

وينبغي أن يزهده في الصهباء أن نداماه الاكرمين اصبحوا في

الاجداث العافيــة ، كم جلس مع فتيان أتى عليهم الزمن ، فكان كما قال الجعدى :

تذكرت والذكرى تهيج لي الهوى ومن حاجة المحزون أن يتذكرا
نداماي عند المنذر بن محرق فأصبح منهم ظاهر الارض مقفرا

وهو يعرف الابيات التي اولها :

خليلي هبا ، طالما قد رقدتما اجدكما لا تقضيان كراكما

وهل يعجز أن يكون كما قال الآخر

أما الطلاء فانى لست ذائقها حتى ألاقي بعد الموت جبارا

دنانير ابن القارح

وسرتنى فيئة (١) الدنانير اليه ، فتلك أعوان ، ولها على الناس حقوق ، تبر ان خيف عقوق ، — قال عمرو بن العاص لمعاوية « رأيت في النوم أن القيامــة قد قامت وجيء بك وقد ألجمك العرق » فقــال معاوية : « هل رأيت ثم من دنانير مصر شيئا ؟ »

وهذه لا ريب من دنانير مصر ، لم تجيء من عند السوق ، ولكن من عند الملوك . فالحمد لله الذي سلمها الى هذا الوقت ، ولم تكن كذهب صار الى الخمارة ، كما قال :

وخمارة من بنات المجوس تري الزق في بيتها شائلا
وزنا لها ذهبا جامداً فكالت لنا ذهبا سائلا

وهي عند البله والكيس ، أجود من الخاتم ذكره بن قيس ، فقال

ان ختمت حاز طين خاتمها كما تجوز العبــدية العتق

---

(١) عودة أو رجعة

أراد بالعبدية دنانير نسبها الى عبد الملك بن مروان ، ويقال أنه أول من ضرب الدنانير في الاسلام

* * *

ودنانيره باذن الله مقدسات ، وان كانت زائدة على الثمانين ، فقد اوفت على عدة أصحاب موسى الذين جاء فيهم : واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا ، وعلى عدة الاستغفار في قوله : ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ، وعلى عدة أذرع في السلسلة في قوله تعالى: في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه

ولو كانت سنو زهير مثلها لما وصف نفسه بالسآمة ، ولو ادركه عروة بن حزام وهو يقول

يكلفني عمي ثمانين ناقة - ومالي يا عفراء غير ثمان

لجاز أن يرق له فيغنيه من هذه الثمانين ببعضها ، أو يسمح له بكلها لأنه كريم طبع ، ولو صارت في يد عروة هذه الثمانون، لبلغ بها الامنية، لأن الناقة في ذلك الزمان كانت ربما اشتريت بعشرة دراهم ؛ وفي بعض اخبار الفرزدق، أن رجلا من ملوك بني أمية اعطاه مائة من ابل الصدقة فباعها بألف وخمسمائة درهم بعد ما عني به وزيد في الثمن

الجمل في زمن المنصور

وقد مرت به الحكاية التي يذكرها اصحاب التاريخ ، أن الجمل كان يباع في زمن ابي جعفر المنصور بدرهم ، وانه صادر قوما من اصحابه وكانت لهم نعاج، فباعوها ثماني نعاج بدرهم ؛ هذا ماوجد بخط المرزباني

فى تاريخ ابن شجرة

فضل الذهب

وهى أنضر من الثمانين التى ذكرها العلوى البصرى فى قوله :

عبرت اليهم فى ثمانين فارسا   فادركت منهم بغيتى ومراديا

لله در الذهب من خليل ؛ فانه يفيء بظل ظليل ، ما هو كغيره بال ؛ والدر اذا كسر ذهبت قيمته ، ورب ذهب في سوار ، جعل فى خلخال ثم نقل الى جام أو كاس ، وهو بحسنه ما تغير لبشار النيران

ابو بكر الشبلى

وأما ابو بكر الشبلى — رحمه الله — فلا ريب أنه من أهل الفضل وارجو أن يكون سالما من مذهب الحلولية ، وأنشدنى له منشد :

باح مجنون عامر بهواه   وكتمت الهوى ففزت بوجدى

واذا كان في القيامة نودى   اين أهل الهوى ؟ تقدمت وحدى

فان صح أن هذين البيتين له فلا يمتنع أن يعترض عليه قائل فيقول ان ادعاءه الانفراد من العالم ، لا يسلمه اليه البشر ؛ ان كان هواه للمخلوقين أو الخالق فله في الامم نظراء كثير

ختام الرسالة

وانا اعتذر الى مولاى الشيخ الجليل ، من تأخير الاجابة ، فان عوائق الزمن منعت من املاء السوداء ، وأنا مستطيع بغيرى ، فاذا غاب الكاتب فلا املاء ؛ ولا ينكر الاطالة على ؛ فان الخالص من النضار طالما اشترى

باضعافه فى الزنة من اللجين ، فكيف اذا كان الثمن من النفيات (١) ، اللأئي يوجدن فى الطرق مرميات ؟ .

وعلى حضرته الجليلة سلام ، يتبع قرومه (٢) افاله (٣) ، وتلحق بعوذه (٤) اطفاله

تمت رسالة الغفران

وانتهى الجزء الثاني

(١) جمع نفية وهى ماتنفيه الحوافر من حصى وغيرها ومعناها هنا الاشياء الحقيرة التافهة (٢) جمع قرم وهو البعير أو الفحل (٣) جمع افيل وهو صغير الابل (٤) جمع عائذ وهي الناقة الحديثة العهد بالنتاج

مطبوعات مصطفى محمد

صاحب المكتبة التجارية بأول شارع محمد على بمصر

قرش صاغ	
٢٠	الفضيلة ـ أو بول وفرجيني
٦٥	النظرات (٣) أجزاء
٢٠	الشاعر
١٥	العبرات
٢٥	مجدولين
٢	الانتقام
١٠	سر تقدم الانكليز السكسونيين
٨	سر تطور الامم
٨	روح الاجتماع ورق صقيل
٤	الاسلام سوانح وخواطر
٤	جوامع الكلم
٢	من امير الى سلطان
١٠	مذكرات لودندرف جزآن
١٠	مذكرات هندنبرج
٥	مذكرات لينين
٦	رسائل انقره المقدسة للاميرة قدريه حسين
٤	تهذيب الادب
١٠	جمهرة اشعار العرب
٨	رباعيات عمر الخيام تعريب السباعي

قرش صاغ	
١٠	الابطال جزآن
٥	بلاغة العرب فى القرن العشرين لخليل جبران
١٥	الطرائف والظرائف لخليل جبران
١٥	الساق على الساق فى ماهو الفارياق
١٥	مذكرات اسكويث
٨	الفخرى فى الآداب السلطانية
٨	الفصول للعقاد
٢٥	ديوان حافظ ابراهيم ٣ اجزاء
٧	مذكرات بغي
٦	نهج البردة لاحمد بك شوقى
٤	الحركة الاستقلالية فى ايطالية
١٧	البؤساء لحافظ ابراهيم جزآن
٨	مختارات الزهور
١٠	السر فى خطأ القضا
٢٠	صحف مختارة من ... التمثيلى لطه حسين
٨	الارواح لطنطا... جوهرى

Bibliotheca Alexandrina
0381274